أساليبُ دِراسةِ الشخْصِيَّة

التكنيكاتُ الإسقاطيّة

الدّكتور فيصل عبّاس



دار الفكر اللبناني

أساليب

دِراسَةِ الشَّخصِيَّة

"التكنيكات الاسقاطية"

الدكتور فيصل عبّاس

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة، بناية خوري
هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٢٩٣
ص.ب: ٦٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLO 23648 LE - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٠

مدخل

بدأ الاهتمام بتزايد، مع أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بالإنسان من حيث هو كائن دينامي، كما بدأ يتزايد الوعي بدور العوامل النفسية في اضطرابات الشخصية. وأخذ عالم النفس يواجه مشلات الفرد ككل في تفاعلاته مع المجتمع ومع الآخرين، وفي تأثره بماضيه وحاضره وآماله وطموحاته في المستقبل. ومن العسير أن تتحقق الدراسة الشاملة المطلوبة لمساعدة الشخص في إطار كمي من الدرجات تقدمها لنا القياسات العقلية، مما دفع علماء النفس إلى الاهتمام بفهم السلوك الإنساني: السوي واللاسوي في ضوء الدوافع اللاواعية وأنواع الصراعات.

ولا يكفي الكشف عن موطن ونوع الصراع لفهم مشكلة الفرد، بل لا بد من الكشف عن الآواليات الدفاعية التي يلجأ إليها لخفيف حدة الصراع. إن كل هذه العوامل قدمت لعالم النفس فهماً لدينامية الشخصية ومعرفة بأسباب المشكلة.

ويتمثل هذا الاتجاه الدينامي، بشكل خاص، في مدرسة التحليل النفسي ومدرسة الجشتالت.. ولعل إسهام التحليل النفسي يتمثل في تقديم نظرية دينامية شاملة لفهم الشخصية الإنسانية، فضلاً عن تأثيره في تفسير بعض اختبارات الشخصية وخاصة الأساليب الاسقاطية.

وتدل الشخصية على أنماط السلوك المميزة، النسبية الثبات، التي نمت

وتطورت بنمو الفرد وتطوره. وليست الشخصية نتاجاً للبيئة الحاضرة فقط، وإنما هي نتاج للمواقف الماضية التي تعين على الفرد أن يتوافق معها. ولذلك تصبح دراسة الفرد، في مرحلة من مراحل تطوره عملية معقدة، تتضمن النظر في أنماط السلوك الحالية، بالنسبة لبيئة معينة، وتفهم متى نشأت هذه الأنماط في تاريخ حياة الفرد. فالتشخيص الشامل للشخصية يستعين بالمفهومات الدينامية والتكوينة.

إن تقويم الشخصية هو «تشخيص نفسي» يقوم فيه السيكولوجي بدراسة تفاعل القوى وصراعها داخل الفرد، واستجاباتها على العالم الخارجي، وكذل دراسة المواقف المسببة لقلق الفرد، أي كيف نشأت حالة معينة عن ماضي خبرات الفرد وكيف استمرت خلال حياته.

ويمكن النظر إلى عملية تقويم الشخصية ن نواحي عديدة: فقد يكون تقويم خصائص الفرد وسماته عن طريق الاستبيانات. . ولكن كنتيجة لمحاولة تفادي هذه الطريقة، ولمحاولته الوصول إلى القوى اللاواعية قامت الأساليب الاسقاطية كمادة تقيمية في دراسة الشخصية. وتهدف الأساليب الاسقاطية إلى الكشف عما وراء السلوك الظاهري، من نزعات ورغبات، وخبرات يعيشها الفرد في داخله. وقد بدأ اهتمام «جالتون» عام ١٨٨٥ بدراسة سلوك الفرد عن طريق اختبار التداعي، والذي استخدمه، فيما بعد، «يونغ» عام ١٩٠٥؛ وظلت هذه الطريقة «أداة تشخيصية هامة.

ويعتبر اختبار دوشاخ قمة هذه الاختبارات في التشخيص النفسي، وقد نشر عام ١٩٢١، ولم تذع شهرته حتى عام ١٩٣٧ على يد «بيك»، و«كلوبفر». . وفي عام ١٩٣٥ أصدر «مورجان»، و«موراي» اختبار تفهم الموضوع، وأصبح إلى جانب اختبار بقع الحبر من أبرز الاختبارات الاسقاطية استخداماً في العيادات النفسية وفي دراسة الشخصية.

ولقد أصبحت الاختبارات الاسقاطية من الأدوات الهامة التي يستخدمها السيكولوجي في الوقف على الجوانب المختلفة للشخصية، لفهم ديناميآتها،

وكشف الأسباب النفسية المؤدية لإضطرابها، وتشخيص مشكلاتها، والتنبؤ عن احتمالات تطور هذه المشكلات.

وقد قدمنا في الباب الأول بعض نظريات الشخصية، والمفاهيم الفرويدية الخاصة بمعاني الاسقاط والتماهي، وكذلك الأسس العامة التي تستند إليها الأساليب الاسقاطية.

أما الباب الثاني فقد تضمن بعض الأساليب الاسقاطية المستخدمة في دراسة الشخصية، موضحين كيفية استخدامها وطريقة إجراءاتها، كما قدمنا بعض النماذج التحليلية بقصد تبيان تقدير الاستجابات وكيفية تفسيرها.

د. فيصل عباس

الباب الأول ـ

سيكولوجية الشخصية

تهتم معظم نظريات الشخصية بتحديد أهم وأعم خصائص الأفراد الثابتة، والعمليات التي تؤدي إلى اكتساب هذه الخصائص وتعديلها. وإذا استطعنا أن نقيس هذه الخصائص وأن نحددها، فإننا نستطيع أن نفهم وأن نتنبأ بالكثير من سلوك الفرد. وتهتم نظريات الشخصية أيضاً باكتشاف ووصف الخبرات والظروف والأحداث التي تؤدي إلى نمو وتغيير خصائص معينة للشخصية، كما تهتم أيضاً بوصف ما يمكن أن يكون عليه السلوك في المستقبل، بناء على معرفتنا بخصائصه الحالية. هذه النظريات التي يعتمد عليها السيكولوجيون في وضع الإختبارات والإجراءات التشخيصية والأساليب العلاجية، ولكن تختلف نظريات الشخصية فيما بينها. ومن أهم هذه الاختلافات إثنان هما: التوكيد على أي مظاهر لسلوك الفرد أو شخصيته تعتبر أساسية (مركزية).

٢ ـ وجهات النظر فيما يتعلق بكيفية نمو هذه الخصائص الهامة للشخصية أو اكتسابها وعلاقاتها فيما بينها [1].

جاءت كلمة الشخصية Personnalité من الأصل اللاتيني Persona ومعناها القناع الذي يستعمل على خشبة المسرح. وهي تستعمل عادة بعدة

---

(1) روتر جوليان ـ علم النفس الإكلينيكي ـ ترجمة عطيه محمود هنا مراجعة محمد عثمان نجاتي ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٤ ـ ص ٢٥ ـ ٢٦.

معان، ولكن تستعمل للإشارة إلى النواة المركزية والعميقة للكائن الإنساني.

ولا شك في أنه يتطلب كل علم نفس عن الشخصية مفهوماً عن الإنسان وفلسفة عن الشخص Personne، إذ يترافق هذا المفهوم كل اهتمام وتفكير فلسفي، من حيث أن التصور الذي يعطيه كل عصر وكل مجتمع عن الشخص هو أحد العناصر المكونة للشخصية. ومن هنا يجب أن نرى كل نظرية علم نفسية عن الشخصية بخلفيتها الفلسفية، بتاريخيتها وبعلاقتها مع المفاهيم الأخرى ومكانتها في الوسط الثقافي والاجتماعي لعصرها(1).

إن مفهوم الشخصية في علم النفس هو بناء علمي أعد خصيصاً لعرض وتوضيح الواقع النفسي للفرد، وما هدف النظريات الحديثة في هذا العلم إلاّ تحليل هذا المفهوم، المتعدد المعاني، وتحديد مناهج دراسته الشخصية.

فمنذ بداية القرن العشرين، عرف علم نفس الشخصية تطوراً هاماً، وذلك باستعمال أدوات وطرق خاصة بعلم النفس. وقدم علم المقاييس النفسي، والروائز Tests الموضوعية، والاختبارات النفسية، المواد اللازمة والضرورية لدراسة وكشف الجوانب المختلفة لشخصية الفرد.

لقد اهتم العمل السيكولوجي، في أول الأمر، بوضع وتطبيق الاختبارات العقلية الفردية لأغراض التشخيص Diagnastic، ثم حدث تحول هام في اهتمامات السيكولوجيين وأوجه نشاطهم: فمن الاهتمام بقياس ذكاء وقدرات الفرد إلى الاهتمام بقياس صفات الشخصية والتوافق، ومن الاهتمام بتصنيف الشذوذ النفسي والعقلي إلى الاهتمام بالعلاج النفسي وعلاج إضطرابات وحالات الشخصية.

ومن هنا كانت بعض نظريات الشخصية ترى أن الشخصية تتضمن قدرات الفرد، وميوله، وخلقه؛ أي هي نموذج حياة الفرد، ولذلك فإذا عرفنا شخصية

---

(1) فالادون ـ نظريات الشخصية ـ ترجمة علي المصري ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٩٠، ص ٨.

إنسان إستطعنا أن نتنبأ بسلوكه في أنواع كثيرة من المواقف والظروف. فمعرفة شخصية الفرد معناها معرفة نماذج سلوكه المميزة له، والتي تمكننا من التنبؤ باستجاباته.

وخلافاً للنظريات الوصفية والتصنيفية للشخصية، فقد حمل التحليل النفسي La Psychanalyse تأويلاً أصيلاً تحت شكل نظرية دينامية متمحورة حول مفاهيم أساسية لحقيقة الواقع النفسي مثل: اللاواعي، والنزوة، والحياة الجنسية الطفلية، وعقدة أوديب... وبذلك قدم التحليل النفسي نفسه كعلم نفس الأعماق، واكتسبت نظرية الشخصية من خلاله، مكانة هامة في علم النفس. فالشخصية، في التحليل النفسي، هي مكان نفسي داخلي يتكون دينامياً حسب تاريخ الفرد بممارسة بعض الوظائف الأساسية بالنسبة له.

الفصل الأول ـ

نظرية التحليل النفسي

كان فرويد FREUD واحداً، من كبار المفكرين الذي هزّوا عصرهم بعنف حين قصدوا إلى تحطيم الوعي الزائف وكشف النقاب عن الرياء والأضاليل الباطلة في عصرهم، والسعي إلى تحرير الإنسان من الأوهام والمعتقدات الراسخة.

إن جذرية الفرويدية يعود إلى تأسيس نظرية اللاوعي L'inconscient، لقد هاجم فرويد معقل الوعي Conscience الإنساني كمعطى أخير للتجربة النفسانية؛ وبرهن أن كل ما هو حقيقي تقريباً لا يقع ضمن الوعي.

إن نظرية اللاوعي هي إحدى الإنجازات الهامة في معرفتنا للإنسان وفي مقدرتنا على تمييز ظاهر حقيقة السلوك الإنساني. وقد ولدت حجماً جديداً للإيمان الذي أعطى أسساً جديدة للفكر النقدي(1).

فقد شبّه فرويد العقل بجبل من الجليد يمثل الجزء الصغير الطافي منه على سطح الماء منطقة الوعي، على حين يمثل الجزء الأكبر الذي يغوص تحت الماء منطقة اللاوعي. وفي هذه المنطقة الكبيرة من اللاوعي توجد الدوافع الغريزية، والرغبات والأفكار والمشاعر والخبرات المكبوتة: طبقات الأعماق

FROMME- la crise de la Psychanalysr. Trad- J.R. Ladmiral- Ed. Anthropos. (1) Paris 1971- P. 13.

الشاسعة من القوى والطاقات النفسية الحيوية، غير المرئية، تمارس سيطرة تامة وطاغية على أفكار الإنسان وأفعاله الواعية.

لقد عكف فرويد مدة طويلة من الزمن على دراسة اللاوعي مستخدماً طريقة التداعي الحر Association libre ليطور، فيما بعد، نظرية شاملة عن الشخصية. فحدد معالم أبعادها، ونفذ إلى أعماقها البعيدة، محدداً معالم طريق نموها وتطورها.

ولم يبرهن فرويد فقط على وجود أنظمة لاواعية، بل بيّن، من خلال الممارسة العملية كيف تعمل هذه الأنظمة اللاواعية عبر براهين ملموسة، عن طريق الأحلام، الأعراض العصابية، والأفعال الصغيرة في الحياة اليومية، كالنسيان، والهفوات وزلات اللسان...

بدأ فرويد عالماً صريحاً وجريئاً في أمور الجنس، وتبين مؤلفاته الأولى أهمية الحياة الجنسية في نشأة الإضطرابات النفسية أو العقلية المختلفة. إذ تحقق له أن حوادث الاغتصاب والغواية الجنسية séduction المبكرة التي تتكشف من بين الذكريات المنسية للمرض لم تحدث في الواقع، وإنما حدثت على مستوى الهوام Fantasme أو التخييل.

فإذا وصف الناس هذه التجارب الأليمة المروعة دون أن تكون قد حدثت في الواقع، فذلك حتماً لأنهم أرادوا حدوثها في داخلهم؛ ولذلك ينبغي أن تفسر تأويلاتهم الزائفة على أنها تحقيق للرغبة في استيهام الفرد.

وكان فرويد في دراساته لعمليات التغير اللاواعي قد وضع مصطلحات لوصف الطرق أو الأساليب البارزة التي بها تتنكر وتتخفى الرغبات التي لا تقبلها الذات الواعية؛ وأطلق على هذه العمليات اسم «الأواليات الدفاعية» Méca-nismes de défenses. وهذه المفاهيم جديرة بالاهتمام لأنها تعد نقطة البدء لمفهوم «الدينامية النفسية»، كصيغة مجردة لمنطق الانفعالات.

وهكذا قام فرويد بصياغة نظرية عامة في أصل الشخصية ونموها، بهدف

تحليلها، وتحديدها بتفكيك اوالياتها وعناصرها وعبر إظهار تكونها. ومع ذلك، فالتحليل النفسي، كما يقول فرويد، لم يدع أنه يعطي نظرية كاملة للحياة النفسية للإنسان بشكل عام، ولكنه يأمل فقط، أن تستعمل اكتشافاته لتكامل وتصحيح معرفتنا المكتسبة بوسائل أخرى.

لقد اكتشف فرويد أن سيادة الوعي على السلوك البشري وأفعال الإنسان سيادة محدودة، وأن الدوافع البدائية والنزعات العدوانية للجنس البشري لم تختفِ من الإنسان، بل استمرت في وجودها، ثم استقرت في أعماق اللاوعي في صورة مكبوتة. وهذه الدوافع اللاواعية تتحين الفرص لتظهر جلية وتلعب دورها في تحديد السلوك، دون أن يشعر بها الفرد أو يسيطر عليها. ورأى فرويد أن النزوات Pulsions هي منبع الطاقة لكل سلوك إنساني، وهي الدافع الخفي وراء أوجه النشاط الإنساني المتباين. وقد بيَّن فرويد أن حجر الزاوية في التحليل النفسي هو هذا المحتوى اللاواعي.

ومن الاكتشافات الهامة في النظرية الفرويدية اللبيدو Libido، وهو يدل على الطاقة النفسية المستمدة من الغرائز البيولوجية الأولية؛ وتضم هذه الطاقة كافة النزوات التي تنطوي تحت مفهوم الحب(1). وتهدف هذه الطاقة إلى تحقيق السعادة، واستقرار الحياة الجنسية، كما تساعد الطاقة اللبيدية نزوات الحياة على أداء وظائفها؛ وهي عامل هام في تكوين النشاط النفسي الشخصي.

ومن الاكتشافات الهامة أيضاً الاتصال بين حالتي الصحة والمرض، وارتباط الطفولة بالرشد. لذلك يرى فرويد أنه ينبغي على المحلل النفسي تحقيق إزالته الآثار المترسبة اليومية. وقد أرجع فرويد جميع حالات المرض في مراحل البلوغ إلى تجارب السنوات الخمس الأولى، إذ أن جميع اهتمام الشخص البالغ واتجاهاته لها جذورها في مرحلة الطفولة. وبناء على ذلك، ينبغي على

FREUD- Psychologie des foules et analyse du Moi- in Essais de Psychnalyse- (1)
Trad. Jankélévitch- Ed. Payot, Paris, 1981- P. 150.

المحلل النفسي أن يتبع الأعراض المرضية وأن يرجع في تحليلاته إلى تجارب الطفولة.

لقد قدم فرويد تفسيراً جديداً في علم الشخصية، ورأى أن الشخصية تنظيم نفسي يتكون من ثلاثة أركان Instances: الهو، الأنا، الأنا الأعلى؛ وكل ركن من أركان الشخصية له وظائفه وصفاته ومكوناته وديناميته، وتتفاعل هذه الأركان فيما بينها، والسلوك الشخصي هو نتيجة العلاقة بين هذه الأركان. وهي جميعاً تعمل معاً وتتفاعل فيما بينها تفاعلاً وثيقاً، بحيث يصعب فصل تأثير كل منها، ودرجة إسهامه النسبي في سلوك الإنسان.

١ ـ بنـاء الشخصيـة ـ

الهو Le ça هو النواة الأصلية للشخصية، وهو جزء أساسي في تكوين شخصية الفرد، متأصل كامن في وجوده، وهو مصدر كل الطاقات النزوية الضرورية لاستمرار بقاء الفرد. وهو يمنح كل التنظيمات أو الأركان التي تتمايز منه كل الطاقة اللازمة لها.

ويعمل الهو وفق «مبدأ اللذة» الذي يميل دائماً إلى تحقيقه. ويرى فرويد أن الهو مادة خام غير منظمة، تبحث عن اللذة. والهو عماء مطلق، لا تحكمه قوانين الفكر والمنطق، ولا يعرف القيم الأخلاقية، ولا يخضع لمقولتي الزمان والمكان. فالعمليات الأولية التي يقوم بها الهو يحكمها مبدأ التناقض والعواطف المتباينة، كما أنه لا يميز بين الصورة الذاتية والواقعية الموضوعية (1). غير أن الهو لا يحتوي فقط كل القوى الليبيدية الطفلية، بل ينطوي كذلك على عناصر التوترات العدوانية البدائية. وهو يعمل من أجل إفراغ شحناته، وإن كبتت هذه التوترات أحياناً.

إن الهو هو الواقع النفسي الحقيقي، وهو يمثل العالم الداخلي للتجربة

---

(1) FREUD- Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse- Trad. Berman- Ed. Jallimard. Paris 1978- P.99.

الإنسانية الذاتية. والهو هو القوة المنظمة للوجود الإنساني، وهو يستمد طاقته من النزوات التي تنبثق من حاجات أعضاء الجسد المختلفة. وهذه النزوات هي القوة الدافعة التي توجه السلوك عن طريق الهو. والهو هو الذي يعطي النزوات تعبيراً نفسياً متمثلاً في الليبدو، ويحول الحاجات البيولوجية إلى طاقة نفسية، كما أنه يحوّر الطاقة النفسية إلى حاجات بيولوجية. فالهو هو المولّد الذي يمدنا بالقوة النفسية اللازمة لتشغيل العمليات النفسية المتعددة للفرد.

ويؤلف الهو الجزء الأكبر من اللاوعي وهو وريث الإنسان البدائي، يعيش في أعماق كل فرد خلف ستار الهو، المستودع لكل الآثار المتبقية من المجتمعات البدائية الأولى بما تحمل من نماذج للسلوك متناقضة ومتعارضة.

والهو لا يستطيع أن يميز محتويات العقل، ويرى فرويد أن الطاقة تتحول من العمليات النفسية الذاتية للهو إلى العمليات الفكرية المنطقية الواقعية عند الأنا.

والأنا Le Moi عند فرويد هو واجهة الهو إلى العالم الخارجي. فالأنا جزء من الهو، ذلك الجزء المعدل نتيجة علاقاته بالعالم الخارجي؛ ولكنه كائن ضعيف أمام الهو، ويستمد كل طاقاته من الهو. وما يميز الأنا عن الهو هو نزعة الأنا إلى تنظيم مكوناته وضبط العمليات النفسية وإخضاعها لحكم العقل[1].

إذا كان الهو هو القطب النزوي، والمستودع النفسي لماضي الإنسان، فالأنا هو المركب الأساسي الرئيسي لشخصية الفرد. وإذا كان الأنا جزءاً انفصل عن الهو، فإن اتصاله بالعام الخارجي غيّر من صفاته. فالأنا وسيط بين الهو والعالم الخارجي، ويعقل المطالب النزوية للهو، ويسعى لإشباعها، ويلجأ إلى حفظ الذات تجاه المطالب الملحّة فيقاومها. ويطرد الأنا، نتيجة ارتباطه بالواقع، كل عنصر من صور الذكريات الماضية التي تزيد من مصادر الإثارة الداخلية. وتتجاذب الأنا الرغبة والعقل معاً، وهذا من شأنه أن يعزل مبدأ اللذة الذي يحكم عمليات الهو، وأن يستبدل به «مدأ الواقع». فإذا كان الأنا يطيع

(1) FREUD- Le Moi et le ça, in Essais de Psy. oP.cit. P. 237.

تحذيرات مبدأ اللذة، إلّا أن طاعته للهو يشوبها التعقل، فهو يختار ويقدر ما يشبع من الرغبات، وكيف ومتى يتم الإشباع. ويستخدم الأنا الأواليات الدفاعية اللاواعية ليحافظ على تكامله وسيطرته على الشخصية[1].

ومن صفات الأنا التي تميزه عن الهو خضوعه لقوانين الفكر الأساسية، ولمقولتي الزمان والمكان. ويستخدم الأنا الطاقة لإيجاد التكامل والإنسجام بين الأركان الثلاثة للشخصية، فهدفه هو إيجاد الإنسجام الداخلي للشخصية بحيث يتسنى تفاعل الأنا مع البيئة الخارجية بصورة فعالة. لقد بيّن فرويد أن وظيفة الأنا الأولى هي المحافظة على البناء المستمر للكائن الإنساني وحمايته من المطالب النزوية التي يفرضها عليه الهو، والعالم الخارجي، والأنا الأعلى. فالهو يسعى إلى الإشباع الكامل للدوافع البيولوجية، ويهدف الأنا الأعلى إلى السيطرة على جميع هذه الدوافع التي قد تصل إلى درجة الكبت، ويعمل الأنا من أجل بقاء الإنسان والمحافظة على الذات. «فالأنا مضطر إلى أن يخدم ثلاثة من السادة القساة، وهو يبذل قصارى جهده للتوفيق بين مطالبهم. وهذه المطالب متناقضة دوماً، وكثيراً ما يبدو التوفيق بينهم مستحيلاً.. هؤلاء المستبدون الثلاثة هم: العالم الخارجي والأنا الأعلى والهو»[2]. فالأنا جهاز تنظيمي مستمر للعمليات النفسية يوجد في كل فرد منا، ويتكون من جزئين: جزء واعٍ وجزء لا واعٍ. وهو الجزء الأكبر منه. ويعمل الأنا دائماً على ضبط القدرة على الحركة والقضاء على إثارة العالم الخارجي.

وإذا كان الهو ثابتاً متوارثاً، فالأنا ينمو ويتطور ويصقل بمرور الزمن. وإذا كان الأنا جزءاً إنشطر عن الهو، فإن الأنا الأعلى Le sur- moi ينبثق عن الأنا أثناء عملية التماهي بالسلطة الوالدية. وينمو الأنا الأعلى مستقلاً عن الأنا، ويشتد ويقوى ويمارس وظائفه؛ وهو رمز للأحداث الهامة لتطوير الجنس البشري، ويعبّر تعبيراً ثابتاً عن تأثير السلطة والوالدين في شخصية الفرد[3].

---

(1) FREUD- Nouvelles Conf. sur la Psy. Op.cit. P. 101.

(2) Ibid- P. 104.

(3) Ibid- P. 87.

فالمكوِّن الثالث لتنظيم الشخصية هو لأن الأنا الأعلى؛ وهو ينبثق عن موضوع الانفعال الأول للهو، وهذا الإنبثاق يربطه بالمنجزات الثقافية والحضارية للبشرية. غير أن الأنا الأعلى ليس مجرد ترسبات تركها موضوع الاختيار المبكر للهو، بل إنه يمثل تكوين رد فعل قوي ضد هذه الاختيارات، فهو نتيجة إنكار النزوات وكبتها. وهو يتضمن كل المحرمات والنواهي، وهو على صلة وثيقة بالهو، ولذلك فهوي يستمد منه طاقاته الانفعالية، وهو مثله لا عقلي، ولهذا السبب فهو أبعد من الأنا عن منطقة الوعي. وهو يبدأ في التكوين بينما لا زال الأنا ضعيفاً. وبما أن الأنا الأعلى غائص في الهو، ومن ثم فهو مكره، باعتباره وريث عقدة أوديب، على أن يقيم معه علاقات حميمة»[1].

يتكون الأنا الأعلى في مرحلة متأخرة من الطفولته يرتبط وثيق الارتباط بمصير عقدة أوديب، بحيث يبدو الأنا الأعلى وكأنه وريث هذه المنظومة من المشاعر والعواطف البالغة الأهمية بالنسبة إلى الطفولة. ويؤكد فرويد أن تكوين الأنا الأعلى يرتبط بحل هذه العقدة، بل إنه وريث هذه العقدة؛ وإن كان الأنا يمثل العالم الخارجي، فالأنا الأعلى يمثل التصور الأخلاقي الداخلي لهذا العام[2]. وعقدة أوديب، عند فرويد هي قمة الحياة الجنسية الطفلية، وهي تتكون باعتبارها نتيجة الخبرات الجنسية والعدوانية التي يعانيها الطفل في علاقاته المتجاذبة مع والديه. وهذه العقدة لها منابع ثلاثة: ١ ـ نفسي وهو حب وكره للأب، وهذا ما يجعل الطفل يتماهى مع الأب؛ ٢ ـ بيولوجي، ويظهر نتيجة اعتماد الطفل على الأم منذ الولادة وارتباطه بها برابطة شهوية، بحيث تصبح الأم هي الموضوع الأول لحب الطفل دون وعي منه؛ ٣ ـ تاريخي أو ثقافي للجنس البشري الذي يتدخل في تكوين العقدة الأوديبية Complexe d'Œdipe، وهي ميراث التطور الحضاري منذ العصر السحيق للإنسان[3].

(1) Ibid- P. 105.

(2) Ibid- P. 87.

(3) FREUD- Le Moi et le ça. Op.cit. P.P. 247-248.

ويرى فرويد أن عقدة أوديب هي ظاهرة عالمية شاملة، وأساسية في طفولة كل فرد منا؛ وأن كل شيء يتوقف على الكيفية التي تتحقق بها تلك العقدة. ولذلك فإن كل ما ينتج عنها يعد أمراً حاسماً في تحديد معالم الشخصية.

ويرى فرويد أن عملية الاحباط Frustration النفسي تؤدي إلى النكوص Regression عن موضوع الانفعال الأولى وإلى التماهي Identification مع شخصية الأب، فيتخذ الطفل من أبيه صورة مثالية يتماهى معها، ويحاول أن يصير مثلها، ويرث الأنا الأعلى جميع الاتجاهات الوالدية الأخلاقية. ولذلك فهو يعتبر قوة نفسية داخلية أخلاقية، تمارس الوبفة الوالدية وأهدافها. والأنا الأعلى لا يتشكل على صورة الوالدين، بل يتكون حسب الأنا الأعلى للوالدين، ويحمل نفس المحتوى، ويصبح ممثلاً للتقاليد، ولكل الأحكام والقيم التي تتناقل هكذا عبر الأجيال[1]. وعندما يقوى الأنا الأعلى يحل محل السلطة الوالدية في السيطرة على سلوك الطفل، ويتأثر الأنا الأعلى أثناء نموه بالأشخاص الذين يحلون محل الوالدين في الاهتمام بالطفل ورعايته (المربين، المعلمين، والنماذج المثالية)، ويستمد من هؤلاء العناصر الهامة في تكوين أخلاقياته.

ويتسم الأنا الأعلى بالإنحياز في اختيار أفعاله، فهو لا يأخذ عن الوالدين أثناء عملية التكوين إلاّ ما اتمس عندهما بالشدة والصرامة وما يرمز إلى القمع والقهر، في حين يترك الأنا الأعلى ما يتسمان به من عطف ورعاية[2]. . والأنا الأعلى باعتباره جزء من التنظيم الحقيقي في بناء الشخصية يظل ثابتاً لا يتغير رغم تغير القيم، إذ لا تؤثر القيم الجديدة إلاّ في الأنا فقط، فهو وحده قابل للتغير؛ أما الأنا الأعلى فيظل ثابتاً ولا تحدده إلاّ الصورة اللاواعية للوالدين. ويمثل الأنا الأعلى الأحداث الأكثر أهمية في تطور الفرد والجنس البشري، أي أن الأنا الأعلى يدخل في تكوينه الأخلاقيات وجميع العناصر الثقافية

---

(1) FREUD- Nouvelles Conf. sur la Psy. Op.cit. P. 91.

(2) *Ibid*- P. 85.

والاجتماعية السائدة في المجتمع. ومن ثم فإن مكان الأنا الأعلى كجزء من بناء الشخصية يجب أن يترك داخل إطار ثقافة المجتمع.

مما تقدم نرى أن فرويد أعطى مفهوماً جديداً في بناء الشخصية، وأن تلك المكونات ما هي إلاّ مناطق نفسية تتفاعل فيما بينها رغم الاستقلال الوظيفي لكل واحدة منها. ويمكن القول إن الهو يمثل القطب النزوي، ويعبر الأنا عن المضمون الإدراكي وكعامل دفاعي، كما يؤكد الأنا الأعلى كنظام موانع وكمضمون اجتماعي.

ومن الجوانب الهامة التي تميز النظرية الفرويدية هو اهتمامها بعمليات النمو في تطور الشخصية. لقد قدمت مدرسة التحليل النفسي أول دراسة علمية في نمو الشخصية الإنسانية، وصنفت نمو الشخصية في أطوار متباينة، كما أكدت أن عملية النمو هي عملية نفسية توضع دعامتها في فترة الطفولة. وهي ترى أن الشخصية يكتمل القدر الأعظم منها عند نهاية السنة الخامسة من العمر، وأن ما يلي ذلك يقوم في أغلبه على صياغة البناء الأساسي.

٢ ـ ديناميــة الشخصيــة ـ

يرى التحليل النفسي أن في صميم كل شخص نزوات أساسية تمد وجوده النفسي بالقوة المحركة. فالنفس الإنسانية تتميز بحاجة دائمة إلى تخفيف حدة التوتر الناجمة عن هذه النزوات، والتي يشعر بها الفرد على صورة إحساسات بالضيق أو الألم، وحين تخف حدة التوتر عن طريق النشاط الحركي، يشعر الفرد بالارتياح واللذة. والنزوات عند فرويد هي عبارة عن كمية من الطاقة متحركة في اتجاه معين. فإذا نظرنا، يقول فرويد، إلى الحياة النفسية من وجهة النظر البيولوجية، بدا لنا مفهوم «النزوة» مفهوماً حدّياً يقع على الحد الفاصل بين النفسي والجسدي، ممثلاً نفسياً للمنبهات التي تصدر من داخل الجسم وتتغلغل في النفس، وهي مقياس للمطالب التي تفرضها على الطاقة النفسية صلة

النفس بالبدن[1]. وقد نظر فرويد للنزوات بالنسبة إلى أهدافها، بدلاً من نشاطها الذاتي. وقد ميّز بين نوعين من النزوات: نزوات الأنا أو حفظ الذات، ونزوات الحب والعدوان. وأما هدف النزوة فهو دائماً الإشباع الذي لا سبيل إليه إلاّ بإلغاء حالة التنبيه في مصدر النزوة ذاتها[2]. ويرى فرويد أنه من الممكن أن نقسم النزوات إلى قسمين كبيرين:

١ ـ الليبدو أو نزوات الحب، ٢ ـ والنزوات العدوانية. والليبدو هو الطاقة التي تدخل (الميول والنزعات) في كل ما تتضمنه كلمة حب، (وتعتبر هذه الطاقة مقداراً كمياً لا يمكن قياسه حالياً). وجوهر ما نعنيه بالحب يتكون من الحب الجنسي الذي يستهدف الجماع، وهو ما يسمى عادة بالحب وما يتغنى به الشعراء. بيد أننا لا نفصل عنه سائر أنواع الحب، كحب الذات، وحب الأهل والأولاد، والصداقة، وحب الإنسانية بوجه عام، كما لا نفصل عنه التعلق بأشياء عينية وبأفكار مجردة[3]. فمهوم الليبدو إذن ليس مقتصراً على الحب الجنسي. بل يشمل كافة أنواع العلاقات العاطفية بين الناس، كما يشمل حب الذات أو النرجسية؛ وهو يتضمن أيضاً كل النزعات التي تدفع إلى الحب. أما النزوات العدوانية فهي موجهة نحو العالم الخارجي، وهدفها يكون تدمير الموضوع. فإذا لم تتوصل العدوانية إلى هدفها من الإشباع في العالم الخارجي، لاصطدامها بعوائق فعلية، فإنها تعزف عن التظاهر والتعبير عن نفسها في الخارج، فتضخم من ثم شحنة نزوات تدمير الذات التي تغلي في مرجلها الداخلي[4].

والواقع أن هاتين المجموعتين من النزوات (الإيروس والعدوان) لا

---

(1) FREUD- Métapsychologie- Trad. la Planche et Pontalis, Ed. Gallimard, Paris 1978- P. 18-

(2) Ibid- P. 18-

(3) FREUD- Psychologie des foules et Analyse du Moi- Op.cit- P. 150-

(4) FREUD- Nouvelles conférences sur la Psychanalyse- OP.cit. P. 139.

تنفصلان أبداً؛ فجميع النزوات التي قد نتصدى لدراستها هي مزيج أو خلائط من هاتين النزوتين[1].

لقد بحث فرويد كيف تتغير شدة الطاقة النزوية، خاصة في مختلف مراحل نمو الفرد. وقد تتغير أيضاً اتجاهات الليبيدو داخل النفس، فمن الممكن أن يوجه الليبيدو إلى موضوع خارجي (الحب الموضوعي)، كما أنه من الممكن أن يرتد على الأنا (النرجسية)؛ ومن الممكن أيضاً أن يكبت أو أن يعبّر عن نفسه تعبيراً غير مباشر وبطريقة مقبولة (التسامي). كما يكشف فرويد عن إرتداد الليبيدو إلى مراحل النمو الانفعالي الأولية (النكوص)، أو عند وقوفه في مرحلة معينة من مراحل النمو (التثبيت) فالنزوات الليبيدية مرنة، قابلة لتغيير أهدافها، سهلة في إحلال صورة من صور الإشباع محل الأخرى، بالإضافة إلى قدرتها على الإرجاء والتأجيل[2].

وقد بيّن فرويد أن كل ركن من أركان الجهاز النفسي (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) مصدر من مصادر الطاقة النفسية اللازمة لعمل الشخصية.

ويستمد الأنا طاقته النفسية من النزوات الرئيسية التي تصدر عن الهو.

وهكذا يستمد الأنا شحنته الانفعالية الأصلية التي يتخلى فيما بعد عن جزء منها للموضوعات، والتي تبقى كما هي في جوهرها رغم اتصالها بالموضوعات. ويصف فرويد الطاقة النفسية في الأنا بأنها طاقة قابلة للنقل، هي بحدّ ذاتها محايدة ولكن من الممكن أن تنضم إلى قوى متمايزة نوعياً، شبقية أو هدامة، فتزيد في مقدار شحنتها الانفعالية الكلية[3].

فالنمو النفسي هو حركة تدريجية ينتقل بها الأنا من مرحلة النرجسية الأولية إلى مرحلة يكون فيها الأنا قادراً على إقامة العلاقات الموضوعية. غير أن الليبيدو لا يتحول كله عن الأنا إلى الموضوعات الخارجية، وإنما كمية معينة منه تظل

(1) Ibid- P. 138-

(2) Ibid- P. 128-

(3) FREUD- Le Moi et la ça- OP.cit P. 258-

باقية في الأنا باستمرار، فازدهار الحب الموضوعي لا يمنع من وجود درجة معينة من النرجسية. إن الأنا هو على الدوام المستودع الرئيسي للبيدو وأنه نقطة إنطلاق الشحنات الليبدية الموضوعية ونقطة وصولها معاً، وأن الجزء الأكبر من هذا الليبدو نفسه يبقى مقيماً في الأنا بصورة دائمة. إن ليبدو الأنا لا يزال يتحول باستمرار إلى ليبدو الموضوع، والعكس بالعكس[1] ولذلك، فالنمو السويّ للأنا يتطلب موازنة مرنة بين الطاقة النفسية في الأنا والطاقة المستخدمة في العلاقات بالموضوعات.

٣ ـ نمـو الشخصيـة ـ

يرى فرويد أن السنوات الخمس الأولى هي سنوات حاسمة وأساسية في التكوين النهائي للشخصية الإنسانية، وأن النمو السلوكي الذي نشأ عليه الطفل في السنوات الأولى من الحياة له أثر هام في تحديد نمو الشخصية في الأطوار اللاحقة، بل يرجع فرويد جميع الإضطرابات النفسية في مراحل الرشد إلى أنواع التثبيت fixation في مراحلة الطفولة الأولى، فالطفولة قادرة على تقبل كافة التأثيرات واستعادتها في مراحل البلوغ والرشد.

ويرى فرويد أن عملية نمو الشخصية هي عملية نمو نفسي بيولوجي، تتم على مرحلتين: الأولى، تبدأ من عملية التماهي مع الأم والتي تبدأ منذ الميلاد، أما الثانية وهي عملية التماهي مع الأب فتساعد على تكوين الأنا الأعلى؛ ويؤدي العجز عن التماهي مع الأب، وعدم توزيع الطاقة النفسية في المرحلة الأوديبية إلى تأخير النمو النفسي للشخصية.

لقد قسم فرويد أطوار النمو الأساسية إلى أطوار ثلاثة، ينقسم الطور الأول منها إلى مراحل ثلاثة، وربط كل مرحلة بجزء معين من الجسم يكون موضع غلمة ذاتية Auto- érotisme للطفل. وقد بيّن فرويد أن أهمية هذه المراحل لا ترجع إلى اهتمام الطفل بأجزاء معينة من الجسم فقط، بل الخبرات وما ترتبط به

(1) FREUD- Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse. OP.cit. P. 135-

من أجزاء الجسم. وتصبح هذه الخبرات هي الوسيلة إلى الإشباع والإحباط في سنوات حياته التالية. ولذلك فإن أوجه النشاط التي يمارسها الطفل في مراحل الطفولة هي الدعائم الأساسية التي تبنى عليها كل علاقات الطفل المقبلة مع غيره من لناس، وتحديد سلوكه وتوافقه مع نفسه. فكل الخبرات التي يكتسبها الطفل في السنوات الأولى من حياته، وما يرافقها من مواقف مختلفة تطبع سلوك الطفل بطابع خاص، تثبت عليه؛ ولا تنمحي الخبرات المرتبطة بكل مرحلة من حياة الشخص، بل تطبع سلوكه وتحدده أثناء مرحلة الرشد.

وكانت النتائج التي توصل إليها فرويد نتيجة ممارسته العيادية ودراسته العديدة التي قام بها طوال اشتغاله في التحليل النفسي. وقد أدت هذه الدراسات إلى تأكيده بأن سلوك الراشد امتداد لسلوكه في مرحلة الطفولة؛ وأن سلوك الفرد يمكن أن يثبت حول ظروف معينة من السلوك في أية مرحلة من مراحل النمو في طور الطفولة. ويؤثر هذا التثبيت في تكوين اتجاهات الراشد وسلوكه، كما يؤدي إلى عجز الفرد عن تطوير سلوكه، والانتقال إلى مرحلة لاحقة من مراحل النمو. لقد كشف فرويد عن وجود نشاط جسمي جنسي أثناء الطفولة المبكرة، وإن بوادر هذه النشاط الجسمي تتصل ببعض الظواهر النفسية التي يمكن ملاحظتها، فيما بعد، أثناء حب الكبار مثل التثبيت عند موضوع حب معين، والغيرة[1]...

إن هذه الظواهر التي تظهر في الطفولة المبكرة إنما هي جزء من عملية نمو منتظمة، وهي تزداد بالتدريج حتى تصل إلى ذروتها في نهاية العام الخامس؛ ثم يتبع ذلك فترة سكون يقف فيها النمو، وينسى فيها الكثير. وفي نهاية فترة الكمون Latence تبدأ الحياة الجنسية تستعيد نشاطها من جديد عند البلوغ، أي تبدأ الحياة الجنسية تزدهر مرة ثانية.

ويعرّف فرويد الطور الأول من حياة الإنسان بالطور «ما قبل التناسلي» Prégénital والفم أول منطقة غلمية تظهر بعد الولادة مباشرة، وتأخذ تلحّ في

FREUD- Abrégé de Psychanalyse- Trad. Berman. Ed. P.U.F. Paris 1978- P. 13- (1)

إشباع مطالبها الجنسية. ويتركز النشاط النفسي، في بادية الأمر، حول إشباع هذه المنطقة. ولا شك أن الوظيفة الأولى لهذه المنطقة هي حفظ الذات عن طريق الغذاء (الرضاعة). ولكن إصرار الطفل وعناده على الرضاعة هو دلالة واضحة، في هذه المرحلة المبكرة، على وجود حاجة إلى الحصول على اللذة. إن تجارب الرضاعة تحدث آثاراً دائمة: فالطفل الناقص التغذية قد يشتد عنده السعي إلى التملك والإقتناء. وتأخذ الدوافع السادية Sadiques في الظهور بطريقة غير منتظمة أثناء «المرحلة الفمية» Phase orale؛ وتزداد هذه الدوافع بدرجة كبيرة أثناء المرحلة «السادية اسْتية» Sadique- Anale، لأن الطفل، في هذه المرحلة، يسعى في الحصول على اللذة من وراء العدوان وعن طريق وظيفة التبرز. وبذلك يبدأ الاتجاه نحو السلطة أن يثبت، وتتكون عندها نماذج الخضوع أو التمرد ـ المرحلة الثالثة ـ وهي باكورة المرحلة النهائية للحياة الجنسية، يبدأ اهتمام الطفل لا ينصب على الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين، بل ينصب فقط على عضو الذكر التناسلي (القضيب)، وهذه هي المرحلة القضيبية La Phase Phallique.

وبحلول المرحلة القضيبية وفي أثنائها تبلغ الحياة الجنسية للطفل ذروتها ثم تقرب من إنحطاطها. أما من حيث الطباع، فيكون الطبع القضيبي موسوماً برغبة إثبات ملّحة، ويكتنفه الغرور، وإضفاء قيمة على التصرفات الجنسية (الإستعراء، والاستعراض)، وتكون النرجسية Narcissisme محور اهتمام الطفل، فهي تعبر عن نفسها بالحاجة المتطرفة للإثبات والسيطرة. وفي هذا الطور، يدخل الصبي في «المرحلة الأوديبية» La phase Œdipienne ويبدأ في مداعبة قضيبه، ويأخذ في نفس الوقت يتخيل أنه يقوم مع والدته ببعض الأفعال الجنسية. ولكنه، في نهاية الأمر، يشعر بأعظم صدمة في حياته نتيجة لما يصيبه من تهديد بالخصاء menace de Castration، ولما يراه من حرمان المرأة من القضيب. ويمهد ذلك لمرحلة الكمون وما يتبعها من نتائج[1].

---

(1) Ibid- P. 15- et voir aussi: Trois Essais sur la théorie de la sexualité- Trad. Rever-

ويرى فرويد أن العلاقات مع الغير، في هذه المرحلة، تتمحور حول عقدة أوديب، وقلق الخصاء، ورغبة القضيب (عند البنت)، كما تنمو أيضاً آواليات الدفاع، مثل الكبت، والإزاحة، والتسامي. . وتشير عقدة أوديب إلى أنواع مختلفة من المشاكل التي ينبغي على الطفل أن يواجهها وهي: ممارسة الاستمناء Masturbation، وما يرتبط بها من تخيلات الإخصاء، تخيلات متعلقة بجسد الأم، موضوعات القلق حول الغيرة والإمتلاك والكراهية. . ويرى فرويد أنه على قدرة الطفل في هذا الموقف، ونجاحه في تماهيه مع أبيه، تتوقف معالم شخصيته، من الناحية السدية أو المرضية. ويريفرويد أن الطفل يهجر الموقف الأوديبي ويكبته ويقضي عليه، وينمو، حينئذٍ، كحل للصراع الأوديبي أنا أعلى صارم نتيجة تماهي الطفل مع أبيه، ويتضمن هذا الأنا الأعلى المتكوّن في آخر مراحل الطفولة المبكرة كل القيم الأخلاقية الموجودة في المجتمع.

ومن الخطأ أن نظن أن هذه المراحل الثلاث يتبع بعضها البعض بطريقة دقيقة، فقد تظهر كل مرحلة منها قبل أن تنتهي المرحلة السابقة نهائياً. .

ففي المرحلتين الأوليين تأخذ النزوات الجزئية المختلفة تسعى وراء الحصول على اللذة، وهي مستقلة بعضها عن بعض. وتظهر في المرحلة القضيبية العلامات الأولى لنوع من التنظيم الذي يعمل على إخضاع النزوات الأخرى لسلطة الأعضاء التناسلية. وهذا يدل على نشوء نوع من التنسيق ينضوي فيه السعي العام وراء اللذة تحت الوظيفية الجنسية. ولا يبلغ هذا التنظيم كماله إلاّ عند البلوغ في المرحلة الرابعة وهي المرحلة التناسلية La phase génitale.

وتحدث عند ذلك عدة أمور:

١ - تستبقى النفس من الشحنات النفسية الليبيدية السابقة.

---

chom- jouve- Ed. Gal. Paris 1980 P. 78- et voir aussi: Nouvelles Conf. sur la Psy. OP. cit. P. 133, 134-

٢ - تنضم بعض الشحنات النفسية اللبيدية الأخرى إلى الوظيفة الجنسية في صورة أعمال تمهيدية . .

٣ - تطرد بعض النزعات الأخرى من المنظمة النفسية إما بأن تقمع Repression أو تكبت refoulement نهائياً، وإما أن يستخدمها الأنا فتنشأ من ذلك سمات الفرد الخلقية، وإما بأن يعمل الفرد على تساميها sublimation وتبديل أهدافها (إزاحة) léplacement ولا تتم هذه العملية دائماً على نحو كامل. فأنواع الكف Inhibition - التي تتعرض لها أثناء نموها تعلن عن نفسها في صورة الاضطرابات المختلفة التي تصيب الحياة الجنسية، ومن ثم يحدث تثبيت اللبيدو عند بعض الحالات التي مرت في المراحل السابقة، وتتجه حالات التثبيت هذه اتجاهاً مستقلاً عن الاتجاه الجنسي العادي، وهذا ما يعرف بالانحرافات الجنسية.

وقد يبلغ الفرد مرحلة التنظيم التناسلي، ولكن هذا التنظيم يكون ضعيفاً نسبياً بسبب تلك الأجزاء من اللبيدو التي لم تتقدم تقدماً كبيراً وإنما ظلت ثابتة عند بعض الموضوعات والأهداف في المراحل السابقة للمرحلة التناسلية. ويظهر هذا الضعف فيما يبديه اللبيدو من نكوص Régression إلى شحناته النفسية السابقة للمرحلة التناسلية إذا ما حرم من إشباع رغبته التناسلية، أو إذا صادف عقبات في العالم الواقعي الخارجي[1].

تتميز فترة البلوغ، إذن، بدفعة لبيدية قوية مؤكدة نهائياً إختيار موضوع الجنس المغاير؛ ويكون الطبع التناسلي هو طبع التوازن والتسامي.

لقد استخلص فرويد هذا المفهوم عن تكوين الفرد ونموه، مؤكداً الأهمية الغالبة للسنوات الأولى من الحياة وللتاريخ الشخصي للفرد، حيث يمتزج الجانب الواقعي الموضوعي بحقيقة الواقع النفسي الذاتي. كما يؤكد فرويد على أهمية العوامل التكوينية في نشأة العصاب، إذ أن كثيراً من الأعراض المرضية

---

(1) FREUD- Abrégé de Psychanalyse- OP. cit. P.P. 16, 17-

عند البالغين تشتمل على دلالات قديمة لتجربة باكرة جداً، ولأحداث طال أمدها ولفَّها النسيان في أعماق اللاوعي منذ الطفولة[1].

٤ ـ الأواليات الدفاعية ـ

تتحكم في دينامية الشخصية إلى حد كبير إشباع حاجات الفرد الإتصال بموضوعات العالم الخارجي. ويحاول الفرد الوصول إلى حالة من التوافق الطبيعي كلما واجهه عائق يحول دون دوافعه وحاجاته. والفرد السوّي يحاول الوصول إلى هذا التوافق عن طريق الوسائل الإيجابية التي تساعده على تحقيق أهدافه وإزالة ما يترتب على الإحباطات التي تواجهه من توتر وقلق. أما إذا عجز الفرد عن معالجة توافقه بالطرق المعقولة، فإنه يرتد إلى طرق غير واقعية؛ أي أنه يلجأ إلى أساليب غير مباشرة قد تؤدي بطريقة سلبية إلى تخفيف حدة التوتر النفسي وآثاره بصورة مؤقتة. وتعرف هذه الأساليب بآواليات دفاعية لا واعية.

إن آواليات الدفاع Mécanismes de défense هي أنماط مختلفة من العمليات التي لا تستهدف حل الأزمة النفسية، بقدر ما تهدف إلى الخلاص من مشاعر التوتر والقلق والوصول إلى قدر من الراحة الوقتية. وهذه الأواليات هي محاولات يبذلها الأنا للمحافظة على تكامل الذات، وذلك عن طريق تشويه كل ما يشعر الذات بالمهانة والدونية. وتتميز آواليات الدفاع بسمتين مشتركتين: أنها تنكر وتزوّد وتحرف الواقع؛ أنها تعمل بطريقة لا واعية بحيث لا يفطن الشخص إلى ما يحدث.

إنها أساليب لاواعية تسعى لحماية الذات من التهديدات الداخلية والخارجية معاً[2].

---

(1) FREUD- Introduction à la Psychanalyse- Trad. Jandélévitche- Payot, Paris 1981- P. 292-

(2) فراج عثمان لبيب، وعبد الغفار عبد السلام ـ الشخصية والصحة النفسية ـ بيروت ـ مكتبة العرفان ١٩٦٦ ـ ص ١٠٦.

استخدم فرويد مصطلح «الأوالية»، منذ دراسته للظواهر الهستيرية، كي يحيط بواقعة التناسق التي تبديها الظواهر النفسية. وفي نفس الوقت الذي استخلص فيه فرويد فكرة الدفاع وجعلها في أساس الظواهر الهستيرية (وهي النشاط الدفاعي الذي يمارسه الشخص ضد التصورات الكفيلة بتوليد الانفعالات المزعجة)، فإنه قام بتمييز إصابات عصابية أخرى من خلال شكل الدفاع الخاص الذي يمارس فيها: تصدر مختلف الإصابات العصابية عن مختلف العمليات التي ينخرط فيها «الأنا» كي يتجرد من تعارضه مع أحد التصورات[1] ويبرز مصطلح آوالية الدفاع عند فرويد بمعنين مختلفين إلى حد ما: إما للدلالة على مجمل العملية الدفاعية المميزة لأحد أشكال العصاب؛ أو لتضمينها الاستعمال الدفاعي من حالات المصير النزوي، فالتجربة التحليلية النفسية للأعصبة التحويلية ترغمنا على الاستنتاج بأن الكبت ليس آوالية دفاع موجودة منذ البدء، بل هو يتأمن قبل حدوث انفصال واضح بين النشاطين النفسيين الواعي واللاواعي.. وأن ماهية الكبت لا تتمثل إلّا في الإقصاء عن الوعي والإبعاد عنه؛ فقبل أن يبلغ التنظيم النفسي هذا الطور، تقوم المصائر النزوية الأخرى كالقلب إلى الضد، أو الإرتداد إلى الذات، بعبء الدفاع ضد الحركات النزوية[2].

وقد تناول فرويد سلوك المرض بالعصاب، وتحقق من أن كثيراً من الأفعال التي تعارض مصلحة المريض الحقيقية، لها وظيفة وغرض، إذا فهمناها من وجهة نظر المريض. فهناك أفعال كثيرة ينبغي فهمها على أنها نتيجة الصراعات الداخلية للمريض؛ وأفعال غريبة كوسائل للتعامل مع العالم الخارجي، قد تكون مستخدمة كوسائل لحماية الذات من النزعات الداخلية الخطرة والمهددة. فالوسائل التي يتخذها الفرد لتجنب التعبير المباشر عن نزعاته

---

(1) La Planche et Pontalis- Vocabulaire de la Psychanalyse- Ed. P.U.F. Paris 1978- P. 234, 235.

(2) FREUD- Métapsychologie- Trad. La Planche et Pontalis, Ed. Gallimard, Paris 1978- P. 47, 48-

العدوانية هي آواليات دفاع، وهي محاولات توفيق تسعى لحمايته من التهديدات الداخلية والخارجية معاً. ولذلك فآوالية عند فرويد أساليب يتبعها الفرد لمواجهة النزعات الخطرة التي يحتمل أن تؤدي به إلى المتاعب والقلق.

وتبيّن «آنا فرويد» Anna Freud إنطلاقاً من أمثلة محسوسة على وصف تنوع، وتعقيد، ومدى إنتشار أواليات الدفاع، مبنية كيف يمكن أن ينصّب الدفاع ليس فقط على مطالب نزوية، ولكن أيضاً على كل ما يمكنه أن يثير تصعيداً للقلق.

وتذكر آنا فرويد عشرة آواليات دفاع ثابتة: الكبت، والنكوص، والتكوين العكسي، والعزل، والإلغاء الرجعي، والإسقاط، والإحتياف، والإرتداد على الذات، والإنقلاب إلى الضد، والتسامي[1]. وقد ميّزت آنا فرويد أربعة أنواع من آواليات الدفاع، بحسب الظروف التي تستدعيها وهي:

١ ـ آواليات دفاعية تنشأ من الشعور بالذنب، ٢ ـ آواليات دفاعية تنشأ من الخوف من العالم الخارجي، ٣ ـ آواليات دفاعية تنشأ من قوة الغرائز، ٤ ـ آواليات دفاعية تنشأ من الصراع بين الغرائز. وهي توضح، بشكل غير منتظم، دلالة الحلول المتناوبة التي تتهيأ للأفراد إذا منعت إستجابتهم المباشرة أو خنقت[2]. وقد بحثت آنا فرويد احتما الربط بين آواليات دفاع معينة واضطرابات عصابية خاصة: فالكبت يرتبط بالهستيريا، والعزل والإلغاء الرجعي مرتبطين بعصاب الوسواس، والإسقاط يرتبط بالهذاء.

وتهيىء آواليات الدفاع كيفية التفسير لمغزى الأعراض. فالمحلل يهتم بهذه الأواليات من حيث صلتها بأشخاص معينين، أو أحداث معينة. وأن تحليل أشكال آواليات الدفاع هو عبارة عن تفسير الأساليب التي يلجأ إليها المريض

---

(1) آنا فرويد ـ الأنا وميكانيزمات الدفاع ـ ترجمة صلاح مخيمر، عبده مخائيل رزق ـ تقديم مصطفى زيور ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ ص ٤٨ـ

(2) نفس المرجع .

للتخلص من متاعبه. ويعثر المحلل على أمثلة من هذه العلميات بالكشف عن كيفية حدوثها في مجرى العلاقة التفاعلية بينه وبين المريض. فيقوم المحلل بالبحث عن أصل وهم الطفولة، والتحث من دور النمو النفسي ـ الجنسي، ثم البحث عن الأشكال المستخدمة لهذه العملية؛ وربط هذه الأواليات بنموذج متكرر، متحقق بالفعل في مشكلات حياة المريض. ويكتمل التحليل حين يظهر أن لكل حدث دلالته، سواء من ناحية الدوافع الرئيسية في الطفولة، أو من ناحية استجابات المريض الدفاعية ضدها، والتي يتميز بها سلوكه[1].

لا شك أن نظريات التحليل النفسي مثيرة ومتحدية في نفس الوقت، فتصورها للإنسان شامل وعميق، ولها دلالاتها الهامة في العصر الراهن. إنها محاولة لتصوير الكائن الإنساني الذي يعيش في عالم الواقع والوهم في آن واحد، تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية، وتحركه الرغبات والقوى اللاواعية، ورغم ذلك، فهو كائن يسعى، ويفكر واجتماعي...

وإذا كان فرويد قد شدد على العلاقات اللاواعية والدوافع اللبيدية وأثرها البالغ في السلوك الإنساني، فقد استطاعت بعض الاتجاهات الاجتماعية والأنتروبولوجية أن ترد القوى النفسية للإنسان إلى المجتمع والثقافة والحضارة.

FREUD- Ma Vie et la Psychanalyse- Trad. Bonaparte- Ed. Gallimard, Paris 1968- (1) P. 42-

النظريات النفسية الاجتماعية -

١ - نظرية الشخصية عند فــروم -

قدم فروم FROMM إتجاهاً جديداً في التحليل النفسي عندما ابتعد عن التفسير الفرويدي البيولوجي للسلوك، وأكد أهمية التغيرات الاجتماعية في تكوين الشخصية وتحديد السلوك الإنساني، وبيّن أن شخصية الفرد هي نتيجة التفاعل بين العوامل الفطرية للفرد وبين تجارب الطفولة في مجتمع الأسـرة والتجارب المتأخرة في الجماعة.

إن الموضوع الأساسي لجميع أبحاث فروم هو أن الإنسان يشعر بالوحدة والعزلة لأنه قد انفصل عن الطبيعة وعن بقية البشر. وحالة العزلة هذه هي الموقف الإنساني المميز بين سائر الكائنات. وقد طور فروم هذا المفهوم حين طرح فكرة أن الإنسان بقدر ما حقق من حرية عبر التاريخ بقدر ما كان شعوره بالوحدة. إن فروم يثير إشكالية فلسفية لمفهوم الحرية بالنسبة للإنسان الحديث. فالإنسان الحديث الذي تحرر من قيود الإقطاع، ومن سيطرة الدولة المطلقة المتسلطة، لم يحقق الحرية بالمعنى الإيجابي الخاص بتحقيق ذاته الفردية، والتعبير عن إمكانياته العقلية والانفعالية. وعلى الرغم من أن الإنسان الحديث له حرية الاختيار فيما يريد، فإن ثمن هذه الحرية هو العزلة والخوف من أن يترك وحيداً مستلباً Aliéné في العالم.

ولذلك إذا أردنا أن نفهم الفرد فإنه يتوجب علينا أن نراه داخل الحضارة

التي تشكله؛ وأن فهم نفسية الإنسان لا بد أن يبنى على تحليل حاجاته النابعة من ظروف وجوده.

يعارض فروم الاتجاه الحتمي الفرويدي ويرفض حتمية السلوك الإنساني. ويؤكد قدرة الإنسان على مواجهة المشكلات والمواقف وحلها. فالإنسان يولد حاملاً معه إمكانيات إنسانية يمكن لها أن تنمو تحت تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

١ ـ الحاجات الإنسانية ـ

الحاجات النوعية عند فروم هي إنسانية وموضوعية، وهي حاجات أصبحت جزءاً من طبيعة الإنسان خلال مجرى التطور والإرتقاء.

إن هناك احتياجات لا غنى للطبيعة الإنسانية عنها وهي تحتاج لإشباع ألا وهي تلك الحاجات الكامنة في الجهاز الفيزيولجي للإنسان مثل الجوع والعطش والحاجة إلى النوم ـ أن هدف الحاجات المشروطة فيزيولوجياً هو الحفاظ على الذات. إذ أن حاجة حفظ الذات هي ذلك الجزء من الطبيعة الإنسانية التي تحتاج إلى إشباع في ظل كل الظروف، ومن ثم تشكل الدوافع الأولى للسلوك الإنساني.

غيرأن الظروف الفيزيولوجية ليست هي الجانب الوحيد في طبيعة الإنسان، فهناك جانب آخر بالمثل قائم في صميم الحالة الإنسانية وممارسة الحياة: الحاجة إلى التعلق بالعالم، أي الحاجة إلى تجنب الوحدة؛ فالشعور بالوحدة والعزلة تماماً يفضي إلى الموت. فالفرد يتعلق بالأفكار وبالقيم التي تعطيه شعوراً بالتواصل، أي أنه يمّت إلى شيء. والتعلق الروحي بالعالم يمكن أن يتخذ أشكال عدة: فالدين والمباديء السياسية والإيديولوجية، وكذلك أي معتقد مهما كان عبثاً إن كان يربط الفرد بالآخرين هي ملاذ مما يخشاه الإنسان من العزلة. فالإنسان عندما تأنس، قد تمزقت لديه الرابطة الأولية بالطبيعة،

وأصبح عليه أن يخلق علاقات خاصة به، وأكثرها تحقيقاً للإشباع هي تلك القائمة على الحب الخلاق[1].

فالفرد لا يستطيع أن يعيش منعزلاً، بل أنه دائماً يحتاج إلى الآخرين. فالحاجة إلى الآخرين تجربة يمارسها الفرد، وهي تبدأ منذ الطفولة عندما يشعر الطفل بعجزه عن الاعتماد على نفسه لتحقيق حاجاته الأولية، وإحساسه بالارتباط بالآخرين مسألة حياة أو موت، وشعور بالخطر في وحدته. وعلى أساس العجز الواقعي للطفل أن يعتني بنفسه بالنسبة لكل الوظائف الهامة، فإن التواصل مع الآخرين هو مسألة حيوية هامة. وإمكانية ترك الطفل وحيداً هي بلا شك أكبر تهديد خطير لوجوده.

ويؤكد فروم أن الحاجة إلى الارتباط بالآخرين «الانتماء»، والإحساس بالارتباط بعلاقات جذرية، والتسامي، حاجات حيوية وهامة عند الإنسان، فهي تشبع حاجاته بالشعور بالذات، وتنمي إحساسه ووعيه بذاته، ولن يستطيع أن يصير إنساناً عاقلاً مالم يجد طريقة لإشباع هذه الحاجات كما أنها ضرورية أثناء وعي الإنسان بذاته، وهي تنمو أثنا عملية الانفكاك عن الروابط الأولية التي تربطه بالطبيعة والأم.

ويبدو أن فروم يحدد طبيعة مشكلات علم النفس الاجتماعي واهتمامها بالحاجات الأساسية للإنسان، فهو يرى أن الطبيعة الإنسانية Nature humaine ليست نتيجة كلية ثابتة وفطرية بيولوجياً للدوافع، كما أنها ليست ظلاً باهتاً للنماذج الحضارية التي تكيف نفسها معها؛ إنها نتاج التطور الإنساني، لكنها أيضاً لديها آواليات معينة وقوانين معينة كامنة. هناك عوامل معينة في طبيعة الإنسان ثابتة ولا تتغير: ضرورة إشباع الدوافع المشروطة فيزيولوجياً وضرورة

---

(1) فروم أريك ـ الخوف من الحرية ـ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ المؤسسة العربية للدرسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٢، ص ٢٢ـ ٢٥.
انظر كذلك: هول ـ ليندذي: نظريات الشخصية ـ ترجمة فرج، ولطفي فطيم ـ دار الشايع للنشر، الكويت ١٩٧٨، ص ١٧٤.

تجنب العزلة والوحدة الخلقية[1]. إن علاقات الإنسان مع الآخرين وحاجاته إلى هذه العلاقات هي مشكلة نفسية، وأن حلّ هذه المشكلة يكمن في أنواع الارتباط المحدد للفرد مع العالم ومع ذاته لإشباع حاجاته. والمسألة الهامة عند فروم هي علاقة الإنسان بالمجتمع. فعلاقة الإنسان بالمجتمع وحاجاته إلى الآخرين لا تظل ثابتة كما هي، بل تتغير وتتطور عندما يتغير المجتمع، ويمارس سلطته لكبت دوافع الفرد أو يسمح له بإشباع محدد يتلاءم مع طبيعة العلاقات الاقتصادية القائمة بين الأفراد.

وهكذا فإن نمط الحياة الذي يتحدد للفرد عن طريق تفردية نظام اقتصادي يصبح العامل الأولي في تحديد بناء شخصيته الكلية، وذلك لأن الحاجة الملحة للحفاظ على الذات ترغمه على تقبل الظروف التي عليه أن يعيش في ظلها[2].

فالمجتمع عامل هام في تكوين شخصية الفرد، ولا تؤثر العلاقات الاجتماعية في توجيه الطفل فقط، بل تؤثر أيضاً في الأسرة وتحور أفعالها وسلوكها وتغير مشاعرها نحو الطفل. وهذا يعني أن السنوات الأولى ليست وحدها السنوات الحاسمة في تقدير السلوك ومصير الشخصية.

إن فروم يعطي للشخصية بعداً اجتماعياً إلى جانب البعد البيولوجي والبعد النفسي؛ فهو يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن ينسلخ عن المجتمع والآخرين ويعيش حراً متحرراً من كل القيود سعياً وراء رغباته ونزعاته.. فالإنسان لا يستطيع أن ينفصل عن الظروف الاجتماعية التي تحيط به، وبالتالي فالفرد يعاني من إزدواجية في ميوله واتجاهاته: الإزدواجية بين إتجاهه الاجتماعي وإشباع المطالب البيولوجية، والإزدواجية بين مطالب السلطة والحاجة إلى الحرية.

---

(1) فروم ـ نفس المرجع ـ ص ٢٦.
(2) المرجع السابق ـ ص ٢٣.

٢ ـ الإنســان والمجتمــع ـ

لقد بدأ التاريخ الاجتماعي للإنسان بنزوغه من حالة التماهي مع العالم الطبيعي إلى وعي بنفسه كذاتية منفصلة عن الطبيعة والناس المحيطين به. لقد استمر الفرد في أن يظل مرتبطاً تماماً بالعالم الطبيعي والاجتماعي الذي منه انبثق، وبينما هو يدرك جزئياً نفسه كذاتية منفصلة، شعر بأنه جزء من العالم الذي حوله[1].

لقد اتجه فروم منحىً جديداً، في التحليل النفسي، عندما بيّن أن الإنسان يرتبط بالمجتمع ارتباطاً ضرورياً من خلال نشاطه الانتاجي، والعمل le travail هو أساس هذه الرابطة، فالإنسان يجب أن يعمل ليعيش ويحقق شخصيته كموجود اجتماعي مستقل، وبالعمل يرتفع عن مستوى الحيوانية، ويتحرر من الطبيعة وقيودها، ويؤكد نفسه ككائن منتج واجتماعي. ويؤدي العمل الذي يقوم به الإنسان مع غيره من الناس إلى تغيير الظروف المحيطة به، وتغيير خصائصها، كما يدفع العمل الإنسان إلى تغيير ذاته وتكييف شخصيته بالنمط الخاص للحياة. فالعمل هو أساس ارتباط الإنسان بالآخرين والعالم المحيط به، وهو ذو قيمة اجتماعية واقتصادية؛ إذ يحرر العمل الإنسان من قيود الطبيعة وسيطرتها عليه، كما يعبر عن قدرة الإنسان الخلّاقة وسيطرته على الطبيعة، وإعطائه قيمة ذاتية.

لقد انطلق فروم من وجهة نظر تهدف إلى تفسير الإنسان ومشكلاته في المجتمع الحديث، وأشار إلى أن المشكلات التي يعاني منها الإنسان في المجتمع تنبع من تصوره لمعنى الحرية la liberté

فالإنسان لأسباب اجتماعية ـ اقتصادية وسياسية يبحث عن معنى الحياة في صورة الإنتماء. لكن إنتمائه إلى الآخرين تولد لديه نتيجة مغايرة تجعله يفقد

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٧ .

حريته، ويشعر بأنه مجرد آلة، ومن ثم فإن أسباب التوتر النفسي هو شعور الإنسان المتنامي بالوحدة[1].

ويرى فروم أن القسم الأكبر من صراع الإنسان في هذا العالم لا يمكن تفسيره فقط بقوى غريزية، فالنشاط الإنساني لا يقتصر على إشباع حاجاته الفيزيولوجية، بل إن الإنسان عندما يشبع هذه الحاجات الأساسية، يبدأ في السعي وراء السلطة والفردية. ولذلك فبينما تحدث عملية الإصطباغ بالصبغة الفردية فإن نمو النفس يتعرقل لأسباب عديدة فردية واجتماعية. وتنتهي هذه الهوة بين هذين التيارين إلى شعور لا يطاق بالعزلة والعجز؛ وهذا يفضي بدوره إلى آوانيات نفسية وفيه: الهروب. ولكن الإنسان يعاني من صراع نفسي نتيجة إحساسه بأن أسلوب الهرب الذي يستخدمه يولّد نفس النتائج التي حاول أن يتجنبها لعدم مواجهة المشكلات.

لقد بيّن فروم أن الإنسان الحديث الذي تحرر من قيود الطبيعة والسلطات الإستبدادية المطلقة لم يحقق حريته الإنسانية بالمعنى الإيجابي؛ فعلى الرغم من أن الحرية قد جلبت له الاستقلال، فإن الاتجاهات الحديثة (الديكتاتورية، والنظام الرأسمالي) قد عزلته ومن ثم جعلته قلقاً وعاجزاً. والحلول التي اتخذها الإنسان هي إما الهرب من حمل الحرية إلى تبعيات جديدة وخضوع لسلطة جديدة أو التقدم إلى التحقق الكامل للحرية الإيجابية القائمة على التعبير الكامل لفردية الإنسان.

يفسر فروم الإنسان بعوامل اجتماعية واقتصادية، وهو يرى أن قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج يحددان شخصية الفرد وطبيعة الأخلاق، وأنماط السلوك. وينكر فروم الاتجاه اللبيدي في تفسير السلوك الإنساني، ويرى أن القوى الدافعة لسلوك الإنسان تنبع من ظروف وجوده الاجتماعي، وأن الإحباطات الجنسية ليست هي سبب الصراعات النفسية التي يعاني منها الإنسان، فإن كل أنواع

---

(1) المرجع السابق - ص ٣١.

الصراعات والمرض النفسي في المواقف والتجارب التي يوجد فيها الإنسان هي نتائج لتفاعل الأنماط الثقافية والاقتصادية السائدة. ومن ثم فأساس العواطف الإنسانية والانفعلات تحددها الحاجة إلى الارتباط والتسامي، وهي نتيجة تفاعل المجتمع والطبيعة والإنسان. فالتنظيم الاقتصادي والسياسي للمجتمع، والبناء الداخلي للعلاقات الاجتماعية، والتأثير المتبادل بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، كلها عوامل تحدد أفعال الأفراد، وتساعد على تكوين العناصر المكونة لبناء الشخصية والتي تدفعها إلى القيام بفعل معين في مواقف معينة. فالمجتمع إذن هو الذي يكوّن الشخصية ويحدد بناءها، ونموها، غير أنه لا يمتص الشخصية كلها. إن طبيعة الإنسان وانفعالاته وأشكال قلقه هو نتاج حضاري[1].

غير أن الإنسان لا يصنعه التاريخ فحسب، فالتاريخ يصنعه الإنسان أيضاً. يبين لنا فروم كيف أن طاقات الإنسان المشكلة هكذا في أشكال نوعية تصبح بدورها قوى منتجة تعدل من العملية الاجتماعية.

٢ ـ الشخصية الاجتماعية ـ

إن فروم هو أول من اهتم بالطابع الاجتماعي للشخصية، وأكد أهمية المجتمع وظروفه الاجتماعية والسياسية في تغيير القدرات الفطرية إلى قدرات اجتماعية التي هي نواة الشخصية الاجتماعية التي يشترك فيها مجموعة من أعضاء الثقافة الواحدة، والتي تتباين من شخص لآخر داخل الثقافة الواحدة. ففي تحليله للجانب النفسي لمختلف المجتمعات التاريخية، يستنتج فروم أن هناك سمة ثابتة في كل منها، فللأفراد في أي مجتمع بينهم شيء ما مشترك يوجد في خصائصهم النفسية، على الرغم من وجود اختلافات نفسية بين الأفراد. هذا العنصر المشترك يسمّيه فروم «الشخصية الاجتماعية» Personnali-té sociale والتي يفهم بواسطتها «النواة الجوهرية لمكوِّن الشخصية في معظم

---

(1) المرجع السابق ـ ص ١٩.

أعضاء الجماعة التي تطورت نتيجة التجارب الرئيسية ونمط الحياة المشترك في تلك الجماعة»[1].

يرى فروم أنه توجد في كل مجتمع بنية شخصية مشتركة بين غالبية جماعات وطبقات المجتمع. وهذه الشخصية هي النواة النفسية للفرد التي تشكل سلوكه، وانفعالاته، وأنماط تفكيره، أي إدراكه الكلي للعالم الخارجي وعلاقته مع هذا العالم. أي أن كل ما يفكر فيه الفرد أو يشعر به، له جذوره في شخصيته، فالشكل العام لحياته العملية يشكل الشخصية. ويرى فروم أن وظيفة الشخصية الاجتماعية هي أن تصوغ وتوجه الطاقة الإنسانية داخل المجتمع بحيث تستهدف استمرار ووظيفة المجتمع. ولذلك فإن أهمية الشخصية الاجتماعية تتوقف على واقع أنها تتيح للفرد التكيف مع متطلبات المجتمع - فالشخصية، بالمعنى الدينامي، هي «شكل نوعي فيه تتشكل الطاقة البشرية بالتكييف الدينامي للحاجات الإنسانية مع النمط الخاص للوجود لمجتمع معين»[2]. إن شكل هذا التكيف وبالتالي الشخصية الاجتماعية، عند فروم، يتحددان بنمط البنية الاجتماعية السائدة - إن الإنسان بتكيفه مع الظروف الاجتماعية إنما يطور المهام الموضوعية التي عليه أن يتطابق معها في المجتمع، وعلى ذلك فالشخصية الاجتماعية تبطّن الضرورات الخارجية ومن ثم تسخّر الطاقة الإنسانية من أجل نظام اقتصادي واجتماعي معين[3].

وإذا كانت شخصية الفرد تتطابق، بشكل أو بآخر، مع الشخصية الاجتماعية، فإن الدوافع السائدة في شخصيته تؤدي به إلى عمل ما هو ضروري ومرغوب في ظل الظروف الاجتماعية الخاصة لحضارته. فالوظيفة الذاتية للشخص السوي هي أن تفضي به إلى التصرف حسب ما هو ضروري بالنسبة له

---

(1) فروم - المرجع السابق - ص ٢٢١ - وانظر كذلك: دوبرينكوف - الفرويديون الجدد، محاولة لإكتشاف الحقيقة - ترجمة محمد يونس، دار الفارابي بيروت ١٩٨٨ - ص ٧٣.
(2) فروم - المرجع السابق - ص ٢٢٢.
(3) نفس المرجع - ص ٢٢٦.

من وجهة نظر عملية وكذلك أن تعطيه رضاء من نشاطه من الناحية النفسية. ولذلك فالإنسان بتكيفه مع الظروف الاجتماعية إنما يطور تلك المعالم التي تجعله يرغب في أن يتصرف بالشكل الملائم؛ ومن ثم فإذا كانت شخصية غالبية الأفراد في مجتمع معين ـ أي الشخصية الاجتماعية ـ تتكيف مع المهام الموضوعية للظروف الاجتماعية السائدة التي على الفرد أن يتطابق معها في المجتمع، فإن طاقات الأفراد تتعدل على نحو يجعلها قوى إنتاج تساعد على أداء المجتمع لوظائفه(1).

ولكن على الرغم من أن الإنسان يتشكل بنمط وجود مجتمع معين، فإنه لا يتكيف إلى مالانهاية: فهناك صفات سيكولوجية موروثة في الإنسان تحتاج إلى إشباع وهي تسبب ردود فعل معينة إذا أحبطت. وأهم هذه الصفات هو الميل إلى النمو والتطور وتحقيق الإمكانيات التي طورها الإنسان خلال التاريخ الاجتماعي لوجوده، وهذه الإمكانيات لها آواليات نفسية خاصة بها. فإذا حدث أن كبتت أو أحبطت تلك الميول، فإن مثل هذا الكبت يؤدي إلى ردود أفعال جديدة، أي يؤدي إلى تكوين الدوافع التدميرية أو التكافلية.

ومن هنا يرى فروم أنه بالرغم من أن تطور الشخصية يتشكل بالظروف الرئيسية للحياة، وبالرغم من أنه لا توجد طبيعة إنسانية محددة بيولوجياً، فإن للطبيعة الإنسانية ديناميه خاصة بها تشكل عاملاً فعالاً في تطور العملية الاجتماعية(2).

يتجه فروم، في محاولته لإعادة تفسير أفكار التحليل النفسي، إلى مسألة وجود الإنسان، وهو يبحث المواقف الحياتية المتكونة في المجتمع الحديث، والعوامل الاقتصادية ـ الاجتماعية لتطور الحضارة، يهدف إلى كشف خصائص تكون طبع Caractère الشخصية في نظام اجتماعي معين. ويرى فروم أن تطور الحضارة يرافقه نشو عدد من التناقضات: فالإنسان الحديث الذي تحرر من قيود

---

(1) نفس المرجع ـ ص ٢٢٦.

(2) نفس المرجع ـ ص ٢٢٩ـ ٢٣٠.

المجتمع السابق على المرحلة الفردية، يقع في الوقت نفسه تحت عبء الحرية والخضوع لتبعيات جديدة، وبابتعاده عن الدين، يكتشف الإنسان أنه قد خلق بنفسه، أوهام جديدة، الاستقلال والقوة، ويصبح أكثر استلاباً Aliéné في ظل المدنية الجديدة، سواء عن نتاج عملية، أو عن الناس الآخرين، أو عن نفسه، مما يولد له شعور بالعجز والقلق، وفقداً لفرديته الشخصية وتفرده، من حيث هو كائن بشري. ومن هنا يرى فروم أن حرية الإنسان واستلابه يمثلان قطبان لعملية تاريخية واحدة من تطور المدنية الإنسانية. بتعبير آخر، إن «الوجود الإنساني والحرية هما منذ البداية غير منفصلين».

ويرى فروم أن حرية الإنسان تتمتع بمعناها السلبي «تحرر من» أي التحرر من الجبرية الغريزية لأفعاله، وبمعناها الإيجابي «حرية لـ» فتطور الإنسان يسير في طريق تحقيق «التحرر من»، ولكن كلما ازدادت درجة هذا التحرر أصبح الإنسان أكثر تبعية له. ويبدأ هذا «التحرر من» بإضطهاده، ليتحول إلى قوة غريبة عنه، تعلو عليه.

ونتيجة لذلك يغدو الإستلاب عاملاً من عوامل الوجود البشري أكثر تجلياً، وشمولاً، وبالتالي، يفقد الإنسان الحديث ذاته، وتسد الطريق أمام تطوره الإنساني الكامل، إنها تقف في طريق تطوير عقله وقدراته النقدية؛ أي أنها تقف عقبة في طريق تطوره كفرد حرّ محدد لذاته منتج. وهذا يعني تنمية العزلة والقلق، ومن ثم ينمو الشك فيما يتعلق بدور الإنسان في الكون ومعنى حياة الإنسان والشعور النامي بعجز الإنسان ويفقد معناه كفرد[1].

يبحث فروم، في تحليله لاستلاب الشخصية في المجتمع الحديث، عن تحول قوى الفرد الحيوية، في مسار النشاط البشري إلى «شيء» غريب عنه، معارض له؛ كما يبين تبعيات أخرى لتقديس الإنسان، سواء أكانت معتقدات، أو التسلطية الحديثة، أو النرجسية الفردية، التي تبرز في شكل تمثيل معين للعالم الخارجي من خلال الأنا الداخلية المرتبطة بالمنجزات الاجتماعية. إذ

(1) نفس المرجع ـ ص ٣٣ ـ ٣٦.

«ويمكن للأفكار أن تصبح قوى متينة ولكن حسب المدى الذي تكون به تلبيات لحاجات إنسانية نوعية من شخصية اجتماعية معينة»[1].

ويطمح فروم إلى إيجاد أساليب وطرحه حل الأشكال المختلفة لاستلاب الإنسان، وإظهار أفق التطور الحر للفرد.

ويمكن القول، بعد عرض الإطار العام لآراء فروم أن الطبيعة الإنسانية محددة أساساً تاريخياً، بالرغم من دلالته العوامل البيولوجية. وإذا كان فرويد ينظر إلى الإنسان كذات زودته الطبيعة بدوافع مشروطة معينة فيزيولوجية، وأنه يفسر تطور شخصيته كرد فعل على الإشباعات والإحباطات الخاصة بهذه الدوافع، في حين ينظر فروم إلى الشخصية الإنسانية من خلال علاقة الإنسان بالعالم والآخرين والطبيعة ونفسه، أي الإنسان ككائن اجتماعي. وبناء على ذلك، فالحاجات والرغبات التي تتمركز حول علاقات الفرد بالآخرين مثل الحب والكراهية هي ظواهر نفسية، وليست نتائج ثانوية من الإحباطات أو الإشباعات الخاصة بالحاجات النزوية.

وإذا كانت المعالجة النفسية التي تميز تفكير فرويد والتي بها تكون الظواهر الحضارية كامنة في العوامل النفسية الناجمة عن الدوافع النزوية التي تتأثر بدورها بالمجتمع من خلال عملية الكبت، فإن فروم يفترض، على عكس ذلك، إن الأفكار، والإيديولوجيات، والمعتقدات، والحضارة كامنة في الشخصية الاجتماعية هي نفسها ممتزجة بنمط وجود مجتمع معين، وإن المعالم السائدة للشخصية تصبح بدورها قوى إنتاج تشكل العملية الاجتماعية[2].

إن الاختلاف بين اتجاه فرويد البيولوجي، واتجاه فروم الاجتماعي أهمية بالغة فيما يتعلق بمشكلات سيكولوجية الشخصية.

---

(1) نفس المرجع ـ ص ٢٢٤.
(2) نفس المرجع ـ ص ٢٣٥.

٣ - الشخصيـة العصابيـة عند هورنـي -

اهتمت «هورني» K. Horney بالعوامل الثقافية والظروف الاجتماعية لحياة النـاس. واتخذت مـوقفاً نقـدياً من النـظريات الفـرويديـة، خاصـة فيما يتعلق بالحتمية الجنسية للسلوك الإنساني.

وتسعى هورني في دراساتها إلى طرح أهمية المسائل الثقافيـة في دراسة الشخصية وطبيعة الصراعات الداخلية للفرد ونشوء العصاب.

إن مفهوم هورني الأولي هو القلق الأساسي: من حيث أن كل ما يؤدي إلى إضطراب شعور الطفل بالأمن في علاقته بوالديه يؤدي إلى القلق الأساسي. إن هورني لا تقصر الصراع على أساس الدوافع الغريزية، وإنما تربطه بالحاجة إلى الأمن، من حيث أن الفرد يعيش في عالم عدواني.

فالطفـل القلق الذي ينعـدم لديـه الشعور بـالأمن ينمّي أساليـب مختلفـة ليواجه بها ما يشعر به من عزلة وقلق. وبـالتالي فقـد يصبح عـدوانياً ينـزع إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه أو أساءوا معاملته، أو قد يصبح خاضعاً حتى يستعيد الحب الذي فقده، أو قد يكوّن لنفسه صورة مثالية ليعوض ما يشعر به من نقص.

فإذا لم يستطع الحصول على الحب، فقد يلجأ إلى تحقيق القوة والسيطرة على الآخرين، وبهذه الطريقة يعوّض إحساسه بالعجز، ويجد منفذاً لعدوانيته، وهكذا يصبح لديه الميل للسيطرة والتنافس.

وقد يصبح أحد هذه الأساليب على قدر من الثبات في شخصية الفرد، أي قد يلجأ الفرد إلى أسلوب محدد منها صفة الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية. وترى هورني أن هذه لحاجات تكتسب نتيجة محاولتـه العثور على حلول لمشكلة إضطراب العلاقات الإنسانية، غير أن هذه الحاجات هي عصابية لأنها حلول غير واقعية للمشاكل.

- الحاجة العصابية للحب: وتتميز هذه الحـاجة بـالرغبـة في بذل كـل الجهود

للحصول على حب الآخرين. وهو يكون بالغ الحساسية لأية علاقة قائمة على النبذ.

- الحاجة العصابية إلى الآخر: إن الفرد يسعى دائماً إلى تأكيد الحب، ويخاف من الهجر وأن يترك وحيداً.
- الحاجة العصابية إلى القوة: وتعتبر هذه الحاجة عن نفسها في الشوق إلى السلطة، والتمجيد للقوة واحتقار الضعف.
- الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي: إن من لديه هذه الحاجة يكوّن لنفسه صورة متضخمة ويرغب في أن يكون محط أنظار الآخرين.
- الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتي: عندما يفشل الفرد في محاولاته العثور على الحب والعلاقات الإيجابية مع الغير، يعزل نفسه، ويبتعد عن الآخرين.
- الحاجة العصابية إلى الكمال: إن خوف الفرد من الوقوع في الخطأ يحاول أن يجعل من نفسه بعيداً عن النقد، ولذلك فهو يبحث عن عيوبه لإخفائها قبل أن تتضح للآخرين.

إن هذه الحاجات هي المصادر الأساسية التي تنمو منها الصراعات الداخلية، فهي ترجع في الأساس إلى النزاع بين مطالب تلك الحاجات وإمكانية تحقيقها في الواقع الموضوعي.

وتدرج هورني هذه الحاجات تحت ثلاث فئات:

- التحرك نحو الآخرين، كالحاجة إلى الحب.
- التحرك بعيداً عن الآخرين، كالحاجة إلى الاستقلال.
- التحرك ضد الآخرين، كالحاجة إلى القوة[1].

وتمثل كل فئة من هذه الفئات اتجاهاً أساسياً نحو الذات ونحو الآخرين. وتجد هورني في هذه الاتجاهات المختلفة الأساس للصراع الداخلي. إن تصنيف هورني لهذه الاتجاهات المختلفة للشخصية، تحاول أن تكشف عن

---

(1) Horney K. La Personnalité Névrotique de notre temps- Trad. Jean, Ed. L'arch. 1978, Paris P. 25.

جوهر الشخصية العصابية؛ وهي تبيّن أن هذه الاتجاهات موجودة لدى الإنسان السوي والشاذ على حد سواء، والفرق بينهما هو في الدرجة. وإن ما يظهر في الفرد هو الاتجاه السائد، بينما تعمل الاتجاهات الأخرى في الخفاء. فالفرد يتوجه بحسب الاتجاه السائد لديه، والذي يحدد سلوكه ونشاطه.

- وتتصف الشخصية العصابية، في نظر هورني، بالجمود وعدم المرونة، وهي تقع دائماً بين هدفين متضاربين تسعى إليهما

وتتصف الشخصية العصابية، في نظر هورني، بالجمود وعدم المرونة، وهي تقع دائماً بين هدفين متضاربين تسعى إليهما في وقت واحد. فالشخص العصابي يستخدم بسبب زيادة قلقه الأساسي حلولاً غير منطقية، وقد يلجأ إلى وضع صورة مثالية لذاته تختفي فيها، شكلياً الاتجاهات المتصارعة.

وترى هورني أنه يمكن حلّ هذه الصراعات أو تجنبها إذ نشأ الطفل في أسرة يتوفر فيها الأمن والثقة والحب والدفء العاطفي. فالصراع ينتج من تناقضات الظروف الاجتماعية، والعصبي هو شخص مرّ بتجارب أليمة محددة ثقافياً بصورة حادة.

بعبارة أخرى، تحاول هورني تفسير الأمراض العصابية في ضوء العوامل الثقافية وأثرها على صراعات الشخصية. وهنا ينبغي تحليل القيم السائدة في المجتمع، ومعرفة التكوينات الداخلية للفرد. فالعوامل الأساسية التي تؤدي إلى العصاب تكمن في الثقافة السائدة والظروف الاجتماعية القائمة، خاصة في ظل المجتمعات القائمة على التنافس والسيطرة والاستغلال.

٤ ـ الاتجاه الأنتروبولوجي والشخصية ـ

لم تقتصر دراسة الشخصية على علماء النفس، بل كانت موضع اهتمام بعض علماء الأنتروبولوجيا. إذ سمحت أعمال الأنتروبولوجية الثقافية Anthropologie Qulturelle وعلماء النفس بدراسة مدى تغيرات السلوك الإنساني، لإستكشاف مرونة الفرد ورؤية أهمية المتغيرات الثقافية الاجتماعية في تكوين الشخصية.

وقد ظهرت نزعات قوية في المدرسة الأنتروبولوجية الأميركية تؤكد ضرورة تطبيق مفاهيم علم النفس، وخاصة نتائج التحليل النفسي، عند دراسة المجتمعات البسيطة والمتجانسة لفهم تكوين ثقافات هذه المجتمعات وتركيبها. ويعرف هذا الاتجاه باسم «الثقافة والشخصية». ومن أهم أصحاب هذه الاتجاه: «مالينوفسكي» و«ميد»، و«كاردنر» و«لنتون»، و«روهايم». . . ويحاول أصحاب هذا الاتجاه ربط العناصر الثقافية بمتغيرات الشخصية، وبالتالي تفسير أثر العوامل الثقافية على بناء الشخصية، وكذلك أثر العوامل الثقافية على السلوك الفردي والدوافع الإنسانية.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الثقافة لا يمكن أن تفهم بمعزل عن الأشخاص، كما أن الشخصية لا يمكن أن تدرك من الاتجاه الثقافي العام الذي يشكل جوهرها ومضمونها، ويحدد سلوكها وأنماطها؛ فهناك ثمة عوامل متداخلة بين الثقافة والشخصية.

ويمثل اتجاه الشخصية والثقافة الاهتمام بأثر الثقافة على الفرد، والعلاقة بين الشخصية وبعض الأشكال الثقافية، مثل الأنماط الثقافية والأفكار، والنظر إلى العالم، ونفسية الشعوب. لقد كان للأنتربولوجيا الثقافية فضل توجيه الاهتمام بدراسة عضوية الشخص في الثقافات والطبقات والجماعات، وتأكيد أهمية عوامل البيئة في تشكيل الشخصية والسلوك.

بالرغم من أن «مالينوفسكي» Malinowfske لم يكن منسجماً تماماً مع التحليل النفسي إلّا أنه أول من استخدم أفكار التحليل، بطريقة فعالة، في الأنتروبولوجيا لدراسات المجتمعات البدائية. وبدراسته عن نماذج الثقافة يبدأ مشروع الربط بين الثقافة والشخصية بداية هامة؛ وقد اتخذت هذه الدراسات من نظرية فرويد في النمو النفسي الجنسي نقطة الانطلاق؛ ولكنها لا تؤكد التشابه، بل تؤكد الاختلاف بين ثقافة وثقافة أخرى. فهي ترجع التثبيت لا إلى الخصائص الداخلية في الليبدو أو الطاقة الجنسية، بل إلى الأساليب الشائعة في تربية الأطفال.

لا يقبل مالينوفسكي بثبات الغرائز وتركزهـا، فما يميـز الإنسان هـو كون الغرائز طيّعة، وفي جزء كبير منها متحولة، ومقبولة بفعـل الوسـط الاجتمـاعي. فالميول الفطرية موجودة فعلاً في الإنسان، ولكن صـاغتها العـوامل الحضـارية والنماذج التي تقترحها الحضارة المحيطة. فالحضـارة Civilisation، بالنسبـة لماينوفسكي، تبرز ميول الإنسان الطبيعية أكثر مما تكبتها.

ويستخلص مـالينوفسكي، من دراسـاته للمجتمعـات البدائيـة، أن عقـد الإنسان موجودة فعلاً، لكنها نتاج التربية والوسط الاجتماعي، أو بعبارة أخرى، تحول الغريزة بواسطة الثقافة Culture.

ويذهب مالينـوفسكي إلى حد الاهتمـام بتبيان أن «عقـدة أوديب» ليست ظاهرة عالمية، شمولية، بل يوجد مكانها عقدة أخرى، ترتبط مع نمط جديد من المجتمـع (مجتمـع التـروبريـان الـذي درسـه مـالينـوفسكي): قـد نجـد في المجتمعات الأموية عقدة أخرى، تتميز بالعلاقـة المحرمـة مع الأخت وبـالكره الموجه نحـو الخال. ومن خـلال متابعـة دراسته، استـطاع مالينـوفسكي إدراك العلاقة المحرمة مع الأخت كانت فعلاً تعذب روح الكثير من الأهالي وأن هذه النزوة المكبوتة كانت تترجم في الأحلام والتي تترك عند الفرد النائم انطباعات مرهقة من الخجل والقلق أثناء اليقظة[1].

ويستنتج مالينـوفسكي، من خلال الـوقائـع التي جمعها، أن الميـل إلى المحرم عند إنسان «التروبريان» لا يكمن في الزواج بالأم، بل الزواج بالأخت وفي موت الخال. وبالتالي، توجد عقدة أموية إلى جانب العقـدة الأبويـة التي درسها فرويد تحت مشكلة «عقدة أوديب».

على كل حال، كان مالينوفسكي رائداً في افتتاح مجال واسع من العمل التحليلي الأنتـروبولـوجي في تحديـد السمـات والنمط الأسـاسي للشخصيـة. وراحت الأنتـروبولـوجيا مـع «روث بنديكت» R. Benedict تكتشف التعـدديـة

---

(1) Malinowske- La sexualité et sa répression dans la sociétés primitives- Trad. Jank-élévitch- Ed. Payot, Paris 1980- voir P. 225-

الحضارية ونسبية الشخصيات تبعاً لتنوع الحضارات في نفس الوقت. ويفضي تحليل بنديكت إلى تصور علاقات بين البيولوجي والثقافي: فلكي نقيم تحديداً سوسيولوجياً، يجب إدخال ما هو نفسي وتاريخي. وتركز بنديكت على التنوع الثقافي الغني وعلى المرونة الإنسانية كنمط حياة خاص بكل مجتمع.

وتتموضع «مارغريت ميد» M. Mead في تيار التعددية الثقافية ذاته، مثل مالينوفسكي، وبنديكت. وتنطلق ميد من إضطرابات المراهقة عند الأمدكيين، متسائلة ما إذا كانت الإضطرابات البلوغ هذه أسباب عضوية أم اجتماعية؟ ولذلك اتجهت أعمالها لدراسة المكان الأصليين لجزر «ساموا» Samoa. وتبرهن ميد أنه عندما يبقى أولاد «السامو» فعلياً ضمن الأسرة حتى سنة ٦ ـ ٧، فإن غياب العلاقات الحميمة بين الأهل وأبنائهم يمنع تشكيل عقدة أوديب؛ من حيث أنه لا يوجد التحام ليبيدي للأولاد مع وضع الأهل. ولذلك ترى «ميد» أن حالات العصاب، أو حالات القلق ناتجة عن لا توافقات نفسية.

إن اضطرابات البلوغ، الشائعة في أميركا الشمالية، ليست ناتجة عن اضطرابات عضوية، إنما عن ظروف اجتماعية في الحياة[1].

إن الأولاد الذين تربوا بشكل ما في المجموعة، ودون تمايز فيما بينهم، كانوا ينفلتون من عمليات تثبيت اللبيدو على أحد أعضاء العائلة.

يفسر التحليل النفسي الأنوثة عند بعض الصبيان بأنها تثبيت الليبدو خاصتهم على الأم. لكن «ميد» تعتقد أن التأثير الثقافي هو أقوى من احتمالات التثبيت الليبيدي.

ويفسر التحليل النفسي إن السلوك الجنسي هو نتيجة التربية العائلية. وينحو حل عقدتي أوديب والكترا إلى تماهي الصبي بالأب والبنت بالأم. ويحدث العصاب أو سوء التوافق عندما يكون التماهي indentification مع

(1) باستيدروجيه ـ السوسيولوجيا والتحليل النفسي ـ ترجمة وجيه البعيني ـ دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨٨ ـ ص ١٧٧.

شخص من الجنس الآخر. لكن ترى «ميد» إن الصبي الصغير عند قبائل «الأرايش» الذي يبقى في عهدة أبيه أكثر مما يبقى مع أمه، الأكثر ارتباطاً من الوجهة العاطفية، مع أمه، يشابه أباه وليست أمه، فهو لا يتأنث. لذلك لا نستطيع أن نميز، في سلوك الذكور في مرحلة البلوغ، أولئك الذين تمتعوا سابقاً بالليبدو المثبت على الأم، عن أولئك الذين كان الليبدو خاصتهم مثبت على الأب، وبالنتيجة لا يمكن أن نعمم التفسير الفرويدي على كل أشكال الحضارات، إلاّ حيث يوجد نموذج مزدوج من الشخصية، ذكري وأنثوي. لكن تبقى الأولوية اجتماعية، تعددية العقد النووية[1].

وكما أوضحت تلك التحاليل، تبقى هذه المدرسة الأنتروبولوجية بعيدة عن التفسيرات الفرويدية، تبقى عقد الليبدو ذات منشأ ثقافي. وبالتالي تقارن التعددية الثقافية بتعددية في أنماط الشخصية وأنماط حالات اللاواعي، وفي مقابل شمولية العقد النووية، ترغب هذه المدرسة في إبراز نسبيتها.

تكمن أهمية التحليل النفسي الفرويدي في أنه وجهّ الأنتروبولوجيين إلى الاهتمام بالولد الصغير ـ مع توكيدة على أهمية السنوات الأولى من حياة الطفولة ـ بتقنيات تكيفه في المجتمع، بالأنظمة القديمة للفمية والشرجية، بالألقاب الجنسية لمرحلة ما قبل البلوغ.

(1) نفس المرجع ـ ص ١٨٨.

الفصل الثالث ـ

المفاهيم الفرويدية الخاصة بالاسقاط والتماهي ـ

١ ـ سيكولوجيــة الإسقــاط
عنــد فـرويــد

شاع استخدام مصطلح الإسقاط Projection كثيراً سواء في علم النفس، أم في التحليل النفسي، وهو يتضمن عدة مفاهيم مختلفة نسبياً.

ويستعمل مفهوم الإسقاط في علم النفس للدلالة على العملية التي تزاح فيها واقعة نفسية كي تموضع في الخارج، بالانتقال من الشخص إلى الموضوع(1).

لجأ فرويد إلى مفهوم الاسقاط لتبيان العديد من التجليات المختلفة في علم النفس السوي والمرضي.

يأخذ مفهوم الإسقاط مبدأه الشامل في مفهوم النزوة Pulsion عند فرويد. فمن المعلوم أن المتعضي L'organisme يخضع لنوعين من الإثارات المولّدة للتوتر: يتكون النوع الأول من الإثارات التي يمكنه التهرب منها أو حماية نفسه منها، بينما يتكون النوع الثاني من الإثارات التي لا يمكنه تجنبها، ولا يوجد أي

---

(1) La Planche et Pontalis- Vocabulaire de la Psychanalyse- Ed. P.U.F. Paris 1978- P. 343-

جهاز حماية أو صدّ للإثارات في مواجهتها؛ وهذا هو المحك لتمييز الداخل عن لخارج. ويظهر الاسقاط عندها باعتباره وسيلة دفاعية ضد الإثارات الداخلية التي تسبب التنغيص أو الانزعاج. لذلك يسقط الشخص هذه الإثارات على الخارج، مما يتيح له أن يتجنبها أو أن يتهرب منها، أو أن يحمي ذاته منها: وبناء على ذلك، ينزع الفرد إلى تناول تلك الإثارات، كما لو كانت غير وافدة من الداخل، بل من الخارج، حتى يصبح من الممكن استخدام الدرع الواقي كوسيلة للدفاع في صدّ هذه الإثارات الداخلية. وهذا هو أصل الاسقاط، الذي يفوض له أن يلعب دوراً كبيراً في تعليل العمليات المرضية[1].

ويصف فرويد مجمل بنيان «الرهاب» Phobie باعتباره إسقاطاً حقيقياً للخطر النزوي على الواقع ـ ما يتكون هنا هو محاولة هرب، عدد معين من التجنبات الخوافية؛ ففي الرهاب الهستيري تدرك هذه الآوالية نقطة أوجها: حين يتمكن الفرد، من حماية نفسه، بمحاولات هرب، من خطر خارجي حلّ مكان مطلب نزوي داخلي[2].

كما يعطي فرويد دوراً هاماً للإسقاط، من خلال إدماجه مع مفهوم الإجتياف Introjection، في تكوين التعارض ما بين الشخص (الأنا) وبين الموضوع (العالم الخارجي). و«تحت سيادة مبدأ اللذة، يتم تطور جديد في الأنا، فهو يأخذ داخله الموضوعات التي تعرض له بصفتها مصدر لذة، أي يجتافها، بحسب تعبير فرنزي، ومن جهة أخرى، يطرد خارجاً عنه كل ما يسبب له، في داخل ذاته سبباً للازعاج، وهذه (آوالية الإسقاط)[3]. أي تعبر عملية الإسقاط والاجتياف عن ذاتها، من خلال التعارض ما بين النبذ والابتلاع.

---

(1) FREUD- Au- delà du Principe de Plaisir, in Essais de Psychanalyse- OP.cit. P. 71- et voir aussi- FREUD- Métapsychologie- Trad. La Planche et Pontalis- Ed. Gallimard, Paris 1978- P. 15-

(2) Ibid- P. 128-

(3) Ibid- P. 138-

ويلجأ فرويد إلى مفهوم الإسقاط في الحالات التي عالج فيها مسألة «العظام» Paranöia، وخصوصاً في دراسته لحالة «شرايبر» Schreber، كتبرير بعدي للإسقاط.

يرى فرويد أن ما يشكل جوهر الصراع في حالات العظام (البرانويا) عند الرجال هو تخييل رغبة من الجنسية المثلية Homo sexuel، أي تخييل حب رجل.

ويحدد الإسقاط بالشكل الآتي: إذ يكبت الشعور الذي لا يطاق (أي الحب الجنسي المثلي) في الداخل، أي في اللاوعي، في مرحلة أولى ويحول إلى نقيضه، وفي مرحلة ثانية يسقط على العالم الخارجي. ويشكل الإسقاط هنا أسلوب عودة ما هو مكبوت في اللاوعي إلى الوعي.

وتفسر حالات العظام برغبة جنسية مثلية مكبوتة ومسقطة، وأن قضية أنا (الرجل) أحبه هو (الرجل) يتم دحضها عن طريق هذاءات الإضطهاد: إذ أنها تصرخ عالياً مؤكدة «أنا لا أحبه ـ أنا أكرهه»، هذا الدحض الذي لا يمكن في اللاوعي أن يتخذ صورة غير هذه، لا يمكن مع ذلك أن يغدو بصورته هذه شعورياً عن مريض العظام. فآواليات تكوين الأعراض في العظام يقتضي من الإدراكات الداخلية أو المشاعر الداخلية أن تخلي مكانها لإدراكات خارجية.

ومن ثم فالقضية: «أنا أكرهه» تتحول بالإسقاط إلى قضية أخرى: «هو يكرهني» أي (يضطهدني)، وهذا «مما يبرر كراهيتي له». إن ما يسقط هنا هو انفعال الحقد (أي النزوة بحد ذاتها).

وهكذا فالوجدان اللاواعي، الذي هو في الواقع القوة المحركة، يتبدى وكأنه نتيجة مترتبة على إدراك خارجي: «أنا لا أحبه ـ أنا أكرهه، لأنه يضطهدني».

إن القائم بالإضطهاد هو شخص كان يوماً موضوع حب[1].

---

(1) فرويد ـ خمس حالات من التحليل النفسي ـ جزءان ـ ترجمة صلاح مخيمر، عبده مخائيل رزق ـ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩ الجزء الثاني ـ ص ٦٢٨.

يكشف فرويد في دراسته لتلك الحالة عن آوالية نفسية خاصة تتلخص في موقف أو مظهر نفساني خارجي يذهب في اتجاه معاكس للرغبة المكبوتة. ويشكل رد فعل ضدها؛ وهذا ما يعرف بآوالية «تكوين عكسي formation réactionnelle»، كتعبير شبه مباشر عن الصراع ما بين حركتين نزويتين متعارضتين، وهو صراع متجاذب في أساسه. وبذلك تتحول الرغبة: من «أنا احبه» إلى «أنا أكرهه». غير أنه مشاعر الكراهية (وهي نزعة عدوانية) غير مقبولة على مستوى الأنا (الوعي). ويحاول الأنا، كممثل لمبدأ الواقع أن يكبت هذه الرغبة التي قد تسبب له الازعاج. لكن عملية الكبت هذه ليست حلاً نهائياً لهذا الموقف المتناقض؛ ومن ثم تقوم الأنا بعملية رمي هذه الرغبة إلى خارج الأنا، أي إسقاطها على شخص آخر، ومن ثم تمر الفكرة من الأنا إلى الأخر، وبالتالي تتحول الرغبة من «أنا أكرهه» إلى «هو يكرهني» (أي إلصاق تلك الميول والرغبات التي يتنكر لها الأنا في داخله). وهذا التحول يحدث لأن المصدر الأصلي للقلق هو الخوف من العقاب من قبل مصدر خارجي. ولذلك يقول الشخص «إنه يكرهني» بدلاً من أن يقول «إنني أكرهه»، و«إنه يضطهدني» بدلاً من أن يقول إن «ضميري يؤنبني».

إن أبرز خاصةمميزة للأعراض في حالة العظام هي العملية التي يجدر تسميتها «الإسقاط»، «إدراك داخلي يقمع، وبدلاً منه، فإن مضمونه، بعد أن يعاني درجة معينة من التحريف، يدخل إلى الوعي في صورة إدراك خارجي». وفي هذآءات الإضطهاد ينحصر التحريف في تبديل الوجدان، فما كان ينبغي إدراكه داخلياً «حباً» يتم إدراكه خارجياً «كراهية».

ويرى فرويد، أنه يمكن أن نعتبر هذه العملية من أعظم العناصر أهمية في حالات العظام، وهي بشكل مطلق العلامة التشخيصية الدالة على هذا المرض، لو لم ننتبه في حينه إلى أمرين: أولهما أن الإسقاط لا يلعب نفس الدور في كل أنواع العظام؛ وثانيهما أن الإسقاط لا يظهر فحسب في العظام بل وأيضاً في ظروف سيكولوجية أخرى، وهو في الواقع يسهم دائماً بدور خاص به في اتجاهنا

جميعاً من العالم الخارجي. وذلك أننا حين نفتش عن أسباب بعض الانطباعات لا في داخل أنفسنا، بل نقوم بتعينها في العالم الخارجي، فإن هذه العملية العادية جديرة أيضاً باسم الإسقاط[1].

ويتيح هذا الفرق في مفهوم آوالية العظام استخلاص تصورين للإسقاط:

١ - هناك معنى مماثلاً للمعنى السينمائي: حيث يبعث الشخص إلى الخارج صورة ما هو موجود بشكل لا واع في داخله. والإسقاط هنا هو أسلوب من التنكر لما هو موجود عند الشخص تحديداً مع ما يقابله من اعتراف بوجود موضوع التنكر هذا عند الآخر.

٢ - وهناك التصوير القائل بعملية طرد شبه واقعي: إذ يلقي الشخص مالا يريده في نفسه خارجاً عن ذاته، كي يعود فيجده بعدها في العالم الخارجي. والإسقاط هنا لا يعرّف باعتباره أنه «مالا نريد الاعتراف به»، بل باعتباره «مالا نريد أن نكونه».

يرد المنظور الأول الإسقاط إلى حالة من الوهم Illusion، بينما يرسخه المنظور الثاني في انقسام ثنائي أصيل ما بين الشخص والعامل الخارجي[2]. ولكن بالرغم من هذه الصعوبات، فإن الاستعمال الفرويدي لمصطلح الإسقاط يظل يأخذ معنى دقيقاً نسبياً: إذ تتلخص العملية في «رمي ما نرفض الاعتراف به في أنفسنا، أو ما نرفض أن نكونه، إلى الخارج».

ومن جهة ثانية، فغالباً ما يصف فرويد الإسقاط كتحوير لعملية سوية تدفعنا إلى البحث عن سبب انفعالاتنا في العالم الخارجي؛ ويفهم الإسقاط هنا، كما يراه فرويد، فاعلاً في حالات الخواف.

---

(1) نفس المرجع - ص ٦٣٣.

(2) La Mlanche et Pontalis- Voc. de la Psy. OP. c.t. P. 348-

كما يرى فرويد تدخل الإسقاط فيما أسماه برهاب الحيوانات. ففي دراسة رهاب «هانز الصغير»، تحقق فرويد من صدق نظريته في الجنسية الطفلية التي تتمحور حولها عقدة أوديب.

كان «هانز» Hanz ـ طفل في الخامسة من عمره ـ يخاف من أن حصاناً سوف يعضّه إذا غامر وخرج إلى الشارع. كان هانز يعاني من صراع نفسي شديد (مأزم conflit بين نزعاته العدوانية، النزوية وبين مطالب الأنا؛ إذ كانت رغبات الطفل وتمنياته في إزاحة déplacement أو موت أبيه وخوفه، في نفس الوقت، من العقاب تكبت في أعماق لاواعية باعتبارها رغبات مرفوضة أو غير مقبولة. ومع ذلك كانت تلحّ (تلك الرغبات وذاك الخوف المرافق من العقاب) في الظهور، بطريقة غير مباشرة، في صورة رمزية هي الخواف من أن يهجم عليه الحصان ويعضّه.

واستطاع فرويد أن يبيّن أن هذه الحالة الخوافية كانت تعبيراً عن أهم عقدتين في الجنسية الطفلية المبكرة: عقدة أوديب، وعقدة الخصاء Complexe de Castration.

إن رهاب الحصان لدى هانز إنما هي الحل العصابي لمشكلته الأوديبية: خوفه من أبيه بناء على عدائيته له (متصارعاً على حبه له) ممثلاً في حصر الخصاء اللاواعي. وبتكوين رهاب الحصان، ينقل هانز خوفه من أبيه إلى خوف من أن يعضّه الحصان. وبهذه الطريقة ينجح في حصر نطاق خوفه من حيوان في الشارع، وبذلك يعفي نفسه من الحصر، إذا ما تفادى الحصان في الشارع. ويهدأ نفسياً في البيت بالرغم من وجوده مع غريمة الحقيقي، والده[1].

ومن وراء الخوف الذي عبر عنه «هانز» في البداية، وهو خوفه من أن حصاناً يعضّه، اكتشف فرويد، خوفاً يستقر عند هانز في مستوى أعمق، هو خوفه من أن حصاناً يقع، وكلا النوعين من الأحصنة (هذا الذي يعضّ وذلك

(1) فرويد ـ خمس حالات من التحليل النفسي ـ مرجع سابق ـ الجزء الأول ـ ص ١٧١-١٧٢.

الـذي يقع) قـد تكشف على أنهما يـرمزان لـلأب، الذي سيعـاقب هانـز على الرغبات الشديدة التي كان يضمرها ضده[1].

وأن ما تجدر الإشارة إليه هو أن فرويد اعتبر:

- إن هانز كانت لديه رغبة جنسية نحو أمه.
- أنه كره أباه وخاف منه ورغب في قتله.
- أن هياجه ورغبته الجنسية تجاه أمه قد تحولت إلى حصر.
- أن مخاوفه من الجياد كانت رمزاً لمخاوفه من أبيه.
- أن الغرض من مرضه كان أن يظل بالقرب من أمه.
- أن مخاوفه المرضية قد اختفت لأن مركب أوديب عنده قد حل[2].

وأن ماله دلالة بصفة خاصة هو كيف أن تحول الليبدو عند هانز إلى حصر تم إسقاطه على الموضوع الرئيسي للخواف عنده، وهو الأحصنة.

إذ يكشف التحليل النفسي أن «هانـز الصغير» قـد أسقط دوافعه ورغبـاته العدوانية، الداخلية التي يضمرها لأبيه على موضوع خارجي هـو الحصان. إن التهديد الداخلي (الخطر) قـد تحول إلى تهـديد خـارجي، وأسقط الخوف من الأب على بديل له، وهو هنـا الحصان. ولـذلك كـان من السهل على الـطفل الصغيـر (هانـز)، في هذه الحـالة، أن يتجنب التهـديد الخـارجي، وهو عـدم الخروج إلى الشارع كي لا يعضّـه الحصان، أكثر من أن يتوافق مـع التهديـد الداخلي (المأزم النفسي) الذي لا يمكنه تجنبه.

يتضح لنا من هـذه المفاهيم المتعـددة للإسقـاط، أن هذا المفهـوم يبدو كآوالية دفاعية لاواعية، أو كإلصـاق لبعض الصفات والمشـاعر والـرغبات التي يرفضها الأنا أو يتنكر لها في نفسه (داخله)، في الآخر، سواء أكن هـذا الآخر شخصاً أم شيئاً.

---

(1) نفس المرجع - ص ٢٣٠.
(2) نفس المرجع - ص ١٦٤.

ويبين فرويد، في مواضع أخرى، كيف أن الإسقاط ليس مجرد إحلال الآخر محل الذات. ومع ذلك يظل مفهوم الإسقاط فاعلاً في التطير Superstitie، والأساطير Mythes، وفي النزعة الإحيائية Animisme، حيث تنعكس المعرفة الغامضة للعوامل النفسية (إدراك الواقع الذاتي الداخلي)، وللصلات التي توجد في اللاوعي في بنيان واقع خوف ما هو حسّي.

إن أول تصور للعالم نجحت البشرية في بنائه كان تصوراً سيكولوجياً. وفي نظر الإنسان البدائي كانت الإحيائية تصوراً طبيعياً، وكان البدائي يعلم أن الأشياء التي يتألف منها العالم تسلك نفس مسلك الإنسان، بحسب ما تفيده تجربته الخاصة. ولذلك كان الإنسان البدائي يسقط على الخارج تنظيمه النفسي الخاص، أي إدراكه النفسي الداخلي. يقول فرويد: «إن الإسقاط ليس مجرد وسيلة دفاعية، فهو يوجد أيضاً في حالات لا تنطوي على صراع. إن الإسقاط إلى خارج الإدراكات الداخلية آوالية ابتدائية تخضع لها أيضاً إدراكاتنا الحسية، مثلاً، وتلعب بالتالي دوراً حاسماً في كيفية تصورنا للعالم الخارجي. وفي شروط لم تحدد بدقة بعد، يمكن أن تسقط إدراكاتنا الداخلية للسيرورات الوجدانية والفكرية، مثل الإدراكات الحسية، إلى الخارج وتستخدم في تشكيل العالم الخارجي، بدل أن تبقى متموضعة في عالمنا الداخلي»[1].

غير أن فرويد، في معظم الحالات التي يتكلم فيها عن الإسقاط، يجد أن هذا الإحلال يجد مبدأه وغايته في عملية التنكر، أذ تجسد الشياطين والعفاريت والأشباح الرغبات الشريرة اللاواعية.

إن الأرواح والعفاريت ما هي إلاّ إسقاطات الميول الإنسان البدائي الوجدانية، فهو يشخّص هذه لميول، ويعمرّ العالم بالتجسيدات التي ابتدعها على هذا النحو، ويلتقي خارج نفسه سيروراته النفسية الخاصة[2].

---

(1) FREUD- Totem et Tabou- Trad. Jankélévitck- Ed. Payot, Paris 1968- P. 78-

(2) Ibid- P. 108-

وقد كشف التحليل النفسي عن الأسباب الخفية للتأنيبات الوسواسية: فعندما يفقد الشخص إنساناً عزيزاً عليه فكثيراً ما يتفق أن يقع الحيّ فريسة شكوك مؤلمة، متسائلاً عما إذا كان لم يتسبب هو نفسه بإهماله في موت الشخص المحبوب. وقد بيّن التحليل النفسي أن هذه «التأنيبات الوسواسية» هي إلى حد ما مبررة، وقادرة على أن تقاوم جميع الاعتراضات: فالشخص الحاد غير مسؤول فعلياً عن موت القريب أو أنه اقترف خطيئة الإهمال نحوه؛ وإنما يعني فقط أن موت القريب وفرّ إشباعاً لرغبة لاواعية لو كانت لها القوة لكانت تسببت في موته. ولكن ضد هذه الرغبة اللاواعية تأتي استجابة التبكيت بعد وفاة الشخص المحبوب.

ونجد أثر هذه العداوة مستترة خلف حب في جميع حالات التثبيت العاطفي الشديد على شخص معين، تلك هي الحالة النموذجية «للإزدواجية الوجدانية» البشرية. وهذا ما يفسر لنا الطبيعة الجنيّ المزعومة لأرواح الأشخاص المتوفين، وحاجة الأحياء إلى التوقي من عداوة هذه الأرواح.

غير أن عاطفة الإنسان البدائي، بعكس العصابي، تظّهر إلى الخارج وتعزى إلى الميت نفسه. وهذه السيرورة الدفاعية، التي توجد في الحياة النفسية السوية والمرضية، يسميها فرويد إسقاطاً[1]. فالشخص الحيّ ينكر أن يكون خالجه شعور عدائي تجاه الشخص المحبوب المتوفى، وإنما روح هذا المتوفى، على ما يتبدى له، هي التي تضمر تلك العاطفة وتسعى إلى إشباعها طوال فترة الحداد. وبالتالي فالطابع العقابي والتأنيبي الذي تتسم به هذه الاستجابة الوجدانية سيعبر عنه نفسه بالخوف والمحرمات والتقييدات التي سيفرضها الشخص الحيّ على نفسه، بوصفها تدابير وقائية ضد الشيطان المعادي. ومن هنا «فالشياطين والعفاريت هم إسقاطات للمشاعر العدائية التي يكنّها الأحياء للأموات». إن تلك الإزدواجية الوجدانية، أي الحانية والعدائية في آن معاً، تسعى إلى التظاهر وإلى التعبير عن نفسها في لحظة الموت في

---

(1) Ibid- P.P. 74, 75-

صورة ألم ورضى في وقت واحد. وبين هاتين العاطفتين المتعارضتين ينشب نزاع محتوم؛ وبما أن نزعة العداء، لاواعية إلى حد كبير، فإن النزاع لا يمكن أن يجد له من حلّ يخفف من شدة كلتا لعاطفتين، وإنما ينتهي مسار الصراع بتدخل آوالية نفسية خاصة، هي عملية «الإسقاط». «فالعداء، الذي لا يعرف عنه صاحبه شيئاً، يسقط من الإدراك الداخلي على العالم الخارجي، أي يفصل عن الشخص الذي يحسّ به ليعزّى إلى شخص آخر». ولذلك، فليس الأحياء الذين يسّرون للتخلص من الميت، بل على العكس من ذلك، فهم يبكون موته؛ وإنما الميت هو الذي أصبح عفريتاً شريراً يرتاح لشقاء وهلاك الأحياء. ومن ثم يتعين على الأحياء أن يتقوا شر هذا العدو ويحموا أنفسهم منه. وبالتالي لا يكون الأحياء قد تحرروا من إضطهاد داخلي إلّا ليقايضوه بحصر له مصدر خارجي[1].

إن هذا الإسقاط، الذي بفضله يتحول الميت إلى عدو شرير ومؤذٍ، يمكن أن يجد تبريره في ذكرى بعض المظاهر العدائية التي لا يستحيل أن تكون صدرت فعلاً عن المتوفى، من القساوة، والطغيان، والظلم، وغيرها من الأفعال والنوايا المؤذية التي تشكل خلفية العلاقات الإنسانية التي تتصف بالمحبة.

ويزيح التحليل النفسي النقاب عن هذه الحالة، مبيناً أنه بعد موت الأشخاص المحبوبين والمكروهين في آن معاً، لا يمكن أن يدوم هذا الموقف، ولا بد أن يتخذ الصراع طابعاً حاداً: فالألم المتولد عن فيض من المحبة يتمرد، من جهة أولى، أكثر فأكثر على العداء الكامن، ولا يمكنه، من جهة ثانية، أن يسلّم بأن هذا العداء يوّلد شعوراً بالرضى. وعلى هذا النحو يتم كبت العداء اللاواعي عن طريق الإسقاط، مع تشكيل الطقوس التي تتجلى فيها الخوف من العقاب من جانب الشياطين والعفاريت. إن إسقاط العداء اللاواعي على الشياطين والعفاريت، ليست إلا واحدة من السيرورات العديدة المماثلة نوعاً، التي ينبغي أن يعزى إليها أعظم الأثر في تكوين الحياة النفسية البدائية. فالإسقاط يفيد في حلّ النزاع الوجداني[2].

(1) Ibid- P. 76, 77-

(2) Ibid- P. 77, 78-

ويرى فرويد، أنه في حالات العظام، تلجأ السيرورة المرضية فعلياً إلى استخدام آوالية الإسقاط لحل هذه المنازعات التي تبزغ في الحياة النفسية.

وأن الحالة النموذجية لهذا النوع من المنازعات هي حالة الموقف الإزدواجي. فهذه الحالة تبدو جديرة بتبرير خلق تشكيلات إسقاطية.

إن عملية الإسقاط تتضمن دائماً إلقاء ما نرفض الاعتراف به داخل أنفسنا، أو ما نرفض أن نكونه إلى الخارج، سواء أكان شخص أو شيء.

وأخيراً نتكلم عن الإسقاط كي نضمنه العملية الآتية:

يدرك الشخص الوسط المحيط به ويستجيب له إنطلاقاً من مصالحه الخاصة، وقدراته، وعاداته، وحالاته العاطفية، وتوقعاته، ورغباته... وتتحقق صحة هذا التلازم ما بين البيئة الداخلية والبيئة المحيطة على كل مستويات السلوك. وقد تتبدى بعض البنى أو السمات الأساسية للشخصية في السلوك الصريح. وتشكل هذه الواقعة المبدأ الذي تقوم عليه التقنيات الإسقاطية: إذ يوضع الشخص في الاختبارات المقننة التي تكوّن الروائز الإسقاطية الفعلية (مثل الروشاخ، ورائز تفهم الموضوع) إزاء وضعيات ضئيلة الإنبناء، وإزاء مثيرات Stimuli غامضة بما يتيح قراءة بعض سمات طبعه، وبعض منظومات تنظيم سلوكه وإنفعالاته، تبعاً لقواعد التفسير الخاصة بنمط المادة أو النشاط الخلاق المطلوب منه. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يمكن القول أننا في الروائز الإسقاطية، لا نكون بصدد مجرد إنبناء المثيرات بالتطابق مع بنية الشخصية: حقاً أن الشخص يسقط بالتأكيد على لوحات رائز «تفهم الموضوع» .T.A.T، تخصيصاً، ما هو عليه، إلاّ أنه يسقط أيضاً ما يرفض أن يكون عليه في آن معاً[1].

ويمكن لنا أن نلخص المباديء الأساسية التي تقوم عليها فكرة الإسقاط: تتضمن هذه العملية، آوالية دفاعية، التي بمقتضاها تعزو الأنا الرغبات والمشاعر

---

(1) La Planche et Pontalis- OP.cit. P. 344, 349-

والنزعات اللاواعية إلى العالم الخارجي، تلك الرغبات والمشاعر والنزعات، أن أتيح لها الدخول إلى نطاق الوعي لأحدثت ألماً للذات.

فالإسقاط آوالية دفاعية لا واعية؛ تستخدم ضد القلق والدوافع أو الرغبات اللاواعية؛ إنها تحدث نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والمشاعر التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين والعالم الخارجي؛ يترتب عن عملية الإسقاط خفض حدة التوتر أو الإنفراج النفسي لدى الفرد.

ولقد ارتبطت فكرة الإسقاط عند فرويد من خلال دراساته وفي أثناء تحليلاته لمرض العصاب كآوالية دفاعية لاواعية، ولكن سرعان ما توسع في استخدامها، بعد ذلك، في تفسيره لأنواع، وأنماط أخرى من السلوك؛ وقد اعتبرها آوالية نفسية تدخل في تكوين المعتقدات والأساطير، كمزية خاصة هي الانفراج النفسي للفرد.

٢ ـ التماهي ـ

اتخذ مفهوم التماهي Identification تدريجياً قيمة محورية في أعمال فرويد جعلت منه أكثر من آوالية نفسية، باعتباره العملية النفسية البالغة الأهمية التي تتكون من خلالها الذات. ولقد تلازم هذا التطور أساساً مع أهمية الدور الذي يلعبه في المركب الأوديبي والخروج منه، وكذلك من خلال التكوين النفسي، في النظرية الموقعية الثانية للجهاز النفسي Appareil Psychique، حيث حدّد فرويد الأركان instances الذي تمايزت إنطلاقاً من «الهو»، بواسطة التماهيات التي إستقت منها هذه الأركان.

لقد طرحت فكرة التماهي أساساً في أعمال فرويد بصدد الأعراض الهستيرية، فالعرض الهستيري هو أول ما استرعى انتباه فرويد لبحث موضوع التماهي، من حيث أن التماهي عملية شاملة، عند المصابين بالهستيريا، يكمن وراء كل ظاهرة عرضية.

ويستخدم التماهي في الهستيريا، فما أسهل أن تتماهى المرأة الهستيرية

في أعراضها بالأشخاص الذين كانت لها بهم علاقة جنسية، أو بمن كانت لهم بأولئك الأشخاص هذه العلاقة نفسها.

وقد ينشأ العرض الهستيري مماثلاً لما يعاني منه الشخص المحبوب، وفي هذه الحالة فالتماهي قد ظهر بدلاً عن اختيار الموضوع، وإن اختيار الموضوع قد نكص ليصبح تماهياً. ويرى التحليل النفسي أن التماهي هو أول صورة من صور الرابطة الوجدانية، وهو يحدث غالباً بفعل الظروف التي تحدث الأعراض؛ أي حيث ثمة كبت وحيث للآواليات اللاواعية القيادة والسيطرة. وفي مثل هذه الحالة يرتد اختيار الموضوع ليصبح تماهياً فينتحل الأنا الصفات الأساسية الموضوع سواء كان شخصاً محبوباً أو غير محبوب.

وقد تعاني الطفلة الصغيرة سعالاً حاداً مشابهاً لسعال تعاني منه الأم، وحدوث ذلك يمكن أن يكون ناشيء عن عقدة أوديب وتماهي الطفلة بأمها؛ أي أن رغبتها العدوانية في أن تحتل مكان أمها.

ويجلب هذا الحب في طياته إدراكاً بفعل الشعور بالذنب لحقيقة موقف الأم، كأن يعبر: «لقد أردت أن تكوني أمك، وها أنت الآن كما أردت، وحيث ذهبت فالألم والعذاب وراءك»(1).

وقد بين فرويد أن التماهي عملية لا واعية تعبر عن شيئين في شيء واحد، فالعرض الهستيري مبني على إمكانية التماهي من حيث أن الغاية اللاواعية هي دائماً المحركة في اختيار نمط العرض من دون معرفة المريض.

وعملية التماهي، في تكوين الأعراض لا تقتصر فقط على الهستيريا، بل تلعب دوراً بالغاً في أمراض عدة منها نشأة الشذوذ الجنسي المثلي، والسوداوية.

فالمريض السوداوي يلجأ عندما يفقد موضوع حبه إلى التماهي كآوالية

FREUD- Psychologie des foules et Analyse du Moi- in Essais de Psychanalyse. (1) OP. cit. P. 169-

نفسية يستعيد بها الموضوع المفقود. ويصاحب فقدان الموضوع هنا إيقاظ للعدوانية السادية المدمرة، لأنه يؤدي إلى إرتداد إلى المرحلة الامتصاصية التي تتميز بعدوان أكثر وحشية وبتناقض وجداني أكثر تدميراً، ففي هذه المرحلة التي تعود إلى الظهور، تقوم علاقة الطفل بالعالم على أساس الثدي الذي يمده بالغذاء، وفي هذه المرحلة ذاتها يعد الامتصاص الكلي للموضوع عن طريق الفم شيئاً مميزاً.

وما أن يفقد المريض السوداوي موضوع حبه حتى يغرق نفسه في المرحلة الفمية. وطالما أن تماهي السوداوي بموضوع حبه قد أصبح مرادفاً لامتصاصه الكلي، أي للاختفاء الكامل لكل حدود بين الأنا والموضوع، فإن الانحلال النزوي الذي يصاحب هذه العملية الإرتدادية يطلق القوى المدمّرة لتتوجه كلها إلى الذات. ويوّجه للأنا عندئذٍ، الذي نشأ نتيجة التماهي، كل إهانة واضطهاد، كما توقع عليه أقسى أنواع العقاب وأشد أنواع العدوان سادية(1).

ولكي ندرك عملية التماهي لا بد من فهم أهميتها وفعاليتها في تكوين الذات.

في نظر فرويد هناك ثلاثة مصادر للتماهي:

١ - التماهي باعتباره شكلاً أصلياً للتعلق الوجداني بالموضوع. نحن هنا بصدد تماه «ما قبل أوديبي» Préœdipien، يتسم بالعلاقة الإفتراسية المتجاذبة وجدانياً بطبيعتها.
٢ - التماهي باعتباره بديلاً نكوصياً عن اختيار موضوع مهجور.
٣ - التماهي يحدث دون أن يكون هناك ارتباط شبقي، أي في غياب أي توظيف جنسي في الآخر. فقد يتماهى الفرد رغم ذلك بالآخر بالقدر الذي يكتشف فيه الفرد في نفسه سمة مشتركة بينه وبين الشخص الآخر: وقد

(1) FREUD- Métapsychologie- OP. cit. P. 159, 161k-

يحدث التماهي في هذه الحالة في نقطة أخرى، بواسطة الإزاحة déplacement[1].

ويقول فرويد بأن عملية التماهي مرتبطة بتعلق وجداني، حبي. فالصبي الصغير يرتبط في البداية بعلاقة حبية متساوية ما بين والده وأمه، فيحب كلاهما دون أن يخلق له ذلك أية مشكلة ذاتية. فيتماهى بالأب والأم على السواء، ويتمنى أن يصبح كأبيه، وأن يقوم مقامه، أي أنه يجعل من والده مثاله. والمشكلة لا تبدأ بالنسبة للصبي إلاّ بعد أن يخالجه شعور شبقي يستهدف والدته، ويتمنى الحصول عليها وحده. أي بالتزامه مع هذا التماهي مع الأب، يبدأ الصبي الصغير بتوجيه رغباته الليبدية نحو أمه. وهكذا يصبح الصبي الصغير مرتبطاً برابطتين وجدانيتين مستقلتين في آن واحد؛ شحنة موضوع جنسية مباشرة نحو الأم وتماهي بالأب الذي يعتبره نموذجاً تجب محاكاته. ولكنه نتيجة لتقدم الحياة النفسية المستمر نحو الوحدة يندمج الإثنان معاً في النهاية وتنشأ عقدة أوديب السوية في اندماجها. ولكن على أثر ظهور هذه الرغبة عند الصبي، يتبين أن هذا الأب الذي يحبه ويحتمي به، أصبح بحد ذاته عائقاً يقف أمامه ويحول دون تحقيق هذه الرغبة. ومن هنا يصطبغ التماهي بصبغة عدائية فيصبح مطابقاً للرغبة في أن يستبدل الصبي أباه بنفسه في مكانته لدى الأم[2].

وهكذا يكون التماهي متعارضاً من البداية: فقد يكون متجهاً نحو التعبير عن الشعور بالحب والعطف لكي يكون الصبي على غرار أبيه؛ وإما نحو التعبير عن الرغبة في إزاحته والحلول مكانه، وهذا هو الشعور بالكراهية والمنافسة.

نستنتج من ذلك أن عملية التماهي لا ترتبط فقط بالشخص الذي تحبه، ولكن من كون هذا الشخص تريد في آن واحد إزاحته والحلول مكانه.

ومن الشروط الرئيسية لعملية التماهي هو أن يكون الغرض المتماهى به

---

(1) FREUD- Psychologie des foules et Analyse de Moi- OP. cit. P. 170-

(2) Ibid- P. 167, 168-

غرضاً مفقوداً ارتبط به دافع عدواني، يدعو إلى إزاحته والحلول مكانه؛ أي كما كانت عملية امتلاك الغرض ودمجه في ذاته مثل العملية البدائية للمرحلة الفمية. فالتماهي إذن متعارضاً منذ البداية، وله صفة إزدواجية: فقد يكون متجهاً إما نحو التعبير عن الحب وإما نحو التعبير عن الرغبة في الإلغاء. كما لو كان التماهي نتاجاً للمرحلة الأولى، أي المرحلة الفمية من تنظيم الليبدو، أي المرحلة التي كان يتم فيها استدماج الموضوع المشتهى والمستحب عن طريق أكله، أي إلغائه. ونحن نعرف أن آكل لحوم البشر Cannibale قد توقف عند هذه المرحلة: فهو يأكل بطيبة خاطر أعداءه وخاصة هؤلاء الذين يحبهم[1].

ويقول فرويد بهذا المعنى، كان الإنسان، في البدء، يعيش وسط عشيرة بدائية متنقلة تخضع لنظام أبوي. ولم يكن ثمة غير أب فقط غيور يستأثر بكل النساء، والسلطة المطلقة. وحدث ذات يوم أن التأم شمل الأبناء المطرودين واجتمعت كلمتهم على قتل أبيهم فقتلوه والتهموه، وبذلك وضعوا حداً لعصر العشيرة الأبوية... وحيث أنهم كانوا من آكلة لحوم البشر فمن البديهي أنهم التهموا فريستهم بعد أن قتلوها... وقدر للوليمة الطوطمية، والتي ربما كانت أول احتفال بشري، أن تصبح تذكاراً تتكرر معه تلك الجريمة الشنعاء التي كانت بداية لأفعال كثيرة: التنظيمات الاجتماعية، التقييدات الأخلاقية، الديانات.

والمفارقة من ذلك الفعل المأثور، أن نتيجة هذه الجريمة الأولى كان عكس ما يتوقعه الأبناء، فما كانوا يتمنون إستباحته في حياة الأب والحصول عليه، أخذ طابع التحريم، وظهر في نواميس مقدسة، تصيب اللعنة كل من يتجاوزها. فقتل الأب جعل جميع الأبناء يتماهون به، ويحرمون في مماته ما كانوا يستحلونه في حياته، وارتد عليهم بصورة الطوطم، حيث أن الرضوخ له، وتقديم القربان والطقوس، وافتعال التحريم بتشريعات مختلفة، أصبح السبيل

---

(1) Ibid- P. 168-

الوحيد للتكفير عن شعورهم بالذنب[1].

إن أهم ما يميز التماهي، إنطلاقاً من التعلق الوجداني بالمحبوب، هو أن يحصل عليه أي يمتلكه، ويدمجه كي يصبح مثله، وما كان خارجياً يصبح داخلياً عن طريق الاندماج. وهكذا يصبح المثال الأعلى الخارجي داخلياً يحدد مسلكه وتصرفاته. وتعتبر هذه الخطوة في التماهي الأولي في الأب والأم بداية الدخول في المرحلة الأوديبية، التي يعاني الطفل من جرائها صراعاً نفسياً لا يخرج منه إلّا بعد أن تكون قد تكونت في ذاته الأسس الرئيسية لانبنائه النفسي. وبناء على ذلك، وقبل أن يكون الأب موضع عداوة الصبي وكراهيته يكون رمزاً يحتذى به، وموضوعاً جنسياً يستقطب الجزء الأعظم من التيار الشبقي الذي يساوره في هذه المرحلة.

ولكي نبيّن التطورات التي تمر بها الذات في مراحل نموها، لا بد من أن نبيّن ارتباط التماهي المؤسس للذات بعقدة الخصاء، وهي التي تؤمن لها من خلال التماهي بالأب الارتقاء إلى المستوى الإنساني السوي.

وفي المرحلة القضيبية، يتجه اهتمام الطفل إلى عضوه التناسلي الذكري، ويعبر هذا من نفسه بتكرار مداعبته له، أي عن طريق الاستمناء؛ ويكشف الطفل حينئذ أن البالغين لا يوافقونه على فعله هذا، كما يظهر له أن هذا الجزء الذي يعتزّ به سوف ينزع منه.

وسوف تمثل هذه المرحلة من التنظيمات الجنسية لهذا التهديد بالخصاء، إذ تقدم عقدة أوديب إمكانيتَين للإشباع: إما أن يضع الطفل بنفسه مكان أبيه ويحظى بالأم كما يفعل الأب تماماً الذي يصبح عائقاً في مثل هذه الحالة. أو أن يحل محل الأم فيصبح محبوباً من الأب وتصبح الأم فائضة عن الحاجة. ولكن كلا الحالين يؤدي إلى فقدان القضيب، سواء باتخاذ دور الذكر

---

(1) FREUD- Totem et Tabou- OP. cit. P. 162, 163, 165-

وتلقي العقاب بالخصاء، أو اتخاذ دور الأنثى والتخلي عن القضيب كشرط ضروري لذلك.

وإذا كانت نتيجة إشباع الرغبة التي تنشأ عن الحب ستكلف الطفل فقدان قضيبه فلا بد أن يخوض الطفل صراعاً نفسياً عميقاً بين ميوله النرجسية والشحنات الليبيدية الموجهة نحو الموضوعات (الوالدان). وينتهي هذا الصراع بالطريقة السوية بانتصار النوع الأول من القوى فيهجر الأنا عقدة أوديب[1].

فالتماهي بالأب بالنسبة إلى الصبي الصغير يمثل المخرج السوّي الذي يستطيع عن طريقه التخلص من عقدة أوديب.

يقول فرويد: «عندما تتحطم عقدة أوديب، يتعين التخلي عن توظيف الموضوعاتي للأم. ومن الممكن أن ينوب منابه واحد من احتمالين: إما أن يتماهى الطفل بأمه، وإما أن يعزز تماهيه مع أبيه. والمخرج الثاني هو الذي يمكنه أن يصبح من بين السويين، ويمكنه في نفس الوقت من الاحتفاظ تجاه أمه بشعور الحنان. وزوال عقدة أوديب تكون الذكورة في طبع الصبي ومن ثم قد تعضدت. وعلى نحو مماثل تماماً، يمكن أن يتأدى الوضع الأوديبي للبنت الصغيرة إلى تعزيز لتماهيها مع الأم (أو إلى بناء لهذا التماهي) مما يوطد الطبع الأنثوي للطفلة»[2].

ويأخذ هذا التحول عن عقدة أوديب الصورة الآتية: يجري التنازل عن شحنات الموضوع وتستبدل بالتماهي، فهناك صلة دائمة بين التماهي واختيار الموضوع؛ وهذا يعني «أن الإنسان إذا فقد موضوعاً من موضوعات حبه أو اضطر إلى هجره فإنه غالباً مع يعوّض هذا الحرمان بأن يتماهى بالشخص المفقود، وبالتالي فإنه يدمجه مرة أخرى في ثنايا الأنا، وكأن اختياره، في هذه الحالة، ينكص إلى التماهي ويرتد إليه»، وتسقط عن الاتجاهات الليبيدية صفتها الجنسية

(1) FREUD- La Vie Sexuelle- Trad. Berger et Laplanche- Ed. P.U.F. Paris 1977- P. 119, 120-

(2) FREUD- Le Moi et le ça- in Essais de Psychanalyse- OP. cit. P. 244, 245-

وتتسامى وتكف عن أهدافها وتتحول لتصبح مشاعر عاطفية، وتجتاف introjection سلطة الأب أو الوالدين معاً في الأنا. وهكذا يندمج جزء من العالم الخارجي في الأنا مكوناً الأنا الأعلى الذي يصبح مكوناً من مكونات العالم الداخلي. وتستمر هذه المنظمة النفسية الجديدة في القيام بالوظائف التي كان يؤديها أفراد معينون في لعالم الخارجي من قبل: «فهي تراقب الأنا وتصدر إليه الأوامر وتقوّم أخطائه وتهدده بالعقاب تماماً كالوالدين اللذين حل محلهما»[1].

لقد تبين لفرويد أن الأنا يتكون من العمليات النفسية، فهو ينمو ويكتسب خبرة في كل مرحلة يمر بها. وعملية التماهي تساهم في تأسيس الأنا وإنبنائها بحيث تدل على الذات بالنسبة للآخر.

أن الأنا مركبة من تماهيات ثانوية، فحين يواجه الأنا موضوعاً يتوجب عليه التخلي عنه، فإنه يضطر لكي يعوض عن خسارته بأن يدمجه في ثناياه عن طريق التماهي لكي يصبح جزءاً منه. وبالاحتمال، أن التوظيفات الموضوعية تنطلق عن الهو الذي يستشعر الميول الشبقية على أنها حاجات. ويعاني الأنا من هذه التيارات التي لا يكون أمامه غير أن يقبل بها أو أن يسعى إلى أن يقي نفسه منها بواسطة سيرورة الكبت. وهكذا عندما يضطر تحت ضغط الروادع الخارجية من أن يتخلى عن موضوع معين، وأن يلجأ إلى عملية التماهي لكي يدمج في أناه صفة من صفاته يعوض بها عن خسارته. وربما كان هذا التماهي بصفة عامة الشرط اللازم لتخلي الهو عن هذه المواضع[2]. ويضاف إلى هذه العملية عملية التسامي Sublimation الذي يلعب دوراً هاماً في تجريد الموضوع عن غاياته الجنسية. فالأنا، عند فرويد ناتج عن هذه التماهيات الخيالية التي تكونه، ولذلك فالانسجام ما بين هذه التماهيات هو الذي يؤدي إلى الحالة النفسية السوية، بينما تضاربها فيما بينها يؤدي إلى الصراع النفسي، وإلى حالات العصاب.

---

(1) FREUD- Nouvelles Conférences sur la Psychanalyse- OP. cit. P. 85, et 87-

(2) FREUD- Le Moi et le ça.. OP. cit. P. 241-

فالتماهي إذن عملية تعويض ناتجة عن خسارة موضوع حب معين، كانت تربطه بالذات صلات عاطفية وثيقة. أي أن فقدان الإنسان لموضوع حبه، هو الدافع إلى التماهي من حيث يمكنه التعويض عن طريق إدماجه في الأنا بصفة من الصفات. وهذا الاندماج لا يمكن أن يحصل إلاّ بعد أن يجرد هذا الموضوع المعين من صفته الشبقية المتأتية من اللاوعي، وارتقى به إلى مرحلة التسامي.

ويرى فرويد أن أهم عمليات التماهي تتمثل في تكوين «مثال الأنا» Idéal du Mooi، وهي في الواقع عملية لا واعية تتأسس من خلالها الذات ومن دون علم منها. وفيما يختص نشوء مثال الأنا يقول فرويد: إذ خلفه يختفي أول تماهٍ وأهم تماه لدى الفرد، واغي به التماهي مع الأب في عهد ما قبل التاريخ الشخصي. ولا يلوح أن هذا التماهي نهاية أو نتيجة لتوظيف موضوعاتي، وإنما هو تماه مباشر، فوري، أسبق في الزمن من أي تركيز على موضوع معين[1].

ويأخذ هذا التماهي طابع العداوة عندما يدخل الصبي الصغير في المرحلة الأوديبية، فيتماهى بوالده لكي يحل مكانه ويذيحه من طريقه؛ غير أن شعوره تجاه أبيه لا يقتصر فقط على كرهه وعداوته، وإنما مرتبط به سابقاً بالحب والحنان. ولذلك لا يمكن أن يبقى هذا التماهي دون أن يرتد عليه بردات فعل عكسية تؤنبه وتحد من سلوكه. لأن مثل هذا التماهي وما يخفى في داخله من دوافع جنسية محرّمة لا بد أن يلقى الردع أو الصد، وهذه السلطة بعدما كانت خارجية تصبح داخلية بفضل التماهي.

يقول فرويد: «أن أعم نتيجة للمرحلة الجنسية التي تهمين عليها عقدة أوديب مع الأثر الذي يترسب في الأنا من جراء حدوث هذين التماهيين بصورة متناغمة بنوع ما. وهذا التغير الطارىء على الأنا يحتفظ بوضعه الخاص، ويقف موقف المعارضة من باقي مضمون الأنا بصوفه مثال الأنا أو الأنا الأعلى. غير أن الأنا الأعلى ليس مجرد ترسبات لاختيار الموضوعات الأولى للهو، بل هو يمثل أيضاً تشكيلاً إرتجاعياً قوياً ضد هذه الاختيارات، وعلاقاته بالأنا لا يختصرها هذا

---

(1) Ibid- P. 243-

الأمر: عليك أن تكون هكذا مثل أبيك، بل تشتمل أيضاً على هذا النهي: لا يحل لك أن تكون هكذا مثل أبيك، أي لا يحل لك أن تفعل كل ما يفعله؛ فبعض الأشياء وقف عليه وحده»[1].

هذا الوجه المزدوج لمثال الأنا مشتق من كون مثال الأنا قد بذل كل جهده من أجل كبت عقدة أوديب، بل من كونه أيضاً لم ينشأ أصلاً إلّا بفضل الظهور عليها. ولا شك أن كبت عقدة أوديب ليست أمراً سهلاً: فالأنا الطفلي، الذي أدرك أن الوالدين، وخاصة الأب، هما العقبة التي تقف في طريق تحقيق الرغبات الأوديبية، عمد إلى نصب هذه العقبة في داخل نفسه لكي يشد من عزيمته ويتمم ذلك الكبت. فمن الأب استعار بصورة والقوة اللازمة، وهذه الاستعارة هي فعل تترتب عليه نتائج هامة: فالأنا الأعلى سيحفظ طبع الأب. وبقدر ما كانت عقدة أوديب قوية، وبقدر ما يتم كبتها بسرعة، تحت تأثير السلطة، والتوجيه الديني والتعليم والمطالعات، فستكون أشد وطأة في المستقبل سيطرة الأنا الأعلى على الأنا، في صورة الضمير، أو في صورة الإحساس اللاواعي بالذنب.

ويؤكد فرويد على أن الأنا الأعلى هو في الواقع «الوريث الشرعي لعقدة أوديب». وبفضله تتم عملية الكبت بعد أن تتحطم عقدة أوديب، فهي دائماً وأبداً تبقى لا واعية. فالتماهي بالأب يكون في الحالة السوية الحل لها الذي يمكن الأنا من السيطرة على دوافعه اللبيدية ويخلق مقابلها مفاهيم وروادع خلقية تدفعه إلى المستوى الاجتماعي. وهذا يجعل الأنا يأخذ، فيما بعد، بالتوجيهات الأخلاقية والتربوية بدافع التماهي بمثال الأب. وترتكز المشاعر الاجتماعية إلى تماهيات مع أشخاص آخرين من منطلق مثال أنا واحد[2]. وهذا يعني أن الفرد، بحكم هذا التماهي، يعتنق مثل وقيم والده، ويتبنى قيمة الاجتماعية والتربوية، ويندرج في عداد عدة نفوس جماعية، أي نفس عرقه، ونفس طبقته، ونفس

---

(1) Ibid- P. 246, 247-

(2) Ibid- P. 249, 250-

طائفته، ونفس دولته . . . ويصبح الفرد في هذه التشكيلات الجماعية مرتبطاً بوثاق واحد هو مثال الأنا[1] فارتباطه في مثال هذا الأنا الذي يسيطر على الجماعةما هو إلاّ امتداد لارتباطه بكناية اسم الأب الذي يكونه؛ فمحبته له هي التي دفعته ليتماهى به ويتحول عن رغبته المحرمة. وفي مقابل ذلك يتخلى عن هوامه Fanlasme في امتلاك أمه، ويتحول برغباته المكبوتة ليعبر عنها في المجالات المختلفة والنشاطات المتعددة في ميادين الحياة. ولا شك إن استحالة إقامة تلك العلاقات الجنسية الأولية هي قوام بناء المجتمع وقيمه الإنسانية.

ويرجع الفضل في إضافة مفهوم التماهي إلى الدراسة الإرتقائية الشخصية الإنسانية للتحليل النفسي الفرويدي. لقد كشف فرويد النقاب عن هذه العملية التي تعتبر من المفاهيم الهامة في عملية «تكوّن الأنا ومن ثمة في مجال العلاقات الاجتماعية. ويرتبط التماهي عامة بما يحب الشخص أن يكونه، بينما تدل العلاقات بالموضوعات على ما يجب الشخص أن يمتلكه.

ويرى فرويد حدوث التماهي في الأشهر الأولى من حياة الطفل، والأنا لم يتميز بعد كلياً من الهو. فالبنياالنفسي للطفل يكون غير متمايز، وينعدم لديه القدرة على إدراك الموضوعات، ومن ثمة على أنشاء أي نوع من العلاقات. ونستدل من ذلك على وجود نوع أولي من التماهي في تلك المرحلة المبكرة، حيث يحاول فيها الطفل أن يدمج العالم الخارجي في ذاته فيدرك ذاته كأنه حاصل على خصائص من يحيطيون به. وفي هذه المرحلة لا يكون ثمة تمييز بين الذات والموضوع. وهو ما يسميه فرويد بمرحلة «الغلمة الذاتية». فالتماهي هو أول تعبير عن رباط إنفعالي بشخص آخر»[2].

وبتدرج نمو الأنا، تتركز الطاقة الليبيدية في الأنا. وهي مرحلة أطلق عليها

---

(1) FREUD- Psychologie des fourles et Analyse du Moi- OP. cit. P. 198-

(2) Ibid- P. 167-

اسم «النرجسية الأولية». وفيها تكون الذات نفسها موضوع اللذة، بدلاً من الموضوعات الخارجية التي يدركها الطفل كموجودات مستقلة. فالطفل يسلك، وكأن الوالدين وكل من يحيط به مجرد امتداد لذاته. وتتطابق هذه الحالة مع اعتقاد الطفل بالقوة المطلقة لأفكاره(1).

وأول أنواع العلاقات بالموضوعات يصحب عادة وعي الطفل بمطلق اعتماده على أمه، التي تربطهما علاقة وجدانية قوية، والتي تلبي حاجاته ومطالبه المرجوة منها: على الرغم من أن كليهما يفرض الإحباط على بعض الدوافع الغريزية. ومن هنا يتعلم الطفل أن ينتظر الإشباع، وبالتالي أن يتقبل الإشباعات البديلة - وبذلك يتحول النشاط الغريزي إلى نوع من رد الفعل. وتعد هذه كلها عوامل أساسية في نمو الأنا.

وتتجه الوظيفة الجنسية في تطورها العام إلى نبذ الشهوة الذاتية، أي الاستعاضة عن الموضوع الأول للذة وهو جزء من جسم الطفل بموضوع خارجي. وينتقل الطفل بالتدريج من النرجسية الأولية إلى الحب الموضوعي حين ترتبط مشاعره (الليبدو) بالأم أو ببديلة الأم (المرضعة)(2).

وتمثل هذه الرابطة أول علاقة حقيقية بشخص آخر، وتكون مسبوقة بتماهي أولي بهذا الشخص. مثل هذا التطور من حالة النرجسية الأولية (مركزية الذات) إلى العلاقة بموضوع معين، عنصر ضروري في نمو الطفل على المستوى الإنفعالي السوّي. فالتماهي على هذا النحو يصبح نقلة من مرحلة النرجسية إلى مرحلة العلاقات بالموضوعات لأنه يمكّن الطفل من تمثل بعض عناصر من العالم الواقعي والاستمتاع بها.

وبوجه عام يقوم تماهياً أولياً، كما يرى فرويد، بدور كبير في تكوين الشخصية. وهو غالباً ما يشير إلى رغبة الشخص اللاواعية في التشبه بشخص

(1) FREUD- Totém et Tobou- OP. cit. Voir P. 104-

(2) FREUD- La Vie Sexuell- OP. cit. P. 93-

آخر وتشكيل ذاتيته تبعاً لهذه الرغبة، فالتماهي متعارضاً منذ البداية، شأن كل الروابط الانفعالية الطفلية؛ فقد يتحول إلى تعبير عن الحب، كما قد يتحول إلى رغبة في التخلص من الآخر وإلغائه.

أما «التماهي الثانوي» فيقضي استبدال شحنة موضوع مهجور بموضوع آخر قد نصب داخل الأنا، وهو وسيلة يتكيف بها الأنا مع خسارة موضوع معين، وقد تكون الطريقة التي يتكيف بها الفرد من مواجهة هذه الخسارة. فحين يدمج الموضوع في شخصية الفرد، في هذه الحالة، يصبح من السهل على الشخص السوي أن يقطع علاقته بالموضوع نهائياً. والأزمات النفسية ممكنة الحدوث خلال هذه الفترة الانتقالية. وضحّ فرويد هذه العملية لدى المريض السوداوي بعد فقدان الشخص المحبوب. فالتماهي الثانوي يكون مصحوب عادة بعمليات أخرى مثل التسامي لأنه يتضمن تجريد الهدف الشبقي عن طابعه الجنسي. «ومهما يكن من أمر، فإن هذه السيرورة كثيرة التواتر، وعلى الأخص في المراحل الأولى من النمو، مما يفسح أمامنا في المجال للإفتراض بأن طبع الأنا ينجم عن ترسب توظيفات المواضيع المهجورة»[1].

ويرى فرويد في التماهي علاقة أكثر بدائية من الحب الموضوعي لأنه متقدم عليه في الظهور؛ ويعتبر أن التماهي الأول بالوالدين هو تماهي مباشر قبل أي توظيف مووعي.

غير أن علاقة الطفل بالموضوعات تعوزها مميزات الاختيارات الموضوعية الناضجة، أضف إلى ذلك، أن مشاعر الحب التي يشعر بها الطفل نحو الموضوع تكون مصحوبة بمشاعر الكراهية في نفس الوقت. فالعلاقات متعارضة إلى أقصى حد، متصاحبة فيها اتجاهات حفظ الموضوع وتدميره: فتعلق الطفل يتجه أولاً إلى شخص الأم، ثم يتدرج فيشمل الأب. وغالباً ما نرى أن التناقض الوجداني بين اتجاهات الحب والكراهية هو المسبب في الصراع

---

(1) FREUD- Le Moi et le ça- OP. cit. P. 241-

النفسي. فالصبي، في مستهل العقدة الأوديبية يكتشف أنه من المستحيل عليه أن يحتفظ بتماهيه بالأب إلى جانب شعوره المتزايد بالكراهية نحوه. في هذه المرحلة من التطور، تكون الرغبات الليبيدية ذات طبيعة جنسية مباشرة، فهي تتضمن رغبات وهوامات حسّية تدور حول الجنس الأخر، وتكون مصحوبة بمشاعر متعارضة من المنافسة والكراهية موضوعها الوالد من نفس الجنس. وتقتضي تسوية الصراع الأوديبي كبت الرغبات الجنسية كبتاً جزئياً، ومن ثم تحويل اتجاهها؛ أي تتحول مقومات الليبدو الجنسية إلى طاقة لبيدية مكفوفة الهدف. «فالتوظيفات الانفعالية للموضوعات تهمل وتستبدل بعملية تماه... أما الميول الليبدية المتصلة بعقدة أوديب فتجرد جزئياً من صفتها الجنسية وتتسامى، وهذا ما يحدث بوجه الاحتمال لدى كل تحول إلى ماه. وتكفّ جزئياً من حيث الهدف وتبدل إلى مشاعر الحنان والحب»[1]. وعلى أثر تصفية عقدة أوديب يدخل الطفل في مرحلة الكمون. وتتميز هذه المرحلة بتناقص الاهتمام الجنسي المباشر، وتظهر الطاقات اللبيدية في صور متسامية مكفوفة الهدف. وفي فترة المراهقة تنبعث من جديد دوافع الجنسية الذاتية المكبوتة بجانب نوازع المراهقة الجنسية. فيحدث امتزاج بين جوانب الليبدو الوجدانية والجنسية.

وبسيطرة النوازع التناسلية الناضجة، يتحرر الفرد من قيود التعلق الوجداني المفرط بالوالدين.

وبجانب هذا المفهوم للتماهي الذي يعني بأنه تشكيل الفرد ذاته وفقاً للموضوع، هناك صور متنوعه له: فقد يدل التماهي على المشاركة الوجدانية. فالتعلق المتبادل الذي يقوم بين أفراد جماعة معينة لا بد أن ينبع من تماهٍ مماثل، مبنى على أساس من وحدة المشاعر. هذه السيرورة (التي تمثل عواطف الأخرين) تلعب دوراً كبيراً للغاية، في فهمنا الجوانب الغريبة عنا في غيرنا من الأشخاص[2]. إن وحدة المشاعر هذه مكونة من طبيعة الرابطة التي تربط كل فرد

(1) FREUD- La Vie Sexuelle- OP. cit. P. 120-

(2) FREUD- Psychologie des foules et analyse de Moi, OP. cit. P. 171-

من الجماعة بالقائد أو الزعيم؛ وقد يكون التماهي أيضاً بالأفراد أو بالجماعات، والعائلة والأمة.

وقد لا يكون للشخص أية رابطة بالموضوع إلاّ على أساس رغبته في الحصول على اللذة التي يشعر بها الموضوع. فالذات قد أدركت وجود شبه هام في الآخر بصدد نقطة محددة، وعلى الأثر يحدث تماهٍ بصدد هذه النقطة. وعلى هذا النحو قد يحدث التماهي كلما يكتشف الشخص في نفسه سمة مشتركة بينه وبين شخص آخر، دون أن تربطه بهذا الشخص أية رابطة إنفعالية. وكلما كانت السمات المشتركة أكثر أهمية، كان التماهي أكمل وتطابق على هذا النحو مع بداية تعلق جديد[1].

ويشير فرويد أيضاً إلى التماهي على أنه وسيلة للتغلب على إعتداء أولي موجّه ضد الموضوع، وهو ما يحدث خلال تسوية عقدة أوديب: «ومن نتائج التماهي معارضة الإعتداء على الشخص الذي تم التماهي معه، ومساعدته، ومدّ يد العون له»[2].

لقد رأينا كيف يكون الوضع للطفل في تلقي الحب، وعندما يصبح العزل عن موضوع الحب مؤدياً إلى التماهي وتكوين الأنا الأعلى لديه؛ غير أن الطفل إذا بقي معتمداً على والديه فقط، فيصبح التماهي بالمعتدي هو الغالب. ويؤدي هذا النوع من التماهي إلى نظرة عدائية للعالم وصراعٍ نفسي شديد، وأنا أعلى متطرف في معاقبة الذات. فحين يكون الأب قاسياً، شديد العقاب، يأخذ الطفل بعدد من التماهيات الدفاعية التي تؤدي إلى تشويه غير واقعي لسلوك الوالدين اللذين لا يدمجان كلية في الأنا.

والشخصية التسلطية هي خير مثال لهذا النوع من التماهي بالمعتدي. وقد توسعت أنّا فرويد في دراسة «التماهي بالمعتدي identification à l'agresseur

(1) Ibid- P. 170, 171-

(2) Ibid- P. 174- en marge.

وفيه يسيطر الفرد على مخاوفه من الشخص أو الموضوع المعتدى بتماهيه بـه، حيث يتحول الشخص المهدَّد إلى شخص يهدِّد. ولما كان الخوف هو الدافع الأول لهذا النوع من التماهي، كان فيه إضعاف لذاتية الشخص. لـذلك يعتبر التماهي هنا عملية يستعين بها الأنا على مواجهة النوازع التي تتهدد الشخص من الداخل، استعانته بها على مواجهة الأخطار التي تصدر من الخارج. فالتماهي آوالية دفاعية لاواعية تجاه الخطر؛ فحينما يجابه الشخص بخطر خارجي (يتمثل نموذجياً بإنتقاد صادر عن سلطة ما) يتماهى مع المعتدي عليه، إما بأن يتبنى لحسابه العدوان بحد ذاتـه، وإما من خـلال المحاكـاة الفيزيقيـة أو المعنويـة لشخص المعتدي، أو من خلال تبني بعض رموز القوة التي تـدل عليه. تسـود هذه الأوالية، تبعاً لأنّا فرويد، في تكوين المرحلة التمهيدية للأنا الأعلى حيث يظل العدوان عندها موجهاً نحو الخارج، إذ أنه لم يرتد بعد على الشخص ذاته على شكل نقد ذاتي(1).

والحال أن التحليل النفسي يكشف لنا على وجه التحديد عن وجود هذه الأواليات الأخرى: إنها التماهيات، وهي سيرورات ما تزال غير معروفة بما فيه الكفاية بعد.

---

(1) La Planche et Pontalis- OP. cit. P. 190-

الفصل الرابع ـ

وضعية الأساليب الأسقاطية ـ

١ ـ الاختبـار الإسـقاطـي ـ

الشخصية تنظيم دينامي معقد، وبالتالي فإن دراستها عملية شائكة معقدة؛ فهنـاك أساليب متنـوعة في دراسـة الشخصيـة تمّ التـوصـل إليهـا. من الـطرق المستخـدمة في دراسـة الشخصيـة مقـاييس التقـديـر. والاستخبـارات Questionnaires، والاختبـارات التي تقيس سمـات الشخصيـة، والـطرق الإسقاطية التي تعتمد إما على التعبير الحركي، أو التكوين الإدراكي، أو الفهم الدنامي. واختبارات الشخصية إما عملية تقترب من مواقف الحياة ومشكلاتها، أو تضع الفرد في الموقف الذي يراد دراسة شخصيته بالفعل.

وإذا كانت الاستخبارات أو الاستبيانـات هي الطرق المـلائمة لـدراسة السمات، فإن الأساليب الإسقاطية تلائم نظرية الشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات دينامية.

إن مصطلح «اختبار إسقاطي» Test Projectif والذي يرجع إلى لورانس فـرانـك L. Frank (١٩٣٩) هـو وصف عـام لبعض المبـاحث المـدخلية (أو المقـاربة Approche) غيـر المباشـرة في دراسة الشخصيـة، التي تهـدف إلى الوصول بالفرد إلى أن يقدم تقييماً لصفاته دون أن ينتبه إلى أنه يقـوم بذلـك. فالفرد حين تعرض عليه مثيرات غير مشكلة ومبهمة إلى حدٍ ما ويطلب منـه أن يستجيب لها، يسقط على هذه المثيرات المبهمة حاجاته ونزعاته وأفكاره، وتبدو

هذه الحاجات والنزعات والأفكار في صورة استجابات لهذه المثيرات[1].

لقد استخدم فرويد مصطلح الإسقاط ليبيّن الآوالية الدفاعية التي بها تلقى الأفكار والمشاعر غير المقبولة من الذات إلى العالم الخارجي.

غير أن الإسقاط ـ كما هو مستخدم في الاختبارات إزاء وضعيات ضئيلة التشكل، وإزاء مثيرات غامضة ـ فيستخدم بمعنى أوسع، فيشتمل على أية صفة من صفات الذات تنسب إلى العالم الخارجي، أو على أية طريقة تتكشف فيها بعض الأشكال الخاصة للإدراك.

يقترب كل اختبار إسقاطي من الشخص بطريقة غير مباشرة: ففي الاختبار الإسقاطي لا يمتحن الشخص مباشرة بالسؤال عن نفسه، وإنما يطلب منه أن يستجيب للمثير مما يتراءى له من أفكار ومشاعر، وما يدركه في هذا المثير؛ ولذلك فهو يكشف عن غير قصد في أدائه عن بعض نفسه، وفي هذه الطريقة، فإن ما يكشف الشخص عنه يكون أقرب إلى الحقيقة مما يقدمه مباشرة. وبالتالي فالفرد يستجيب للمادة غير المشكلة التي تعرض عليه بطريقة عفوية دون أية تأثر بإرادته إلى حد بعيد. والفرد حين يستجيب فإنه يتداعى بأفكاره، ويسقط من مشاعره ورغباته وانفعالاته اللاواعية ويكشف عن كل ذلك بطريقة ما في المادة المعروضة أمامه ـ هذا القول ينطبق على طريقة التداعي في التحليل النفسي.

كان فرويد يبحث عن تقنية قادرة على توسيع مجال الوعي لدى المرضى الخاضعين للعلاج، وعلى أن تضع في تصرفهم، في أثناء سلوكهم الطبيعي، معرفة كانت حتى ذلك الوقت، لا واعية. والحال أن الأوالية النفسية التي تقود عملية التذكر، قد عرفت تحت اسم «تداعي الأفكار»، أي السياق الذي بموجبه، تستثير فكرة أو صورة حضور فكرة أو صورة أخرى إلى الوعي.

---

(1) نوتكات برنارد ـ سيكولوجية الشخصية ـ ترجمة صلاح مخيمر وعبده مخائيل رزق ـ الأنجلو المصرية ١٩٥٩ ـ ص ١٨٨.

فالتداعي التخيّيلي الذي يتميز بعفوية العقل في استداعاءاته المتعاقبة، أي التداعي الحر هو الذي استعان به فرويد ليبعث، لدى مرضاه، وعي ذكرياتهم القديمة. وهذه الطريقة، أيضاً تلائم بصورة خاصة الغاية التطهيرية، التي يفرغ بها الفرد إنفعالاته ومشاعره المكبوتة، ومن هذه الصورة يمكن أن ينطلق التداعي لديه؛ وبالتالي نكتشف أن الذكريات التي ظهرت هكذا هي ذات روابط محددة مع حالة الوعي المستقرئة. بمعنى أن التداعيات التي جرت انطلاقاً من الفكرة الممهدة لذلك، هذه الفكرة ليست عفوية أو صدفة، بل هي تنفذ إلى مجال الذكريات التي هي أساس ظهور الفكرة الممهدة.

وهكذا فالتداعي الحر L'association libre يتيح للشخص، أن ينفذ إلى ميدان ذكرياته، وأن يجد، من جهة أخرى، بين هذه الذكريات، على أسباب مجيء الفكرة التي أتخذت كمنطلق إلى وعيه. وبناء على ذلك جعل فرويد عملية التداعي تأخذ مجراها لدى الشخص فيما يخص جميع أنواع الأفكار والصور المتولدة تلقائياً في ذهنه، للتوصل إلى الذكريات الدفينة.

يقول فرويد: فبعد أن كنت أحفّز المريض إلى أن يذكر شيئاً عن موضوع معين، أصبحت أطلب منه أن يستسلم لعملية تداعٍ حر، أعني أن يذكر كل ما يخطر بذهنه، على أن يتجنب أي توجيه لخواطره. ولم يكن بد، مع ذلك، أن يلتزم المريض بذكر كل شيء يخطر بباله جرفياً معرضاً عن الاعتراضات النقدية التي من شأنها أن تستبعد بعض الخواطر بحجة عدم أهميتها أو عدم مناسبتها أو بحجة ألاّ معنى لها.. إن طريقة التداعي الحر هذه التي هي تطبيق للقاعدة الأساسية في التحليل النفسي قد حققت ما كان ينتظر منها، أي نقل الأمور المكبوتة التي كانت تحتجزها المقاومة إلى الوعي[1].

لقد كشف التحليل النفسي أن الأفكار التي يتذكرها الشخص ويستجيب لها إنما تفهم على ضوء انفعالاته ووجداناته ورغباته واتجاهاته. فعملية التداعي لا تتحدد عفوياً، بل تحددها انفعالاته الفرد وحالته النفسية؛ أي إن هذه

(1) FREUD- La Vie et la Psychanalyse- OP. cit. P. 50, 51

الحالات النفسية الداخلية هي التي تحدد استجابات الفرد. وهذا ما ينطبق، مثلاً، على «اختبار تداعي الكلمات» - حيث يستجيب الفرد بأول كلمة ترد إلى ذهنه حينما يسمع الكلمة (المنبّه) - وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الاستجابة بأنها انعكاس لحالة الفرد النفسية واتجاهاته ورغباته. كما يكشف التحليل النفسي إلى تفسير الاختلافات في التذكر وتحريف الاستجابة عن طريق عملية الكبت التي تبعد عن مجال الوعي كل الأفكار التي تتصل بالنزوات والرغبات اللاواعية غير المقبولة، والتي إن تمكنت من الدخول إلى مجال الوعي سببت الألم للأنا.

كما أنه، من جهة أخرى، تطبيق عملية الإسقاط بمعناها في التحليل الفرويدي، كعملية لاواعية، على بعض الاختبارت الإسقاطية كاختبار «تفهم الموضوع»؛ حيث يمكن لنا أن نجد الشخص يسقط نفسه وموقفه في الحكايات التي ابتدعها. وعادة ما يبدأ تفسير المادة المسقطة (الحكاية) بتحديد تماهياته؛ أي تحليل المضمون الإسقاطي للحكاية. وتهتم طريقة موراي، في اختبار تفهم الموضوع، بالمضمون الإسقاطي، حيث يمكن الوقوف على بطل القصة، وهو الشخصية التي يتماهى معها الشخص في الحكاية.

ومع ذلك، يمكن القول بأن معظم الاختبارات الإسقاطية لا تتضمن بالضرورة عملية دفاعية لاواعية. إن الإسقاط لا يعرّف باعتباره أنه «مالا نريد الاعتراف به»، بل باعتباره «مالا نريد أن نكونه». وقد يظهر الإسقاط في بعض المجالات التي لا يكون فيها أية صراعات، بل يعبّر عن ميول واتجاهات الفرد.

وقد بيّن فرويد هذا الجانب من عملية الإسقاط حيث قال: ليست من الضروري أن يكون الإسقاط عملية دفاعية. إن إسقاط الحالات الداخلية على العالم الخارجي عملية أولية تؤثر بدورها في إدراكاتنا الحسية، وتساهم إلى حد كبير في تشكيل عالمنا الخارجي. ويمكن، في ظروف معينة، أن تسقط إدراكاتنا الذاتية للعملية العقلية والانفعالية على العالم الخارجي كمدركات حسية وتدخل

في تشكيل عالمنا الخارجي في الوقت الذي كان يجب أن تبقى في عالمنا الداخلي[1].

ومهما كانت الإلتباسات حول تحليل الإسقاط والاختبارات الإسقاطية فهناك شيء من التداخل بينهما. فكلاهما يتضمن نعت بعض الصفات التي لا وجود لها بالضرورة وفي الواقع، إلى بعض المواقف أو بعض الأشخاص. وكلاهما يتضمن أيضاً أن بعض الصفات التي يعزوها الفرد إلى المثير إنما تصدر عن حاجاته ونزعاته ورغباته واتجاهاته أكثر مما تصدر عن المثير ذاته. وهذا يعني أن الأشخاص المختلفين يعطون تفسيرات مختلفة للمواقف المثيرة.

إن كل موقف يتسم فيه الإدراك بما يعبر عن فردية الشخص، يمكن أن تستخدم كأساس للاختبار الإسقاطي. ولكن قد تختلف الطرق المستخدمة تبعاً لواحد من اتجاهين:

١ - إبهام المنبّه، المثير أو تحدده.
٢ - بساطة الاستجابة أو تعقدها.

فالموقف المثير الذي يستجيب له الفرد غير مشكل وناقص النظام البنيوي. ومن شأن هذا الموقف أن يقلل من التحكم الواعي للفرد في سلوكه، مما يترتب عليه سهولة الكشف عن شخصيته ـ فإذا كان الفرد، حين تعرض عليه مثيرات، يقوم بتنظيمها وتشيكلها حسب دوافعه ومدركاته وأفكاره وانفعالاته، فإن من الممكن للسيكولوجي أن يستخدم هذا السلوك كوسيلة إسقاطية تكشف عن شخصية الفرد. لكن تبين أن تنظيم الفرد للمواقف التي تتسم بنقص التشكل والانتظام، يكون أكثر تعبيراً عن شخصية الفرد ودوافعه ونزعاته من الاختبارات الموضوعية ذات المادة المحددة.

فالمثير يمكن أن يقل أو يعظم حظه من الانتظام البنيوي، كما يمكن للاستجابة أن تكون أبسط أو أكثر تعقيداً من حيث الصياغة. ولذلك، فكلما قلّ

(1) FREUD - Totem et Tabou- OP. cit. P. 78-

الانتظام البنيوي للمنبّه المثير، وقل تحديده، اتسع مدى التعبير عن الذات. وعظمت إمكانيات التأويل والتفسير، وكان الفرد أقل خضوعاً للعوامل الموضوعية للمثير. إن بقعة الحبر في اختبار روشاخ، مثلاً، أقل انتظاماً من حيث البنية، وغير محددة المعالم، بالنسبة إلى الصورة في اختبار تفهم الموضوع؛ ولذلك فهي تفسح المجال للكثير من التأويل والتفسير من جانب الفرد المفحوص، من حيث أنه يخضع بدرجة ضئيلة للحقيقة الخارجية. أما إذا كان الموقف المثير محدداً وواضحاً، ففي هذه الحالة يضيق مجال التأويل الشخصي والتعبير الذاتي، وذلك لوضوح عوامل التنظيم الإدراكي الخارجية. ولذلك، فإننا لا نستطيع أن نفترض أن زيادة الإبهام هي مميزة بصورة دائمة. فالزيادة في تنوع الاستجابات لا تفيد السيكولوجي إلاّ بقدر ما تكون هذه الاستجابات ممكنة التأويل[1].

وتمثل الاختبارات الإسقاطية نزعة من جانب الفرد ليعبر عن أفكاره ومشاعره ورغباته في تشكيل المادة غير المنتظمة نسبياً؛ وبالتالي، فهذه الاختبارات لا تقيس نواحي جزئية من شخصية الفرد، بقدر ما تحاول أن تكشف عن شخصيته ككل. وعلى هذا الأساس تعتبر وجهة النظر الإسقاطية دينامية من حيث أنها تنظر إلى السلوك في إطار الشخصية ككل. وكثيراً ما تلجأ تقنية الإسقاط إلى مفاهيم التحليل النفسي، على الأقل في البداية، في التأويلات التي تعود إلى رمزية تحليل نفسي. فعدد الإجابات المحتملة، والكبير بالنسبة لمثير معين، يعطي فكرة كافية عن صعوبة التأويل. والتحليل ضرور، إنما ينبغي أن نعيد وضع كل من تلك العناصر في سياق الشخص ككل. ولكن كل شخص هو فريد وكل إجابة هي فريدة[2]. إن سيكولوجية الإسقاط حين تؤكد النظرة الدينامية إلى الشخصية فهي تتخذ جميع العمليات النفسية التي تعمل داخل إطار الشخصية ككل.

---

(1) نوتكات ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(2) بوانبوار آنا ـ طريقة الروائز في التربية ـ ترجمة ميشال أبي فاضل ـ منشورات عويدات ـ بيروت ١٩٨١ ـ ص ١٢٧.

فمع فكرة الحتمية النفسية، أعطى فرويد لمفهوم اللاوعي المكانة الهامة في علم النفس. فاللاوعي، في المفهوم الفرويدي، ليس فقط مخزن لكثير من النزوات، بل وأيضاً كمخزن للأفكار والرغبات والمشاعر والانفعالات التي لا يقبلها الفرد عن ذاته، والتي يحاول أن ينساها أو يتجنبها، وهي المكبوتات.

وتصور فرويد العقل على أساس هذه القوى التي تؤثر على الإنسان والتي كثيراً ما تتصارع في داخله من أجل السيطرة. غير أنه يكبت الكثير من رغباته ويحول دون إشباعها بسبب العوائق التي تعترضه في الواقع أو العالم الخارجي؛ ولكن الطاقة المتضمنة في السعي من أجل الإشباع تبقى موجودة، وقد تسبب في صراعات نفسية قاسية. ولهذه القوى اللاواعية قدرة على الإفلات والهرب من خلال الرمزية في الأحلام، وفي الأعراض المرضية، وفي أساليب أخرى ملتوية أو مقنعة كفلتات اللسان والهفوات. . .

وقد أدت تأكيدات التحليل النفسي على البحث عما وراء الصراعات الداخلية. فلم يعد من الصواب أو التدقيق الكشف عن المظاهر الهامة لدى الفرد عن طريق طرح أسئلة مباشرة؛ فقد يخفي الفرد المعلومات بطريقة واعية. ولذلك، فإن منهج البحث وفقاً للتحليل النفسي يتضمن أن الفرد قد لا يكون واعياً بمشكلاته الخاصة، ولذلك وضع طرقاً دقيقة لكي يمكنه من اكتشاف هذه المشكلات أو الصراعات الداخلية. (التداعي الحر، تفسير الأحلام، تحليل الأعراض. . .) ولقد أدى كلا المبدأين أي الحتمية النفسية والقوى النزوية اللاواعية، إلى التأكيد بأن مشكلة فهم السلوك الإنساني والتنبؤ به، عن طريق التشخيص، مشكلة معقدة، تتطلب مهارة عالية، ووضع عدد من الاختبارات أو المقاييس الملائمة لهذا الغرض.

ويمكن القول بأن طريقة التحليل النفسي في إمكانية الكشف عن هذه العمليات اللاواعية، عن طريق هذه النواحي من السلوك يعتبر الأساس التي تستند إليه سيكولوجية الإسقاط في دراسة الشخصية.

ولقد أصبحت الاختبارات الإسقاطية من الوسائل الهامة التي تستخدم في

دراسة الجوانب المختلفة للشخصية، وتشخيص الحالات السّوية والمرضية، ومعرفة ما يعانية الفرد من مشكلات.

٢ ـ أنواع الأساليب الإسقاطية ـ

يمكن أن نصنف الأساليب الإسقاطية إلى الأنواع الأساسية التالية:

١ ـ الأساليب التكوينية	Techniques Constitutives
٢ ـ الأساليب البنائية	Techniques Constructives
٣ ـ الأساليب التفسيرية	Techniques interprétatives
٤ ـ أساليب الانتاج الفني	Techniques de Création artistique
٥ ـ أساليب التكميل	Techniques de Complètement
٦ ـ أساليب التفريغ	Techniques Cathartique
٧ ـ الأساليب الانعكاسية	Techniques Réfractives

١ ـ الأساليب التكوينية ـ

يتطلب من المفحوص أن يفرض على المادة المعروضة عليه شيئاً من التنظيم البنوية، وهذه المادة تكون عادة غير مشكلة أو ليس لها من بنية منتظمة واختبار روشاخ مثال لذلك. وحيث أن أشكال هذا الاختبار (بقع الحبر) غير مشكلة نسبياً، وليس لها من دلالة واضحة معينة بها، فإن الشخص يكوّن وينظم هذه الدلالة الغامضة، أي إنه يعطيها معاني وأشكالاً متعددة.

٢ ـ الأساليب البنائية ـ

هذه التقنية تتطلب من المفحوص أن يرتب مادة مشكلة ذات معنى محدد وخاص. فاختبار لووينفلد (العوزايكي) يتطلب من الشخص أن يرتب الأجزاء المختلفة الألوان والأشكال في صورة نماذج؛ أي إن المفحوص يرتب المواد التي تعطى له في أشكال أو صيغ أعمّ. إن «اختبار العالم» يستند في تأويله إلى الافتراض بأن الطفل يسقط تجاربه ومشكلاته الخاصة في طريقة استخدامه لمواد اللعب. أي إن الطفل يستطيع التعبير عن الرغبات، والمخاوف، والقلق

والدفاعـات خلال اللعب. وتـزوّد هذه التقنيـة الطفـل بعالم صغيـر من الأشياء حسب فهمه وشعوره الخاص لمواقف الحياة، والتي يمكن عن طريقه الاتصال بعالم الكبار أن يعبّر عما يدور في داخله، وأن يكشف عن اتجاهه الخاص.

ولذلك فإن هذه التقنية تحتل جانباً هـاماً في اختبـار الطفـل للكشف عن النواحي العديدة من شخصيته أو مشاعره أو مـواقفه؛ كمـا تستخدم في أعمـال العيادات النفسية وفي مسائل علاج الأطفال.

٣ ـ الأسـاليـب التفسـيريــة ـ

هذه الطريقة تقدم للمفحوص موقفاً يستجيب إليه عن طريق القيام بنشاط مبدع يعبّر فيه عن أفكاره ومشاعره وطحموحاته. واختبار تفهم المـوضوع مثـال ذلك، حيث نطلب من المفحوص بعد أن يرى الصورة المرسومة في البطاقة أن يبتدع حكاية أو قصة مثيرة عن الصورة التي رآها.

٤ ـ أسـاليـب الإنتـاج الفنـي ـ

يعتبـر تحليل الإنتـاج الفني من المحاولات الأولى في النـظر إلى الرسم بوصفه إسقاطاً للشخصية. فالرسم هو أحد الوسائل الهامة في معرفة تطور إدراك الفرد ونموه العقلي، وكذلك معرفة عالمه الذاتي. ويعتبر اختبار رسم «المنزل، والشجرة، والشخص» من أكثر أساليب الرسم الإسقـاطية في العمـل العيادي. وفي هذه الطريقة يطلب من المفحوص أن يرسم بالقلم الرصاص رسماً لمنزل، ثم لشجرة، ثم لشخص: ثم توجه إليه بعض الأسئلة المتصلة بتلك الوحدات. ويمثل الاختبار موقفاً يقدم للمفحوص مشكلة معينـة يحاول حلهـا، وهذا ممـا يدعو المفحوص في محاولتـه هذه أن يسلك سلوكـاً معيناً (لفـظياً، وتعبيـرياً). ويمكننا أن نعتبر أن كل استجابة يقدمها المحفوص لها دلالة هامة تعكس مستواه العقلي، وحالته الإنفعالية.

٥ ـ أسـاليـب التكميـل ـ

هذه الطريقـة تقدم للمفحـوص موقف أو مثيـر، وعليه أيكملّه. واختبـار تداعي الكلمات خيـر مثال على ذلـك، وهو يحتـوي على قائمـة من الكلمات

(١٠٠ كلمة)، تقرأ على المفحوص كلمة تلو الأخرى، ويطلب منه أن يرد على كل كلمة يسمعها بأسرع ما يمكن. والتأويل الذي يستند إليه الاختبار هو أن الكلمات التي تمس انفعالات المفحوص أو رغباته المكبوتة، من شأنها أن تثير فيه نوعاً من الارتباك أو الإضطراب.. وهذه تسمى بـ «كاشفة العقد». ومن دلالات الإضطراب طول زمن الرجوع للاستجابة، وبعض التعبيرات الانفعالية عند سماع الكلمة. وهذه الطريقة تكشف عن شخصية المفحوص الانفعالية وعن طبيعة إضطراباته. ويضاف إلى هذه الطريقة اختبار تكملة الجمل الناقصة، واختبار تكملة القصة، واختبار تكملة الصور...

٦ - الأساليب التفريغية -

لا تقتصر هذه الطريقة على كشف العمليات الذاتية لدى المفحوص، بل تساعد أيضاً على التخفيف الانفعالي. فكثير من أنواع اللعب العلاجي للأطفال يشتمل على نواحي التخلص من الانفعالات، والتعبير عنها أيضاً. فتحطيم الدمى يمكن أن يتيح للطفل الموضوع الذي يحتاجه لعدوان صريح، هذا بالإضافة إلى أنه يكشف للمعالج عن مصدر القلق للطفل.

٧ - الأساليب الإنعكاسية -

وهي التي تلقى فيها طريقة استخدام المادة ضوءاً على الشخص الذي يستخدمها. فطريقة استخدام المادة تمد السيكولوجي بوسيلة الكشف عن شخصية المفحوص. ومن أمثلة هذه الطريقة «كتابة اليد» graphologie؛ إذ يمكن النظر إلى الكتابة، والشكل الكلي للكتابة كانعكاس، مباشر لشخصية الفرد. ويمكن أن نضيف أيضاً إلى هذه الطريقة الكلام، من حيث استعمال اللغة، أو النبرة الصوتية أو التعبيرات اللفظية.. فهذه كلها تكشف عن أسلوب شخصية الفرد، وطريقته الخاصة.

هذا التصنيف للتقنيات الإسقاطية ليست منفصلة تماماً بعضها عن بعض، فهي متداخلة، إذ يعني بعضها أساساً بما ينبغي للشخص أن يفعله، على حين

يعني بعضهـا الأخر بنـوع الدلالـة التي سيجدهـا السيكولـوجي في المادة التي يقدمها للشخص(1).

٣ ـ وضعيـة الاختبـار الإسقاطـي ـ

تعتبر الأساليب الإسقـاطية الإسقـاطية من أهم وسـائل تقـويم الشخصية في العمـل العيادي، من حيث أن هذه الأسـاليب تزود السيكـولوجي الإكلينكي بمعـطيات هامة عن دينامية الشخصية، وإن إجراءها لا يتقيد كثيراً بالشكليـات، وفي هذه الأساليب يطلب عادة من للشخص أن يقوم ببعض الأعمال أو الارتبـاطات التي تثيرها أنواع معينة من المثيرات. ومن المفترض في هذه الاختبارات أن ما يصدر عن الشخص سـواءكان تخيلياً أو تنظيمياً، يكشف خصائص هـامـة وجـوانب مختلفة في شخصيته.

وليست الاختبـارات الإسقاطيـة في جانب الأكبـر مصممـة لتقيس سمة واحدة، فهي لا تقيّم بصورة آلية. إن الاختبار نفسه لا يتطلب الصحة، بقدر ما يتطلب تأويله ذلك. فليس للاختبار الإسقاطي (روشاخ، وتفهم الموضوع) من معنى محدد قبل أن يتم تأويله. ولذلك فنحن نجد الصحة أو الصدق في حالة الاختبارات الإسقاطية أقل وضوحاً، ولا تحظى أهميتها إلاّ بتقدير قليل. وإن ما يهم السيكولوجي هو الصورة التي كـوّنها عن المفحـوص، وأن تكون أجـزاءها متماسكة متداعمة بحيث أنه لا يشعر بحاجة إلى تبين الصحة الخارجية. وعلى أي حال، فإن الكثير من النتائج المستخلصة هي أمور كيفية، يصعب إخضـاع صدقها لاختبار موضوعي. فالسيكولوجي يبحث عن الصدق في هذا الاتفاق بين ما يكشفه من أخيلة الشخص والوقائع المعروفـة من حياتـه.. ويجد المختبر الإسقاطي نفسـه أمام تقديرات لأنواع كثيرة مختلفة من الصفات التي لا يمكن أن تتحدد من الناحية السلوكية. وعادة ما يكون تبين الصحة في الاختبار الإسقاطي غير مباشر بعض الشيء، والطرائق غير مستقرة تماماً(2).

DELAY J. et Pichot P.: abrégé de Psychologie- Ed. Masson, Paris 1984- Voir P. 360, 364- (1)

(2) نوتكات ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

فإذا قارنا الطرق الإسقاطية بغيرها من الاختبارات، فإننا نجد أن هذه الطرق أكثر صعوبة بالنسبة للمفحوص الذي يرغب عن قصد في تحريف إجابته. وحتى إذا اتخذ المفحوص موقفاً دفاعياً واعياً، فإنه يعجز عن تجنب الكشف عن بعض المظاهر الخاصة به لأنه لا يعرف ما الذي يسعى وراءه الفاحص. وهذه طريقة غير مباشرة للكشف عن شخصية المفحوص وجوانبها المختلفة. كما تعتبر حرية الاستجابة ميزة هامة لبعض الوسائل الإسقاطية. فبدلاً من الاقتصار على استجابة محددة، فإن من الممكن تقديم استجابات متعددة لما يطلب الاختبار أن يقوم به المفحوص وبهذه الطريقة، من الممكن، أن تكشف استجابات المفحوص عما هو هام وحاسم بالنسبة له. والفرضية التي تقوم عليها الاختبارات الإسقاطية هي أن المفحوص حين يستجيب للاختبار يكشف بالضرورة عن نزعاته ومخاوفه ومشاعره وانفعالاته وآماله، كما يكشف أيضاً عن العوامل المحركة لشخصيته. وبطبيعة الحال لن يكون هناك خطأ أو صواب، بل إن كل ما يقوله المفحوص يعبر عما يدركه ويشعر به، أو ما يرجو أن يكونه.. فطبيعة الاختبارات الإسقاطية هي الكشف عما يكمن في نفس المفحوص من مشاعر وانفعالات يسقطها بطريقة لا واعية، كما تكشف عن العوامل الدينامية في الشخصية. فعن طريق الأساليب الإسقاطية يمكن التغلب على بعض العوائق أو الصعوبات التي تحول دون التعبير الصريح من جانب المفحوص. وبناء على ذلك، فإن من الممكن أن تقدم الاختبارات الإسقاطية معلومات قيمة ليس من السهل استخلاصها بالطرق المباشرة. والسيكولوجي الإكلينيكي هو الذي يعتبر الأحكام التي يصدرها نتيجة هذه الاختبارات فروضاً يتناولها بدقة وحذر، ويقابلها بمعطيات أخرى إن أمكن(1).

ومن أهم الأسس التي تستند إليها الأساليب الإسقاطية ما يلي:

١ - إن طريقة إدراك الفرد وتفسيره لمادة الاختبار تعكس جوانب أساسية من وظائف شخصيته، أي إن الفرد يسقط على مادة الاختبار أفكاره واتجاهاته

(1) روتر - علم النفس الإكلينكي - مرجع سابق - ص ١٢٣ - راجع أيضاً سيد محمد غنيم - سيكولوجية الشخصية - دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣ - فصل الاختبارات الإسقاطية.

ومخاوفه وأنواع الصراع التي يعاني منها. فحين نعرض على المفحوص، مثلاً، صورة غامضة بعض الشيء، وطلب منه أن يتخيل قصة تدور حولها، فإن استجاباته تكشف عن إدراكه للمثير عن طريق المعنى الذي يضفيه عليه والطريقة التي ينظمه بها، ومن ثم تكشف عن نظرته للعالم وعن طريق تعامله مع الناس. ولذلك، يهتم السيكولوجي في تفسيره الاستجابات بالجوانب اللاواعية الكامنة في شخصيته في تفاعلها الدنامي.

٢ ـ يتطلب الاختبار لهذا الغرض عملاً غير محدد البناء بدرجات تتفاوت من اختبار لآخر، وبذلك يسمح بعدد متنوع من الاستجابات.

٣ ـ يتيح الاختبار فرصة التعبير للمفحوص عن أفكاره وخواطره وآماله، أي يطلق المفحوص العنان لخياله الحدّ في تداعي أفكاره ومشاعره... والحكم على استجابات المفحوص لا تقدر بأنها صحيحة أو خطأ، بقدر ما تقدر في كيفية استجابته للمادة المعروضة أمامه. أي ما هي الاتجاهات النفسية، والفكرية التي تدفعه إلى استجابةمعينة، أو مدرك معين...

٤ ـ غالباً لا يعي المفحوص حقيقة الغرض من الاختبار، والطريقة التي تفسر بها استجاباته له، ومن ثم يقل احتمال تحريف أو تشويه الاستجابة.

٥ ـ تهدف هذه الأساليب إلى الحصول على صورة كلية عن الشخصية، أكثر مما تتجه إلى قياس سمات أو خصائص منفصلة. فهي تستخدم في الكشف عن الخصائص الانفعالية، والميول، والاتجاهات، والرغبات، ومستوى الكفاءة العقلية، ومؤشرات التوافق اللاسوي.

ويتضح لنا أن الأساليب الإسقاطية تعكس تأثير كل من مفاهيم التحليل النفسي (وخاصة مفهومي الإسقاط والنزوات اللاواعية)، ومدرسة الجشتالت (وحدة الكائن الحيّ، وعملية الإدراك الكلي)؛ أي النظر إلى الشخصية ككل، لا باعتبارها مجموعة من السمات المنفصلة. ومن هنا كانت الأساليب الإسقاطية، حين تقوم في دراسة الشخصية، كانت تتخذ موضوعاً لها جميع العمليات النفسية التي تعمل داخل إطار الشخصية ككل.

الباب الثاني

الأساليب الاسقاطية

- Les Tests Projectifs —

تعتبـر الأسـاليب الإسقـاطيـة من الأدوات الهـامـة التي يستعين بهـا السيكـولوجي لكشف الجـوانب المختلفـة في الشخصيـة، وتشخيص حـالات الفرد، السوّية والمرضيـة، ومعرفـة ما يعـانيه من مشكـلات؛ أي إن الأساليب الإسقـاطية هي واحـدة من أدوات عديـدة يستخدمهـا السيكولـوجي في إصدار الأحكام أو التقديرات، وفي وصف وفهم شخصية الفرد (المفحوص)، ووضع الخـطة العلاجيـة وتقويمهـا، بالإضـافـة إلى العـديـد من البيـانـات المتنـوعـة والمعطيات المختلفة، ليكوّن افتراضاتـه وتنبؤاته عن حـالة الشخص التي يقـوم بدراستها.

ومن أهم الأساليب الإسقاطية التي سنقوم بعرضها وتفسيرها:

- أساليب التداعي، وفيها يستجيب الشخص للمثير بإعطاء أول كلمة تخطر له، ومن أمثلتها: تداعي الكلمات عند يونغ، ورابابورت.
- أساليب التكميل، ومنها تكملة الجمل الناقصة عند ساكس، وروتر.
- أساليب التأويل التي تتطلب من الشخص أن يستخلص تأويلاً لشيء مؤلف، مثل «اختبار تفهم الموضوع»، حيث يتبدع الشخص حكاية مثيرة عن الصورة في البطاقة.
- أساليب التكوين التي يقوم فيها الشخص بشيء من الانتظام البنيوي على مادة

غير منظمة، مثل «اختبار بقع الحبر» ـ روشاخ ـ.

هذا بالإضافة إلى تقديم بعض النماذج التحليلية للاختبارات، موضحين الأسس التي يقوم عليها تقدير الاستجابات وكيفية تفسير أبعاد الاختبار.

الفصل الأول

ـ أسلوب تداعي الكلمات ـ

Associations des Mots

يرجع تاريخ أساليب التداعي إلى كل من «جالتون» و«فونت» (اختبار التداعي الحر) في دراسة العمليات الفكرية في المختبر. وفيه يطلب من الشخص أن يستجيب لكل كلمة (المثير) تقدم له، بأول كلمة (الاستجابة) ترد إلى ذهنه. ولكن الفضل في استخدام هذا الأسلوب إكلينيكياً يرجع إلى «يونغ» Yung ١٩٠٤، الذي كان يضع عدداً من الكلمات لتمثل «العقد الانفعالية»، ثم يقوم بتحليل الاستجابة لكل منها على أبعاد معينة.

وتوالت بعد ذلك اختبارات تداعي الكلمات، عند «رابابورت»، و«كنت» و«شيفر»... لتشمل مجالات العائلة، والجنس، والعدوانية... واستخدمت هذه الاختبارات كأدوات تشخيصية هامة.

١ ـ اختبار تداعي الكلمات عند يونغ ـ

١ ـ مفهوم الاختبار وطريقة تطبيقه ـ

استخدم يونغ أسلوب تداعي الكلمات لتحديد مجال الإضطراب الانفعالي، وكشف «العقد الانفعالية» لدى الفرد. وكان يونغ يختار عدداً من الكلمات (المثير) لتمثل العقد النفسية أو الانفعالية الشائعة، وهي ما تسمى

بـ «كاشفة العقد» détection des complexes، ثم يقوم بتحليل الاستجابة لكل منها على أبعاد معينة(1).

يتكون الاختبار من قائمة تحتوي على ١٠٠ كلمة، اختيرت، بشكل خاص، للكشف عن العقد النفسية، والنواحى الانفعالية. تتضمن هذه القائمة كلمات شائعة، أدرج من بينها كلمات «حرجة» تمسّ النواحي الانفعالية لدى الفرد.

أما طريقة إجراء الاختبار فتتم على الشكل التالي: تقدم القائمة في العادة شفوياً، كلمة تلو الأخرى، ويستجيب الشخص (المفحوص) فوراً، بعد سماعه للكلمة (المنبّه أو المثير) بأي استجابة تمر أو تخطر في باله. ويبدأ السيكولوجي قوله: «سأقرأ عليك قائمة من الكلمات كلمة، كلمة. والمطلوب هو أن تستجيب لكل منها بكلمة واحدة، ويجب عليك أن تقول الكلمة الأولى التي ترد إلى ذهنك، مهما كانت، بعد سماع الكلمة التي أقولها. أجب بأسرع ما يمكنك، لأنني سأقوم بقياس الزمن الذي تستغرقه في الاستجابة».

وبعد أن ينتهي اليكولوجي من إلقاء التعليمات الخاصة بالاختبار، يبدأ في قراءة الكلمة الأولى، ثم يسجل استجابة المفحوص لها، وكذلك يسجل «زمن الرجع» temps de réaction، ويعني الزمن المستغرق بين سماع الكلمة (المثير) وإعطاء الاستجابة لها.

وقد يحدث أحياناً أن يخطىء المفحوص في فهم أو سماع الكلمة، فيفسر له السيكلوجي ذلك، ثم يعاد تقديمها بعد بضعة كلمات.

وبعد الانتهاء من الاختبار، تبدأ مرحلة ثانية وهي خاصة بإعادة الانتاج للاختبار نفسه. يقول السيكولوجي: «الأن سأعيد عليك نفس الكلمات، وعليك أن تستجيب بنفس الكلمات التي استجيب بها في الاختبار. وسوف أحسب أيضاً الزمن الذي تستغرقه».

---

(1) ANZIEU D. Les Méthodes Projectives- Ed. P.U.F., Paris 1980- voir P. 31-36-

ثم يبدأ السيكولوجي في إعطاء الكلمة الأولى ويسجل الاستجابة الجديدة (لمعرفة إذا كان ثمة اختلاف بينها وبين الاستجابة الأولى)، كما يسجل زمن الرجع (لمعرفة الاختلاف أيضاً). وعادة يكون الزمن المطلوب لكل كلمة «ثانيتين ونصف».

٢ - قائمة الكلمات (المثير) -

١ - رأس	- ٢ - أخضر	- ٣ - ماء	- ٤ - وخذ	- ٥ - ملاك.
٦ - طويل	- ٧ - سفينة	- ٨ - خطف	- ٩ - صحف	- ١٠ - لطيف.
١١ - طاولة	- ١٢ - يسأل	- ١٣ - حالته	- ١٤ - عنيد	- ١٥ - ساق.
١٦ - يرقص	- ١٧ - بحيرة	- ١٨ - مريض	- ١٩ - كبرياء	- ٢٠ - يطبخ.
٢١ - حبر	- ٢٢ - خبيث	- ٢٣ - إبرة	- ٢٤ - يعوم	- ٢٥ - رحلة.
٢٦ - أزرق	- ٢٧ - خبز	- ٢٨ - عاقب	- ٢٩ - مصباح	- ٣٠ - ثدي.
٣١ - شجرة	- ٣٢ - يغني	- ٣٣ - شفقة	- ٣٤ - أصفر	- ٣٤ - جبل.
٣٦ - يموت	- ٣٧ - ملح	- ٣٨ - جديد	- ٣٩ - عادات	- ٤٠ - يصعد.
٤١ - قطعة	- ٤٢ - بليد	- ٤٣ - دفتر	- ٤٤ - يحتقر	- ٤٥ - سن.
٤٦ - حقيقي	- ٤٧ - شعب	- ٤٨ - يشعر	- ٤٩ - كتاب	- ٥٠ - ظالم.
٥١ - ضفدع	- ٥٢ - يفصل	- ٥٣ - جوع	- ٥٤ - أبيض	- ٥٥ - طفل.
٥٦ - متيقظ	- ٥٧ - قلم	- ٥٨ - حزين	- ٥٩ - أسمر	- ٦٠ - يتزوج.
٦١ - منزل	- ٦٢ - عزيز	- ٦٣ - قدح	- ٦٤ - وبّخ	- ٦٥ - ماعز.
٦٦ - كبير	- ٦٧ - جذر	- ٦٨ - يرسم	- ٦٩ - جزء	- ٧٠ - هرم.
٧١ - زهرة	- ٧٢ - يضرب	- ٧٣ - علبة	- ٧٤ - متوحش	- ٧٥ - عائلة.
٧٦ - يغسل	- ٧٧ - بقرة	- ٧٨ - غريب	- ٧٩ - سعادة	- ٨٠ - يكذب.
٨١ - أمانة	- ٨٢ - ضيق	- ٨٣ - أخ	- ٨٤ - يؤذي	- ٨٥ - القلق.
٨٦ - خطأ	- ٨٧ - قلق	- ٨٨ - قبلة	- ٨٩ - ناد	- ٩٠ - قذر.
٩١ - باب	- ٩٢ - يختار	- ٩٣ - قش	- ٩٤ - هادىء	- ٩٥ - يتهكم.
٩٦ - ينام	- ٩٧ - شهد	- ٩٨ - يلوّن	- ٩٩ - طلب	- ١٠٠ - سلة[1].

هذه قائمة يونغ للكلمات (المثير) - تتألف من ١٠٠ كلمة - يقاس زمن

ANZIEU- Test d'associations de Mots- Liste de Iung I. in «des Méthodes Projec- (1) tives- OP. cit. P. 32-

الرجع (بين الكلمة والاستجابة)، وهي تقرأ كلمة، كلمة، ويستجيب الشخص بأول كلمة ترد إلى ذهنه ـ وأفضل طريقة لتصنيف الاجابات هي تبيان «مثيرات العقد».

٣ ـ تحديد مجالات الإضطراب النفسي ـ

يقوم الاختبار على بعض الأسس والمبادىء التي من شأنها أن تكشف عن الدلالات النفسية الهامة لدى المفحوص. فالمفترض أن الكلمة (المثير) قد تحدث إضطراباً انفعالياً عند الفرد، في حين سماعها، خاصة تلك الكلمات التي تتعلق بالأمور الجنسية والحب، أو الحياة العاطفية. . . فهذه الكلمات «الحرجة» تمسّ عادة نقطة حساسة في فكر الفرد، من الناحية الوجدانية أو الانفعالية، وخاصة الرغبات أو النزعات المكبوتة لديه، أو التي تشكل عنده نوع من الصراع. . ولذلك، فهي بالتالي من شأنها أن تثير فيه نوعاً من الارتباك أو الحرج أو الخوف، وهو يحاول تجنب الاستجابة بطرق مختلفة:

١ ـ طول زمن الرجع: أي التأخير الذي يستغرق زمناً أطول من المألوف (٢,٥ ث) في الاستجابة.

٢ ـ عجز المفحوص في استعادة نفس الاستجابات التي قالها في المرة الأولى من الاختبار. أو التوقف وعدم إعطاء استجابة لبعض الكلمات. . وهذه دلالة على وجود إعاقة أو مقاومة تمنعه من الاستجابة.

٣ ـ تكرار الكلمة التي يسمعها ـ أو إعطاء استجابة مكونة من عدة كلمات.

٤ ـ الخطأ في سماع الكلمة المثير، أو تجنب سماعها.

٥ ـ إعطاء استجابات بعيدة الارتباط بالمثير. أو إعطاء استجابات غريبة.

٦ ـ استجابات مبتذلة أو غير مقبولة.

٧ ـ الاستجابة لكلمة المثير بإعطاء صفة لها، أو استجابة على وزنها (سجع).

هذا بالإضافة إلى القيام بحركات انفعالية أو إشارات أو تعبيرات معينة: كالابتسامة، أو العبوس، أو احمرار الوجه، أو تحريك الأصابع. . .

وتكشف هذه النواحي عن انفعالات المفحوص، ومنطقة الصراع عنده، وطبيعة هذا الصراع ونوعه.

وتمد هذه الدلالات الهامة، أو التي تسمى «كاشفة العقد»، السيكولوجي بوسائل قيمة للوقف على حالة المفحوص الانفعالية ومعرفة ميوله واتجاهاته ورغباته الذاتية.

٤ ـ العملية النفسية في تحديد الاستجابة ـ

إن استجابة الشخص في تداعيه للمثير، الكلمات، باستجابات معينة ليس أمراً عفوياً عابراً، بل تدل أو تعبر عن حالة فكرية أو وجدانية ذاتية تتعلق بشخصية الفرد بكل مكوناته.

وتحدث تداعيات الشخص نتيجة عمليات سيكولوجية معقدة والتي على ضوئها يتم اختيار استجابة معينة دون غيرها.

في الفترة الزمنية التي تحدث بين إعطاء الكلمة (المثير) والاستجابة لها، تقوم عملية فكرية واعية أو لاواعية في تحديد وتشكيل هذه العملية.

فهناك المرحلة التحليلية، وهي تتضمن تحليل المعاني المرافقة لكلمة المثير: فالمعاني التي تستند إلى كلمة المثير تمثل لدى الفرد ذكريات معينة في صورة أفكار أو انفعالات كانت موجودة في مجال الوعي، وقد أعيد تنشيطها، في موقف الاختبار، بفعل المنبّه (كلمة المثير). وبالتالي، تكون استجابة الشخص عبارة عن ذكريات ماضية أو خبرات قد مرّ بها.

فكل هذه الأفكار والانفعالات هي مكونات ضرورية في تهيئة اختيار استجابة معينة ونهائية.

ويستجيب الشخص السوّي بتداعي مألوف، متأثراً بتعليمات الاختيار كما يقولها السيكولوجي. وتعكس استجابته حالته الفكرية والانفعالية.

وإلى جانب عملية التذكر هذه لا بد من عامل دينامي يحرك هذه العملية ويخرج الاستجابة إلى حيّز الفعل. هذا العامل الدينامي يتمثل في اتجاهات

الفرد. ولذلك كلما ابتعدت هذه العوامل الديناميـة عن قوى الفـرد الغريـزية، كانت أقرب إلى معقولية الأنا الواعية، وبالتالي تكون تكـون الاستجابـة مألـوفة وسوية. أما إذا اقتربت هذه العوامل من القوى العريزية، فإن تصوراتها تعبر عن حاجاتها ورغباتها، وبالتـالي تحدث الاستجـابات الشـاذة والتي تعبر عن سوء التوافق.

أما المرحلة الثانية في عملية تحديد الاستجابـة فهي مرحلة الإستبـاق أو التوقـع: تتمثل الفكـرة الواضحـة عادة في الـوعي، في كلمة المنبـه، وعندمـا تدخل الكلمة إلى مجال الوعي، فالفكرة اللاحقـة التي تدخـل بعدهـا، والتي يستجيب بها الشخص يجب أن تحقق التوقع المصاحب للفكرة الأولى. وهكذا تستدعي في البحث عن الاستجابة معاني معينة للموضوعات أو للأحداث التي خبرها الفرد في حياته؛ أي يبدو أن هناك استباقاً ناشئاً من خلفية الذكريـات أو الرغبات، يبحث عن استجابة معبرة عن هذه الخلفيـة. وتتحدد بـذلك المـادة المتـاحة لعمليـة التداخلي عن طـريق تحـديـد الـوجهـة التي يبحث فيهـا عن الاستجابة. ويمكن القول، أنه كلما كانت الأنا قوية، متماسكة كلما كان الفرد أقدر على الاستجابة العادية؛ بينما يؤدي ضعف الأنا إلى الاستجابات معينة قد تكون شاذة، أو قد تؤدي إلى التوقف عن الاستجابة أو التأخير في زمن الرجع.

ويـرى يونـغ أن اضـطرابـات التـداعي تحـدث حين تمس كلمـة التنبيه مجموعة من الأفكار المشحونة انفعالياً بدرجة كبيرة. فكـل الكلمات، وخـاصة الصارمة منها تستثير وجدانات وأفكار عميقة تسعى إلى التعبير عنها في الوعي، وتكون النتيجة عادة استجابة ذات دلالة فريدة، وبالتالي تكون بعيدة عن كلمـة المنبّـه على المستوى الـوصفي. وقد يؤدي الكبت إلى تـأخر في الاستجـابة أو تعطيل، أو أي شكل آخر من أشكال الاستجابة القريبة. ولا تعكس الاستجابات «البعيدة» أو «القريبة» بالضرورة اضطراباً في التفكير، ولكنها حين تحدث تكون إشارة إلى أن كلمة (المنبّه) قد قسّت نقطة «أليمة».

فقـد نجد بين الهستيـرين وبين من يعانـون من كبت قـوي، نـزعـة إلى

التعطيل بدرجة أكثر مما تكون عند العصابين أو الأسوياء، ويستثار الاضطراب في تفكيرهم عن طريق أي كلمة لها محتويات انفعالية قوية، وخاصة الكلمات ذات المحتويات الجنسية.

والتداعيات القريبة هي تلك الاستجابة الت تكون قريبة من (المنبّه)، نتيجة الصعوبة التي تعبأ بها أو تدفع مادة التداعي إلى الوعي، مثل: أم: أمي - أما بالنسبة للتداعيات البعيدة، فإن ضعف الدفاعات ضد الهجوم على المواد اللاواعية، تظهر في استجابات فريدة أو مفككة، مثل مصباح: قلم[1].

٢ - اختبار تداعي الكلمات عند رابابورت

١ - التعريف بالاختبار[2] -

وضع «ربابورت» Rapaport قائمة من الكلمات «المثير» تتكون من ٦٠ كلمة، تتصل بمجالات متعددة: كالأسرة والعدوان والدلالات الجنسية المتنوعة، كما تمسّ مجالات فكرية وألواناً من الصراع التي تظهر في أنماط مختلفة من سوء التوافق.

وتقدم القائمة في العادة شفوياً، وتتطلب قياس زمن الرجع لكل كلمة، وملاحظة حركات المفحوص وإشاراته وانفعالاته وما قد يحدث من توقف أثناء إجراء الاختبار.

* قائمة ربابورت -

عالم - حب - أب - قبعة - صدر - ستائر - جذع - شرب - جماعة - حركة الإمعاء - كتاب - مصباح - سجادة - كرسي - صديق - قضيب - مظلم - مكتئب - ربيع - كأس - جريمة - جبل - منزل - ورقة - مثلي الجنسية - شماع - صديقة - حاجز - بستمني - إطار - رجل - إنتصاب - خيالة - يقطع - يضحك - يعض - إمرأة - رقص - طلب - إطار - تاكسي - أم - منضدة - لحم

---

(1) مليكه - علم النفس الاكلينكي - الجزء الأول - التشخيص والتنبؤ في الطريق الإكلينيكية - الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧- ص ٣٦٦.

(2) المليجي عبد المنعم - اختبار تداعي الأفكار للتشخيص - المعارف، القاهرة - ١٩٦١.

بقر ـ حلمة ـ جنس ـ ماء ـ يرضع ـ حصان ـ نار ـ مهبل ـ مزرعة ـ اجتماعي ـ ابن ـ ضرائب ـ طباق ـ مدينة ـ معاشرة ـ مستشفى ـ دكتور.

٢ ـ طريقة إجراء الاختبار ـ

يمر إجراء الاختبار بمرحلتين: الأولى خاصة باختبار التداعي الذي يستجيب فيه المفحوص للكلمات «المثير»، والثانية خاصة بإعادة انتاج نفس الاستجابات التي أعطاها في التداعي.

أما المرحلة الأولى الخاصة بالاختبار فتبدأ بالتعليمات الآتية:
«سأقرأ عليك قائمة من الكلمات، كلمة كلمة، والمطلوب هو أن تستجيب لكل منها بكلمة أخرى واحدة، ترد إللى ذهنك فوراً بعد سماع الكلمة التي أقولها. أجب بأسر ما يمكنك، لأنني ساحسب الزمن الذي تستغرقه في الاستجابة. وسوف أقول الكلمة مرة واحدة».

وبعد أن ينتهي الفاحص (السيكولوجي) من إلقاء التعليمات يبدأ في ذكر الكلمة الأولى ويسجل الكلمة التي استجاب بها المفحوص، وكذلك زمن الرجع ـ وهو الزمن المنقضي بين سماع المثير وإعطاء الاستجابة ـ وقد يحدث أحياناً أن يخطيء المفحوص في فهم كلمة المثير، فنفسر له ثم يعاد تقديمها بعد خمس كلمات أخرى. وقد يضطر الفاحص إلى الضغط على المفحوص لاتباع التعليمات، وذلك:

- عندما يستجيب المفحوص بعدة كلمات أو بتعريف بدلاً من كلمة واحدة فقط.
- عندما يستجيب المفحوص على مهل وبصورة مستمرة. وفي هذه الحالة يطلب منه الاسراع في الاستجابة. أو عندما يستجيب المفحوص بأسماء أشياء في غرفة الاختبار.

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى، تبدأ المرحلة الثانية الخاصة بإعادة الانتاج:

«الآن سأعيد عليك نفس الكلمات والمطلوب أن تستجيب بنفس

الكلمات التي استجبت بها أول مرة. حاول أن تستجيب بنفس الكلمات التي استجبت بها أول مرة. حاول أن تستجيب بسرعة، وسوف أحسب الزمن الذي تستغرقه أيضاً».

ثم يبدأ الفاحص في إعطاء الكلمة الأولى ويسجل الاستجابة الجديدة إذا كان ثمة اختلاف بينها وبين الاستجابة الأولى، وكذلك زمن الرجع، إذا زاد عن ثانيتين لمن يستجيب بسرعة، وعن ٣ ـ ٤ ثوان في حالة البطء.

٣ ـ عمليـة التحقيـق ـ

الهدف من التحقيق هو توضيح ما إذا كان المفحوص قد أخطأ في فهم الكلمة «المثير» وهذا يمكن أن يتم مباشرة بعد استجابة المفحوص للكلمة، تلك الاستجابة التي لا تربطها بالمثير أية رابطة.

توضح العلاقة بين الكلمة المثير والكلمة الاستجابة، وذلك في الحالات التي لا تتضح فيها هذه العلاقة، أو تنحرف فيها الاستجابة عن الاستجابات المألوفة ـ أي الكشف عن الاستجابات الوثيقة الارتباط بالمثير والاستجابات البعيدة عنها.

توضيح أسباب طول زمن الرجع، أو الفشل في إعطاء استجابة لكلمة معينة؛ هل هناك فكرة لا يرغب المفحوص في التعبير عنها، بحيث يؤدي ذلك إلى إعاقة الاستجابة.

٤ ـ التقديـر ـ أنـواع الإضطـراب ـ

يقدم «ربا بـورت» أنواع الإضطرابات التي تحدث في عملية التداعي:

- التوقف، وعدم القدرة على إعطاء أية استجابة.
- التسمية: تسمية الأشياء الموجودة في غرفة الاختبار، وقد يشير ذلك إلى وجود إعاقة أو رغبة في التخلص من الوقف.
- إعطاء تعريف متعدد الكلمات.
- تكرار نفس الكلمة المثير.

- إعطاء الصفات: أي تكون الاستجابة صفة للكمة المثير، مثل: «طاولة - خشب» - «إمرأة - جميلة».
- الإشارة إلى الذات: «ابنة - ابنتي»، «صديقة - ليس لي صديقة».
- إعطاء نفس الاستجابة بالنسبة لمعظم المثيرات التي بينها علاقة مثل: «أب - شخص»، «طفل - شخص»، «أم - شخص».
- إعطاء استجابة من عدة كلمات: «اجتماعي - له عدة أصدقاء».
- استجابات لا ترتبط بالمثير: «كتاب - المانيا».
- استجابات بعيدة: «ظلام - ساعة»، «جماعة - جنازة».
- استجابات انفعالية: «أم - حلوة».
- أسماء الأعلام: «مدينة - بيروت».
- الاستجابات المبتذلة، أو الشتائم.
- سوء سماع الكلمة المثير.
- عدم معرفة الكلمة المثير.
- الاستدعاء الخاطيء غير المرتبط، أي تباعد كبير بين الكلمة المثير، والاستجابة، أو إعطاء استجابة عكس جنس الكلمة المثير: «رجل - بنت»، «ولد - بنت». «ضحك - صراخ».
- الاستدعء الخاطيء المرتبط بالمثير: «مكتئب - حزين»، «كرسي - يجلس».
- التأخر في الاستدعاء - لا استجابة.

إن الاستجابة، الخاصة جداً أو البعيدة عن المألوف، قد تصبح دليلاً على أن الكلمة المثير قد مسّت نقطة حساسة في فكر المفحوص، مثل: «أب - طاغية». وقد يحدث المثير إضطراباً في التداعي يكشف عن أن الكلمة قد مسّت منظقة صراع عند الفرد، كما تكشف في الوقت نفسه عن طبيعة هذا الصراع القائم داخل الفرد: «زوجة - شك».

٤ - طبيعة العملية النفسية في اختبار التداعي -

- ماهي العملية النفسية التي تحدث استجابة معينة لمثير معين، والتي تأخذ صورة الكلمة الواحدة، وبسرعة؟.

ـ ما هي العملية النفسية التي تحدد اختيار الاستجابة؟.
ـ ما هي الأسباب المؤدية إلى الخروج على هذه العملية والتي يترتب عليها إضطراب التداعي؟.

يعالج رابابورت هذه الإشكالات والتي يعتمد عليها تكوين الاستجابات وظهورها وهي: الذاكرة ـ تكوين المفهوم ـ التوقع[1].

١ ـ دور الذاكرة في حدوث استجابة التداعي ـ

النظرة الترابطية ترى أنه إذا ارتبطت فكرتان إحداهما بالأخرى فإن ظهور إحداهما يستدعي ظهور الأخرى. وعمل الذاكرة يتحدد بقوة الارتباط وظهور العناصر العقلية معاً في الشعور؛ وعملية التداعي تقوم على مثل هذه النظرية.

أما مدرسة التحليل النفسي فترى أن الأفكار التي نتذكرها ونستجيب بها إنما تفهم على ضوء انفعالات الفرد وعواطفه ووجداناته ورغباته واتجاهاته.

فعملية التداعي أو التذكر تحددها وجدانات الفرد واتجاهاته وحالته النفسية. أي إن هذه الحالات النفسية الداخلية وهذه الاتجاهات هي التي تحدد استجابات الفرد. وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الاستجابة بأنها، انعكاس لحالة الفرد النفسية واتجاهاته ورغباته.

كما تفسر مدرسة التحليل النفسي، الاختلافات البسيطة في عملية التذكر وتحريف الاستجابات عن طريق الكبت التي تبعد عن مجال الوعي كل الأفكار التي تتصل بالدوافع والرغبات اللاواعية غير المقبولة، والتي إن تمكنت من الدخول إلى مسرح الوعي تسبب الألم للأنا.

على هذا الأساس تعتبر استجابة التداعي لها جانبها التذكري، طالما أن الكلمة أي الاستجابة كانت في الوعي قبل ظهورها عند الاستماع إلى المثير.

---

(1) غنيم سيد محمد وبراده هدى عبد الحميد ـ الاختبارات الإسقاطية ـ دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠ـ ص ٥٥ ـ ٥٩.

لكن لا بد من عامل دينامي يدفعها إلى مجال الوعي، وهو اتجاهات التطابق والتعليمات التي يوجهها الفاحص. وكلما ابتعدت هذه العوامل الدينامية عن قاعدة التنظيم الهرمي (الغرائز والدوافع) وأصبحت أكثر معقولية، فإنها تنسب إلى الأنا وتصبح أقرب إلى الوعي. ولذلك فإنه يحدث ثبات داخلي في استجابات العاديين من الناس بالنسبة للمثير.

أما الاستجابات الشاذة وغير العادية فإنها أكثر حدوثاً مع حالات سوء التكيف. ومن هنا يمكن القول بأنه كلما كانت الأنا أكثر تماسكاً كان الفرد أقدر على الاستجابة العادية، على حين يؤدي ضعف الأنا إلى فساد الاتجاه. إن صورة التداخل مع الاستجابة يكون من خلال الكبت والكف والإعاقة، والتي تؤدي إلى تأخير زمن الرجع، وعدم الاستجابة والتوقف عن الإنتاج، خاصة في الحالات الشديدة.

إن شدة الصراع الذي تلمسه الكلمة «المثير»، ودرجة ضعف تنظيم الأنا، هما المسؤولان عن مثل هذه الإضطرابات في التداعي.

٢ ـ تكوين المدرك أو المفهوم في الاستجابة ـ

إن عملية التفكير تمر بطور إعدادي يستعرض فيه الفرد شتى الاحتمالات التي يمكن أن تدخل مجال الوعي. كيف حدثت الصور الذهنية، وكيف ظهرت كلمات أخرى غير التي استجاب بها، فكيف استبعدت إلى أن وصل المفحوص إلى الاستجابة السريعة المألوفة. ولذلك يبدو أن الأنا الجيدة التوافق تساعد على ظهور اتجاهات التعليمات، وتشجع على دخول الأفكار المألوفة والمتصلة بالمثير إلى نطاق الوعي.

٣ ـ التوقع في عملية التداعي ـ

متى تبدأ عملية التفكير فإنها تتمثل في فكرة أو أكثر من الأفكار الواضحة في الوعي، كما تتمثل في اتجاه أكثر أو أقل غموضاً، وهذا ما يعرف بالتوقع.

والتوقع يثيره السياق الذي تظهر فيه الفكرة في الوعي. وهذا السياق يتحدد بتعليمات الاختبار. وعندما تدخل الفكرة الواضحة (المثير) إلى مجال

الوعي، فإن الفكرة اللاحقة التي تدخل بعدها إلى الوعي والتي يستجيب بها الفرد (الاستجابة) يجب أن تحقق بدرجة ما التوقع المصاحب للفكرة الأولى.

٦ - خصائص الشكل والمحتوى في الاستجابات -

يميز «ربابورت» بين نواحي الشكل والمحتوى في استجابات التداعي.

١ - خصائص الشكل -

١ - قرب الاستجابة بالكلمة المثير، ويأخذ هذا الالتصاق:

الاستجابة بنفس الكلمة المثير - إعطاء تعريف من عدة كلمات «بيت - الذي أسكن فيه» - الاستجابة بنفس كلمة المثير ونسبتها إلى الذات «بيت - بيتي» - إعطاء استجابة مرتبطة بالمثير وبشكل مألوف «بيت - منزل».

٢ - بعد الاستجابات، وهي تتمثل في المراحل التالية:

- الأكثر بعداً وتطرفاً: وهي التي لا تشير إلى وجود أية علاقة ظاهرة بين المثير والاستجابة: «كتاب - المانيا».
- أقل تطرفاً مثل: «رقص - أكل»، على أساس أن الناس يأكلون أحياناً في حفلات الرقص.
- الاستجابات الغريبة: «بيت - قاضي».

٢ - خصائص المحتوى -

- من ناحية المثير: فقد ترجع إضطرابات المحتوى إلى عدم معرفة المفحوص بالكلمة، أو كوسيلة لتجنب الكلمات التي يحاول إخفاء دلالتها الحقيقية عن نفسه، مثل: «انتصاب... استمناء...» أما خطأ المفحوص في فهم الكلمة المثير فقد يحدث لأسباب انفعالية (إن الكلمة المثير تشير إلى مجموعة من الأفكار المتصارعة).
- من ناحية الاستجابة: إن الاستجابة لأسماء الأعلام، أو الاستجابات المبتذلة نادرة إلاّ عند الذهانيين.

عند تحليل المحتوى يجب أن نعرف هل تتجمع إضطرابات التداعي حول مجموعة خاصة من الكلمات «المثير». أم هل هناك استجابات فريدة «ذات

دلالة خاصة من حيث صلتها بالكلمة المثير.

أما بالنسبة لتراكم إضطراب التداعي حول مجموعة خاصة من الكلمات فقد يساعدنا على الكشف عن: المدمنين. . وبعض الحالات السلبية، وحالات الإكتئاب، وبعض حالات العدوانية المكبوتة.

أما الاستجابات الفريدة فقد تفيد في تكوين صورة عن الفرد ومشكلاته على نحو ما تكشف عن الاستجابات مثل:

«اتصال جنسي - خوف» - «رجل - وحش».

«زوج - قاس» - «اكتئاب - مجنون».

وبصورة عامة يجب أن ننظر إلى الصورة العامة التي نكوّنها من الاختبار ككل ومن الخصائص الشكلية التي تساعدنا في الكشف عن إضطرابات المفحوص.

الفصل الثالث

اختبار تكملة الجمل الناقصة

Test complétement de phrases

---

* التعريـف بالاختبـار

استخدم «باين» Payne عام ١٩٢٨، «اختبار تكملة الجمل الناقصة» Test complétement de phrases بصورة مباشرة في دراسة خصائص الشخصية. كما يعتبر «تندلر» Tendler أحد الرواد الأوائل الذين استخدموا هذه الطريقة في دراسة الشخصية. وكان هدفه هو وضع اختبار يحدد الميول والاتجاهات والرغبات المتصارعة وعمليات الاشباع... وقد دلت نتائجه على أن المثير الواحد يمكن أن يعطي استجابات متعددة ومختلفة لدى الأشخاص المختلفين، وأن الأفراد يختلفون في طريقة تداعي الاستجابات.

وقد ذهب «روهدا» Rohda إلى أن هذا الاختبار يعتبر أداة جيدة في يد السيكولوجي للوقوف على حاجات الفرد ومشاعره واتجاهاته ومستويات طموحه، وما يدور بداخله من صراع. وقد وضع «روهدا» ١٩٤٨، اختباراً في تكملة الجمل يتكون من ٦٤ جملة ناقصة، بحيث تكون العبارة المستخدمة «كمثير» من النوع الذي يسمح للفرد أن يعبر عن نفسه بحرية تامة.

وقد انتشر استخدام اختبارات تكملة الجمل في العيادات النفسية لتكوين فكرة عن شخصية الفرد. وبشكل عام، يعتبر اختبار تكملة الجمل من الاختبارات الإسقاطية، التي يمكن أن تستخدم في الكشف عن شخصية الفرد وجوانبها المختلفة، من اتجاهات وحاجات وسمات انفعالية...

* ـ خصائص الاختبار ـ

هناك تشابه ظاهر بين هذا الاختبار واختبار التداعي، ومع ذلك فثمة فروق بينهما:

من ناحية المثير ـ المثير في اختبار تداعي الكلمات هو كلمة واحدة فقط، بينما في اختبار تكملة الجمل، جملة ناقصة عادة...

من ناحية الاستجابة ـ يتطلب من المفحوص أن يستجيب بفكرة التي تعبّر عن مشاعره، دون الإصرار على أن تكون كلمة واحدة.

من ناحية الإجراء ـ في اختبار التداعي يقاس زمن الرجع لكل كلمة استجابة؛ بينما في اختبار تكملة الجمل لا نلجأ إلى قياس زمن الرجع للاستجابة.

ومن أهم معايير اختبار تكملة الجمل هي:

- اتساع نطاق المثيرات المختلفة من أجل الحصول على معلومات تتصل بجوانب الشخصية المتعددة.
- أن تكون العبارة المستخدمة كمثير تسمح للفرد أن يعبر عن نفسه بحرية.
- ألّا يتجاوز الزمن المستغرق للإجراء ساعة واحدة ـ من ٥٠ـ ٦٠ دقيقة.
- ويكشف الاختبار عن: مجالات النبذ التي يكشف عنها رفض المفحوص الاستجابة، أو ترك الجملة دون تكملة. وكذلك مجالات المقاومة حيث التوقف والهرب عن طريق الاستجابة ببعض التداعيات المعروفة...

١ ـ اختبار ساكس لتكملة الجمل ـ

يتألف الاختبار من ٦٠ جملة ناقصة، تغطي (١٥) اتجاهاً والتي تنحصر في أربعة مجالات من التوافق.

أما تعليمات الاختبار فهي على الشكل الآتي:

«أمامك قائمة من ستين جملة ناقصة، إقرأ كل عبارة منها، وأكملها بكتابة أول شيء يرد إلى ذهنك. إذا لم تتمكن من تكملة جملة ما فضع دائرة

حول الرقم المقابل لها، وانتقل إلى الجملة التي تليها، ثم عد إليها لإكمالها فيما بعد»[1].

١ ـ قائمة اختبار ساكس لتكملة الجمل ـ

١ ـ أشعر أن والدي قليلاً ما . . .
٢ ـ عندما لا تكون الظروف في جانبي . . .
٣ ـ كنت أود دائماً أن . . .
٤ ـ لو أنني كنت مسؤولاً عن . . .
٥ ـ المستقبل يبدو لي . . .
٦ ـ الناس الذين هم أعلى مني . . .
٧ ـ أنا أعلم أنه من الحماقة ولكنني أخاف منه . . .
٨ ـ أشعر أن الصديق الحق . . .
٩ ـ عندما كنت طفلاً . . .
١٠ ـ فكرتي عن المرأة الكاملة . . .
١١ ـ عندما أشاهد رجلاً وامرأة معاً . . .
١٢ ـ أسرتي إذا قورنت بمعظم الأسر الأخرى . . .
١٣ ـ في عملي أكون أكثر انسجاماً مع . . .
١٤ ـ أمي . . .
١٥ ـ أنا على استعداد للقيام بأي شيء ينسيني . . .
١٦ ـ بودي لو أن أبي قام بمجرد . . .
١٧ ـ أعتقد أن عندي القدرة على . . .
١٨ ـ سأكون في غاية السعادة إذا . . .
١٩ ـ لو أن الناس عملوا من أجلي . . .
٢٠ ـ أنني اتطلع إلى . . .
٢١ ـ في المدرسة المدرسون الذين يدرسون لي . . .
٢٢ ـ معظم أصدقائي لا يعرفون أني أخاف من . . .
٢٣ ـ أنا لا أحب الناس الذين . . .
٢٤ ـ قبل الحرب كنت . . .
٢٥ ـ أظن أن معظم الفتيات . . .
٢٦ ـ شعوري نحو الحياة الزوجية أنها . . .
٢٧ ـ أسرتي تعاملني كما لو . . .
٢٨ ـ هؤلاء الذين أعمل معهم . . .
٢٩ ـ أنا وأمي . . .
٣٠ ـ أكبر غلطة ارتكبتها كانت . . .
٣١ ـ أود لو أن والدي . . .
٣٢ ـ أكبر نقطة ضعف عندي . . .
٣٣ ـ الشيء الذي أطمح إليه سراً . . .
٣٤ ـ الناس الذين يعملون من أجلي . . .
٣٥ ـ في يوم ما أنا . . .
٣٦ ـ عندما أجد رئيسي قادماً . . .
٣٧ ـ أود لو تخلصت من الخوف من . . .
٣٨ ـ الناس الذين أحبهم أكثر من غيرهم . . .
٣٩ ـ لو أنني عدت صغيراً كما كنت . . .
٤٠ ـ أعتقد أن معظم النساء . . .
٤١ ـ لو كانت لي علاقات جنسية . . .
٤٢ ـ معظم الأسر التي أعرفها . . .
٤٣ ـ أحب أن أعمل مع الناس الذين . . .
٤٤ ـ اعتقد أن معظم الأمهات . . .
٤٥ ـ عندما كنت صغيراً كنت أشعر بالذنب . . .
٤٦ ـ أشعر أن والدي . . .
٤٧ ـ عندما لا يكون الحظ حليفي . . .
٤٨ ـ عندما أصدر الأوامر للآخرين فإنني . . .
٤٩ ـ إن أكثر ما أتمناه في الحياة . . .
٥٠ ـ عندما تتقدم بي السن . . .
٥١ ـ الناس الذين اعتبرهم رؤوسائي . . .
٥٢ ـ تضطرني مخاوفي أحياناً إلى أن . . .

---

(1) سلامة أحمد عبد العزيز ـ ترجمة اختبار ساكس لتكملة الجمل ـ دار الثقافة، القاهرة ـ ١٩٦٥ .

٥٣ ـ عندما لا أكون موجوداً بين أصدقائي. . .
٥٤ ـ أوضح ذكريات طفولتي. . .
٥٥ ـ آخر ما أحبه في النساء. . .
٥٦ ـ حياتي الجنسية. . .
٥٧ ـ عندما كنت طفلاً كانت أسرتي. . .
٥٨ ـ الناس الذين يعملون معي عادة. . .
٥٩ ـ أنا أحب أمي لكن. . .
٦٠ ـ كان أسوأ ما فعلت في حياتي. . .

عندما يبدأ الشخص (المفحوص) الإجابة، يسجل السيكولوجي زمن الابتداء وكذلك زمن الانتهاء. والوقت المخصص لإجراء الاختبار حوالي ٦٠ دقيقة.

وفي هذا الاختبار قد يجد الشخص فرصة للتعبير عن أفكاره ومشاعره واتجاهاته في تكملة العبارات، أي إنه يقوم بعملية «تفريغ» لانفعالاته ورغباته وطموحاته، بطريقة واعية أو لاواعية. كما يتيح الاختبار للسيكولوجي أن يقف على الدلالات الخاصة، في المجالات المختلفة من الاختبار، والتي تثير إضطراب المفحوص.

يهدف الاختبار إلى دراسة أربعة مجالات من التوافق هي:
- الأسـرة
- الجنس
- العلاقات الاجتماعية
- فكرة الفرد عن ذاته.

وتتيح عبارات الاختبار للفرد أن يعبّر عن اتجاهاته، وبشكل يتيح للسيكولوجي أن يستدل منها على اتجاهات الشخصية، والكشف عن حالات سوء التوافق، بالإضافة إلى كشف محتوى اتجاهات الفرد ومشاعره.

٢ ـ مجالات الدراسة ـ

١ ـ المجال الأول هو مجال الأسرة ـ ويتضمن مجموعات ثلاثة من الاتجاهات: نحو الأم، نحو الأب، ونحو وحدة الأسرة. وكل اتجاه من هذه

الاتجاهات يعبر عنه بأربع عبارات، تتيح للفرد أن يكشف عن اتجاهاته نحو والديه ولذلك نحو الأسرة. ومجموع عبارات هذا المجال هو ١٢ عبارة. مثال: «أنا وأمي . . .»، «أود لو أن أبي . . .»، «معظم الأسر . . .».

٢ ـ مجال الجنس ـ ويبحث الاتجاهات نحو المرأة والعلاقات الجنسية الغيرية، والعبارات التي تتصل بهذا المجال ثمانية عبارات تتيح للفرد أن يعبر عن اتجاهاته نحو النساء، ونحو الزواج، ونحو العلاقات الجنسية. مثال: «حياتي الجنسية . . .»، «عندما أشاهد رجلاً وامرأة معاً . . .».

٣ ـ العلاقات الاجتماعية ـ وهذا المجال يتضمن الاتجاهات نحو الأصدقاء والمعارف، زملاء العمل أو المدرسة، رؤساء العمل أو المدرسة، المرؤسين. ويكشف عمل اتجاه من هذه الاتجاهات أربع عبارات، تتيح للفرد أن يعبر عن مشاعره نحو الآخرين. مثال ذلك: «هؤلاء الذين أعمل معهم . . .».

٤ ـ فكرة الفرد عن ذاته ـ ويتضمن هذا المجال النواحي التالية:
المخاوف ـ الشعور بالذنب ـ الأهداف ـ فكرة الفرد عن قدراته ـ فكرة الفرد عن الماضي ـ فكرة الفرد عن المستقبل.

والاتجاهات التي يعبر عنها هذا المجال هي فكرة الفرد عن نفسه في الحاضر، والماضي والمستقبل. ومجموع عبارات هذا المجال ٢٤ عبارة، مثال ذلك: «معظم أصدقائي لا يعرفون أني أخاف من . . .»، «أكبر غلطة ارتكبتها كانت . . .».

٣ ـ تقدير الاستجابة ـ

١ ـ تصنيف العبارات التي تتصل بكل اتجاه على حده. فمثلاً العبارات التي تعبر عن اتجاها الأم، تجمع معاً؛ وهكذا بالنسبة لكل اتجاه في المجالات المختلفة.

٢ ـ وضع الدرجات المقابلة لدرجة الإضطراب في كل مجال:

ـ درجتان (٢) لحالة الإضطراب الشديد (أي للصراعات الانفعالية) المتصلة بالمجال.

ـ درجة واحدة (١) للإضطراب المعتدل، أي للصراع الانفعالي المتصل بمجال ما، ولكن يبدو أن الفرد يستطيع مواجهته بنفسه.
ـ درجة صفر، حيث لا يوجد أي إضطراب انفعالي له دلالته في مجال ما.
ـ وضع علامة (×)، لأن العبارة غير معروفة.

من خلال هذه التقديرات، يستطيع السيكولوجي أن يحدد المجالات الرئيسية الصراع، وطبيعة ومدة هذا الصراع لدى الفرد. كذلك يتم الكشف عن تكوين الشخصية، ومدى استجابة الفرد لدوافعه الداخلية، والمثيرات الخارجية، والأسلوب الذي يعبّر به عن صراعاته.

ومن المؤشرات الهامة ذات الدلالة البالغة في تحليل الاستجابات هي:

طول الجملة التي تكشف عن محاولة الشخص لتغطية مشاعره وانفعالاته الحقيقية: ولذلك تأخذ العبارة أفكاراً عديدة وتعبيرات كثيرة ـ العبارات الانفعالية وهي تكشف عن شدة المشاعر تجاه مثير معين في مجال ما ـ كذلك المحو أو ترك الجملة دون تكملة، وهي تكشف عن عوائق داخلية أو مقاومة تجاه الموقف.

٤ ـ تصنيف الاتجاهات ـ

الاتجاهات	العبادات
١ ـ الاتجاه نحو الأم	١٤ ـ ٢٩ ـ ٤٤ ـ ٥٩
٢ ـ الاتجاه نحو الأب	١ ـ ١٦ ـ ٣١ ـ ٤٦
٣ ـ الاتجاه نحو وحدة الأسرة	١٢ ـ ٢٧ ـ ٤٢ ـ ٥٧
٤ ـ الاتجاه نحو المرأة	١٠ ـ ٢٥ ـ ٤٠ ـ ٥٥
٥ ـ الاتجاه نحو العلاقات الجنسية	١١ ـ ٢٦ ـ ٤١ ـ ٥٦
٦ ـ الاتجاه نحو الأصدقاء والمعارف	٨ ـ ٢٣ ـ ٣٨ ـ ٥٣
٧ ـ الاتجاه نحو رؤوساء العمل أو المدرسة	٦ ـ ٢١ ـ ٣٦ ـ ٥١

الاتجاهات	العبادات
٨ - الاتجاه نحو المرؤوسين	٤ - ١٩ - ٣٤ - ٤٨
٩ - الاتجاه نحو زملاء العمل أو المدرسة	١٣ - ٢٨ - ٤٣ - ٥٨
١٠ - الاتجاه نحو الخوف	٧ - ٢٢ - ٣٧ - ٥٢
١١ - الاتجاه نحو الشعور بالذنب	١٥ - ٣٠ - ٤٥ - ٦٠
١٢ - الاتجاه نحو القدرات الذاتية	٢ - ١٧ - ٣٢ - ٤٧
١٣ - الاتجاه نحو الماضي	٩ - ٢٤ - ٣٩ - ٥٤
١٤ - الاتجاه نحو المستقبل	٥ - ٢٠ - ٣٥ - ٥٠
١٥ - الاتجاه نحو الأهداف	٣ - ١٨ - ٣٣ - ٤٩

* **الملخص العام -**

يتضمن هذا الملخص الكشف عن النقاط التالية :

١ - المجالات الرئيسية للصراع أو الإضطراب النفسي .

٢ - تكوين الشخصية ، ويشمل :

أ - مدى استجابة الفرد للدوافع الداخلية والمثيرات الخارجية .

ب - التوافق الانفعالات .

جـ - مستوى النضج .

د - مستوى الواقع .

هـ - الأسلوب الذي يعبر به عن الصراعات .

٢ - اختبار روتر Rotter[1] .
تكملة الجمل الناقصة -

١ - تعريف الاختبار -

يتألف اختبار «روتر» لتكملة الجمل الناقصة من ٤٠ جملة ناقصة ، ويقوم المفحوص بتكملة هذه الجمل .

(1) روتر - اختبار تكملة الجمل - ترجمة صفاء يوسف الأعسر - دار النهضة العربية ، القاهرة -

ويُعطى لكل إجابة درجة أو قيمة تتدرج من صفر ـ ٦، ويعتبر المجموع الكلي للدرجات دليلاً على التوافق أو سوء التوافق.

والعبارات التي يتألف منها الاختبار هي:

١ ـ أنا أحب... ٢ ـ أسعد الأوقات... ٣ ـ أود أن أعرف... ٤ ـ في بيتي... ٥ ـ أنا آسف... ٦ ـ وقت النوم... ٧ ـ الأولاد... ٨ ـ أفضل... ٩ ـ الشيء الذي يضايقني... ١٠ ـ الناس... ١١ ـ الأم... ١٢ ـ أنا أحسّ... ١٣ ـ أحد مخاوفي... ١٤ ـ في المدرسة الثانوية... ١٥ ـ أنا لا أستطيع... ١٦ ـ الألعاب الرياضية... ١٧ ـ عندما كنت طفلاً... ١٨ ـ أعصابي... ١٩ ـ غيري من الناس... ٢٠ ـ أنا أعاني... ٢١ ـ أنا فشلت... ٢٢ ـ القراءة... ٢٣ ـ عقلي... ٢٤ ـ المستقبل... ٢٥ ـ أنا في حاجة إلى... ٢٦ ـ الزواج... ٢٧ ـ أكون في أحسن حال عندما... ٢٨ ـ أحياناً... ٢٩ ـ الشيء الذي يؤلمني... ٣٠ ـ أنا أكره... ٣١ ـ هذه المدرسة... ٣٢ ـ أنا... جداً... ٣٣ ـ المشكلة الوحيدة... ٣٤ ـ أنا أتمنى... ٣٥ ـ والدي... ٣٦ ـ بيني وبين نفسي... ٣٧ ـ أنا... ٣٨ ـ الرقص... ٣٩ ـ أشد ما يقلقني... ٤٠ ـ معظم البنات...

يلاحظ في هذا الاختبار أنه يبدأ بضمير المتكلم، لأنه أكثر أهمية للأغراض الإكلينكية.

٢ ـ المبادىء العامة لتقدير الاختبار ـ

- لا تعطى درجة للعبارات التي لا يستجيب لها المفحوص. ومثل هذا النوع من عدم الاستجابة قد يوحي بوجود عوائق نفسية داخلية. وهي تشير إلى مجالات الصراع التي لا يدركها الفرد أو التي يعجز عن التعبير عنها.
- بالإضافة إلى ذلك، هناك استجابات لا تأخذ درجة أيضاً، وهي التي تحوي إجابات ناقصة لا معنى لها وينبغي عدم تصحيح الاختبار إذا بلغ عدد الاستجابات المحذوفة منه ٢٠ استجابة. أما إذا كان عددها أقل فيصحح الاختبار، وتعالج العبارات التي لم تقدر بالمعادلة الآتية:

$$\frac{٤٠}{٤٠ - \text{الاستجابات المحذوفة}} \times \text{الدرجة الكلية}$$

= ١٩٧٣ «كراسة التعليمات ونماذج التصحيح...».

١ ـ استجابات الصـــراع ـ C ـ

ـ وهذا النوع من الاستجابات يشير إلى إطار ذهني غير متوافق، ويتضمن ردود الأفعال العدوانية والتشاؤمية وحالات اليأس والرغبات الانتحارية والخبرات غير السارة، مثل:

«أنا أكره . . . كل الناس»، «الناس . . . يهدمون ما يبنون».

«أتمنى لو أنني . . . مت صغيراً»، «هذه المدرسة . . . أكرهها».

ولاستجابات الصراع درجات ثلاثة تبعاً لشدة الصراع أو سوء التوافق الذي تعبر عنه التكملة التي يعطيها المفحوص.

ـ فالاستجابات التي تشير إلى مشكلات بسيطة غير عميقة تأخذ ٤ درجات مثال: «المشكلة الوحيدة . . . بالنسبة لي مشكلة مالية».

ـ أما الاستجابات التي تشير إلى مشكلات عامة، مثل مشاعر النقص، والتفكير في الفشل المحتمل، والشعور بعدم الكفاية، والمشكلات الاجتماعية العامة . . فإنها تأخذ ٥ درجات، مثال: «أعاني . . . صداعاً»، «أنا آسف . . . لعدم تحقيق أهدافي».

ـ الاستجابات التي تشير إلى نواحي الصراع الشديدة، ذات الدلالة الواضحة على سوء التوافق، مثل الرغبات الانتحارية، والصراعات الجنسية الشديدة، والمشكلات العائلية، والانعزال عن الناس، فإنها تأخذ ٦ درجات، مثال: «أنا أتمنى . . . لو مت صغيراً»، «أحياناً . . . اعتقد أن الناس يراقبونني».

٢ ـ الاستجابـات الإيجابيـة ـ P ـ

تشير هذه الاستجابات إلى إطار ذهني متوافق، وإلى مزاجية متفائلة طليقة.

ـ الاستجابات التي تشير إلى اتجاهات إيجابية نحو المدرسة، أو العمل، أو الألعاب الرياضية، والاهتمام بالناس، فإنها تأخذ ٢ درجة مثال: «أنا أحب . . . الألعاب الرياضية».

ـ أما الاستجابات التي تشير إلى التوافق الاجتماعي الجيد، والحياة الأسرية الجيدة. فإنها تأخذ ١ درجة. مثال:

«أنا أكره. . . لا أحد».

- الاستجابات التي تشير إلى الحالة المزاجية الطيبة، وتقبل الناس، فإنها تأخذ درجة صفر. مثال ذلك:

«أنا أحب. . . أشياء كثيرة»، «عندما كنت طفلاً. . . أمضيت وقتاً سعيداً».

٣ - الاستجابـات المحايـدة - N -

وهي التي لا تندرج تحت أية قائمة من استجابات الصراع أو الإيجابية.

وهي تكون من النوع الوصفي، أو أسماء الأغاني، أو العبارات الشائعة. مثال ذلك: «أحياناً. . . أعجب لماذا قضيت الليل أحلم بأغنية بنادي عليك»، «وقت النوم. . . أحب الاستماع إلى الموسيقى الحالمة».

إن الاستجابات المحايدة تفتقر عادة إلى الصبغة الانفعالية.

* ويمكن أن نلخص الصورة الكمية التي يسير عليها تقدير الاستجابات بمثال واحد لجملة ناقصة: «أنا أحب. . .».

الدرجة	- التقدير		
٦ -	أن أعرف ما إذا كنت سأصبح مجنوناً.	C ٣	
٥ -	أن أكون وحيداً، أن ابتعد عن الناس.	C ٢	الصراع
٤ -	السيدات اللاتي لا يدخن أو يشربن.	C ١	
٣ -	الأكل والصيد.	N	محايدة
٢ -	الألعاب الرياضية والمدرسة.	P ١	
١ -	الناس وزوجتي.	P ٢	إيجابية
صفر -	أشياء كثيرة.	P ٣	

٤ - التفسير النفسي للاستجابات -

١ - دراسة الاتجاهات العائلية. ٢ - الاتجاهات الاجتماعية والجنسية. ٣ - الاتجاهات العامة. ٤ - سمات الشخصية. ٥ - الملخص.

٣ - الدلالــة النوعيــة للاختبــار -

يمكن للسيكـولوجي أيضـاً استخـراج عـدد من المؤشـرات مثـل: عـدم الاستجابة، استجابة الصراع C، والاستجابات الإيجابية P، والمحايدة N.

وقـرر «روتر و«رافـرتي»، أن البحوث تـوضح قيمـة الاختبـار في دراسـة الاتجاهات الاجتماعية وفي الاختيار للأعمال والمهن. وهما يقرران أن الاختبار يساعد السيكولوجي على الحصول على معلومات لها قيمة تشخيصية محددة؛ كما يساعده على تحديد بناء المقابلة الإكلينيكية التي يجريها مع الشخص.

غير أن الاختبار لم يعدّ لكي يكون مقياساً لوصف «الشخصية الكلية»، أو للكشف عن الطبقات العميقة للشخصية أو عن بنيانها الأساسي.

ومن المؤشرات النوعية ذات الدلالة في تحليل الاستجابات:

١ - طول الجملة: إذ تدل الاستجابات الطويلة على محاولة لتغطية المشاعـر الحقيقية من النوع الوجداني أو الدفاعي القوي.

٢ - المحو أو ترك الجملة دون تكملة، ويشير ذلك إلى ميادين الصراع، أو التي قد يرى الشخص أنها تكشف الكثير عنه.

٣ - اللهجة الشديدة في التعبير، وهي تكشف عن مشاعر قوية.

٤ - الاستجابات الفريدة أو الغريبة غير المألوفة.

٥ - التعليقات أثناء الاستجابة.

٦ - التناقض الظاهر بين الاستجابات لنفس العناصر أو الأشخاص.

٧ - تكرار نفس الفكرة.

* - نموذج لتحليل اختبار تكملة الجمل الناقصة

- رويتــر ورافرتــي -

الحـالـة: شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يعيش مع أسرته التي تتكون من أب، وأم، وأخت أصغـر منه بثـلاث سنوات. وهـذا الشاب من النوع الإتكالي الذي يعتمد على والديه. تعثر في دراسته الجامعية، وخـاصـة في السنـوات الأولى. وقـد ذهب يـطلب النصيحـة من

الإخصائي في إحدى مراكز التوجيه المهني والتربوي، لمعرفة ما إذا كان يمكنه مواصلة تعليمه الجامعي، وإذا كان هذا ممكناً، فأي نوع من الدراسة.

قدم للشاب الاختبار، وكانت استجاباته ما يلي :

١ - أنا أحب ... أن أخبر الناس بمتاعبي ومشكلاتي.
٢ - أسعد الأوقات ... تلك التي أنفضيها إلى جانب صديقة لي وأشعر أنني محبوب منها.
٣ - أودّ ... أن أعرف كيف أكيّف نفسي مع الآخرين بحيث يصبح لدي ثقة بنفسي وأن أتعلم كيف أذاكر.
٤ - في شيء ... فإن أسرتي لا تدخل السرور على النفس، كما لا أشعر أبداً أنني مرغوب فيه في هذه الأسرة.
٥ - أنا آسف ... على كثير من الأشياء التي قمت بها وأنا طفل صغير وأكره أن أتحدث عنها الآن.
٦ - وقت النوم ... وفي الليلة السابقة على الامتحان يظهر عليّ الإضطراب ولا أستطيع النوم لعدة ساعات.
٧ - الأولاد ...
٨ - أفضل ... شيء بالنسبة إليّ هو تكوين صداقات أكثر مع النساء فهذا يزيد من ثقتي بنفسي.
٩ - الشيء الذي يضايقني ... هم الناس الذين عندهم ثقة زائدة عن الحدّ بأنفسهم.
١٠- الناس ... جميعاً لهم مشكلاتهم.
١١- الأم ... السعيدة التي تحب أولادها يمكنها أن تجعلهم سعداء.
١٢- أنا أحسّ ... أحياناً أن في إمكاني تحسين درجاتي ومن ثم أزيد من ثقتي بنفسي.
٢٣- أشد مخاوفي ... هي أن أفكر أنني أدفع في هذا العالم دون عون من أحد.
١٤- في المدرسة الثانوية ... كان ترتيبي في الثلث الأخير من الفصل.
١٥- أنا لا أستطيع ... المذاكرة أو الحصول على درجات النجاح.
١٦- الألعاب الرياضية ... التي فيها منافسة شديدة استمتع بها فقط كمتفرج.

١٧- عندما كنت طفلاً ... كنت أعامل بقسوة شديدة لأقل خطأ أقوم به.

١٨- أعصابي ... متعبة جداً واعتقد أنها تجعلني حساس جداً بالنسبة لكثير من المواقف.

١٩- غيري من الناس ... إذا تحدثنا بوجه عام يشعرون بمثل ما أشعر به من تعب.

٢٠- أنا أعاني ... لأنني مركز حول ذاتي وليست لي أية اهتمامات أخرى خارجية.

٢١- أنا فشلت ... في دراساتي الجامعية لأنني لست ذكياً بدرجة كافية من ناحية، ولعدم وجود الحافز من ناحية أخرى.

٢٢- القراءة ... السريعة هي أسوأ مشكلاتي، لأنني أقع في المجموعة الأخيرة من الصف.

٢٣- عقلي ... ليس حسن التوافق مع هذا العالم كما ينبغي أن يكون.

٢٤- المستقبل ... يفزعني.

٢٥- أنا في حاجة ... إلى شخص يحبني ويشعرني بأنني شخص مرغوب فيه.

٢٦- الزواج ... لا أفكر فيه الآن إلى أن أكوّن نفسي.

٢٧- أكون في أحسن حال عندما ... يكون لدي ثقة بنفسي وبقدرتي على أداء ما يتطلب مني.

٢٨- أحياناً ... أتمنى أن تطول بي الحياة لأحل مشكلاتي.

٢٩- الشيء الذي يؤلمني ... هو أن يوجه إليّ النقد بكثرة.

٣٠- أنا أكره ... أن أعيش دون سند أعتمد عليه أو دون الشعور بالطمأنينة.

٣١- هذه المدرسة ... هي في كثير من الأحيان كبيرة جداً وعلاقاتها غير شخصية جداً.

٣٢- أنا ... متضايق جداً في المدرسة في الوقت الحاضر كما أنني مركز جداً حول نفسي.

٣٣- المشكلة الوحيدة ... بالنسبة إليّ - كما يقول البعض - هي أنني افتقر إلى الدافع.

٣٤- أنا أتمنى ... أن يكون هناك هدف أهدف إليه في عملي.

٣٥- والدي ... أناني ودكتاتور وقليل الصبر معي.
٣٦- بيني وبين نفسي ... أتمنى أن أكون في مركز يسمح لي أن أقول لبعض الناس «إذهب إلى الجحيم».
٣٧- أنا ... أفكر كثيراً جداً في نفسي.
٣٨- الرقص ... وسيلة مناسبة جداً لمقابلة الناس، وأود أن أقوم به أحسن من ذلك.
٣٩- أشد ما يقلقني ... هو ما الذي سأفعله في المستقبل.
٤٠- معظم البنات ... يجدنني غريباً، وأنني لست الشخص الذي يصادقنه.

(**) تحليل الاختبار - رويتر -

١ - الاتجاهات الأسرية -

يبدو أن الروابط الأسرية لا تلعب دوراً إيجابياً في حياة المفحوص، وهذا ما يتضح في استجابته لعبارة: ٤ - ١٧.

كما يتضح سوء العلاقات العائلية من نظرته إلى والده في العبارة ٣٥. ويبدو أن علاقة الوالدين أحدهما بالآخر ليست على ما يرام، وهذه العلاقة تنعكس على مشاعره بعدم الطمأنينة، والتي تتضح في حياته العامة، العبارة ١١.

وعلى العموم، فالعبارات التي تتصل بالأم والأب تكشف عن أن المفحوص يسقط اللوم على والديه بالنسبة لما يواجهه من مشكلات.

وقد خلا الاختبار من أية إشارة للأخت التي تصغره، وربما أعتبر ذلك دليلاً على ضعف الروابط التي تربطه بأخته.

٢ - الاتجاهات الاجتماعية والجنسية -

تظهر بعض العبارات التي تكشف عن مشاعر النقص وعدم الكفاية، والحاجة إلى إقامة علاقات على أساس أكبر من الثقة والطمأنينة. كما أنه يحتقر، في الوقت نفسه، كل من يشعره بالذل وعدم الثقة؛ وهذا ما يتضح في العبارة ٩ - ٢٩.

يفتقر المفحوص إلى تكوين علاقات مع الجنس الآخر، أو أنه يرغب في تكوين علاقات قوية مع النساء، كما يتضح ذلك في ٢ ـ ٨. ومع ذلك، فإن مثل هذه العلاقات مع الجنس الآخر تبدو ضعيفة حتى تصل إلى مستوى الرفض أو النبذ، كما يتضح في العبارة ٤٠.

أما العبارة ٥ فإنها توحي بمشاعر الذنب الذي تتصل بسلوك جنسي حدث في مرحلة الطفولة. وعلى ضوء تلك الاستجابة يمكن أن نفسر عدم استجابته للعبارة ٧؛ والتي قد تفسر على ضوء العلاقات الجنسية المثلية في مرحلة الطفولة.

٣ ـ الاتجاهات العامة ـ

إن المفحوص يعاني من مشكلات تتصل بالدراسة. فهو ينتقد المدرسة، بأن العلاقات التي تقوم فيها غير شخصية. ويبدو أن ضعفه في التحصيل المدرسي وسيلة لتغطية عجزه الحقيقي في الدخول في منافسة مع الآخرين. وهذا كله يتضح في العبارات: ١٢ـ ١٤ـ ٢١ـ ٢٢.

٤ ـ سمات الشخصية ـ

إن أهم سمات شخصية المفحوص تظهر في حاجته الملحة إلى الاعتماد على الغير، وهذا ما يتضح في العبارات: ١ ـ ٣ ـ ٣٠. وهذا يفسر لنا أيضاً خوفه من المستقبل، أو خوفه من النقد، طالما لم يكمل تعليمه ولم يشعر بالاستقلال.

وهو كثير النقد لنفسه، كما هو واضح في العبارات: ٢٠ ـ ٣٢ ـ ٣٧. وهو يعتقد أن التكيف أو التوافق هو أساس النجاح في الحياة، وهذا ما يتضح في العبارة ٣ ـ التي تلخص مشكلاته.

ويعاني من مشكلات تتصل بالدراسة، ويبرر فشله في الجامعة بأنه ليس ذكياً بدرجة كافية، وبعدم وجود الدافع. كما أنه يلجأ أحياناً إلى الخيال كوسيلة لحل مشكلاته، كما يتضح في العبارة: ٢٨ـ ٣٦.

٥ - الملخص -

أن لدى المفحوص مشاعر كبيرة بالنقص وعدم الكفاية، وأنه غير مرغوب فيه (داخل نطاق الأسرة)، وهذا ما جعله يعمم ذلك في جميع المجالات الأخرى. هذه المشاعر تجعله يهرب من المواقف التي تتطلب المنافسة؛ ولذلك، فهو يعتمد على الآخرين، خاصة لأنه يشعر بعضف الثقة بنفسه.

وعلى الرغم من حاجته الملحّة إلى تكوين علاقات قوية مع الجنس الآخر، إلاّ أنه يتوقع الرفض أو النبذ. كما يتعقد هذا الموقف نتيجة مشاعر الذنب بالنسبة لخبرات الطفولة الجنسية.

* لقد كشف الاختبار عن نواحي في غاية الأهمية تتصل بشخصية المفحوص، أهمها: ضعف الثقة بالنفس، والشعور بعدم التقبل، والاعتماد على الوالدين، وضعف القدرة الاستقلالية.

وهي كلها تحتاج إلى العلاج والتوجيه للتغلب على مواجهة هذه المشكلات.

الفصل الثالث ـ

(أ) اختبار تفهم الموضوع .T.A.T

- Test d'Aperception des Thèmes -

يعد «اختبار تفهم الموضوع»(1) من أكثر الاختبارات الإسقاطية شيوعاً، إذا يستخدم على نطاق واسع في العيادات النفسية وفي دراسة الشخصية. وتقوم فكرة الاختبار على تقديم عدد من الصور الغامضة نوعاً ما، ويقوم الشخص بتكوين قصة أو حكاية تصف ما يدور بالصورة عن أحداث تجرى فيها، ثم يقوم السيكولوجي بدراسة المعطيات ويحاول أن يستنتج منها ما يجول في داخل الشخص من أفكار ورغبات وحاجات وميول مختلفة. تفيد الصور في إثارة خيال الفرد ودفعه إلى التعامل مع مواقف إنسانية بطريقته الخاصة.

كان أول من نشر هذا الاختبار هو «موراي» Murray وزميله «مورجان» Morgan عام ١٩٣٥، عن طريقة لفحص الأوهام والتخيل. ومنذ أن وضع الاختبار على صورته النهائية، فإنه يستخدم على نطاق واسع في العيادات النفسية لدراسة الشخصية، وتفسير السلوك، والكشف عن الأمراض العصابية والذهانية، وما يدور في داخل الفرد من مشاعر وانفعالات ودوافع ونزعات مكبوتة وأنواع الصراع المختلفة.

وقد اشتغل في هذا الاختبار ووسعه كل من: بيللاك، تومكنز،

---

(1) Manuel du «Thematic Apperception Test» Par H.A. Murray, M.D. Trad. Meunier G. centre de Psychologie Appliquée- Paris 1950-

وبيتروفسكي، وشيترن، . . واستخدموا هذه الاختبارات في مجالات عديدة من نواحي الشخصية.

١ ـ وصــــف الاختبــار ـ

يتكون الاختبار من عشرين صورة (بطاقة) تقدم للشخص الواحدة بعد الأخرى، ويطلب منه أن يكوّن حكاية عن كل صورة منها.

فهناك صور خاصة بالرجال M، والنساء F، والصبيان B، والبنات G.

وتعطى الصور وفق ترتيب محدد تشير إليه الأرقام الموجودة على ظهر البطاقة. كما تشير الحروف الأبجدية المكتوبة إلى جانب الرقم إلى نوع الشخص، المفحوص، الذي تقدم إليه البطاقة (ذكر أو أنثى)؛ وعلى ذلك:

(BM ـ تخص الذكر، صبي ورجل راشد) ـ

(M ـ تخص الذكر فوق سن ١٤) ـ

(B ـ تخص الطفل تحت سن ١٤) ـ

(BG ـ تخص الصبيان والبنات إلى سن ١٤).

(GF ـ تخص الإناث، بنت إمرأة، راشد) ـ

(F ـ تخص الأنثى فوق سن ١٤) ـ

(G ـ تخص البنت تحت سن ١٤) ـ

٢ ـ طريقة إجراء الاختبار ـ

يقدم الاختبار عادة على دفعتين، تعطى للشخص في كل منهما عشر بطاقات، وذلك تلافياً لإرهاق المفحوص وإبعاد الروتين عنه؛ وأن كل قصة تستغرق حوالي ٥ دقائق. ويجب أن يكون جوّ الاختبار يوحي بالثقة والارتياح، ويدعو إلى الإطمئنان، حتى يكون الفحص مثمراً ومفيداً.

وتختلف تعليمات الاختبار التي تلقى في الجلسة الأولى عن تلك التي تكون في الجلسة الثانية. في الجلسة الأولى: سأعرض عليك بعض الصور، وعليك أن تكون حكاية حول كل منها، تبين الأمور التي أدت إلى الحالة التي

تبدو في الصورة. وتصف ما يقع فيها، وماذا يشعر به الأشخاص الذين تراهم، وماذا يفكرون، أذكر الأفكار والمشاعر التي تخطر لك كما هي، ثم قل لي كيف تنهيء القصة. عندك ٥٠ دقيقة للصور العشر.

ويرى موراي ـ عند تحديد الجلسة الثانية ـ ألاّ نخبر الشخص بما سوف يطلب منه، حتى لا نتيح الفرصة له لخلق حكايات يلجأ إليها.

أما في الجلسة الثانية: إن ما نطلبه اليوم هو نفس ما طلبناه سابقاً، يمكنك فقط أن تدع الحرية لخيالك، وتقوم كل ما يجول في خاطرك، حاول أن تبتعد في حكايتك عن وقائع الحياة الجارية.

والقصة المتوسطة الطول تشتمل عادة على ٣٠٠ كلمة بالنسبة للكبار، وعلى ١٥٠ كلمة بالنسبة للطفل. وينبغي تسجيل القصة كما وردت دون تحريف، سواء من ناحية المضمون أو من ناحية الشكل.

أما فيما يختص بالبطاقة رقم ١٦ ـ وهي بطاقة بيضاء ـ فتعطى التعليمات الآتية: ماذا يمكنك أن تتصور على هذه البطاقة البيضاء. تصور صورة ما ثم أوصفها لنا بالتفصيل. أي نطلب من الشخص أن يكوّن حكاية عن هذه الصورة التي تخيلها.

وبعد إجراء الاختبار يقوم السيكولوجي بمقابلة المفحصو، للاستفهام عن العوامل التي أدت إلى موضوعات القصص التي تخيّلها، والوقوف على تأصولها. أي هل هذه القصص هي من واقع وخبرة المفحوص، أم واقع خبرات من يحيطون به، أم هل هذه القصص مستمدة من الروايات أو الأفلام التلفزيونية أو السينمائية . . .

٣ ـ تفسير الاختبار ـ

في الاختبار الإسقاطي لا يسأل الشخص مباشرة عن نفسه، وإنما يكشف عن غير قصد ـ من خلال المثير ـ في أدائه عن مشاعره وانفعالاته التي تعبر عما يدور في نفسه. وينحصر الهدف من الاختبار الإسقاطي أن نصل بالشخص أن يقدم تقييماً لخصائصه وصفاته دون أن ينتبه إلى أنه يفعل ذلك. وعندما نقول أن

شخصاً يسقط نفسه في حكاية، إننا نعني أنه ينظر إليها كما لو كانت تشير إليه، إلى حد ما، إذ أننا نفترض أن أحد شخصيات الحكاية هو الشخص نفسه (عملية التماهي)، فما يحدث بالتالي في الحكاية، يحدث للشخص نفسه، وإن كان في صورة باهتة.

ويمكن تأويل أية مادة إسقاطية من زاويتين: الشكل والمضمون. إن فعل الإسقاط غالباً ما يكون محاولة من جانب الشخص للسيطرة على بعض المصاعب أو المتاعب التي تعترضه، وللوصول إلى معنى وتأويل لسلوكه الخاص، ولكي يرى نفسه من الخارج.

- وتهتم تأويلات موراي بالمضمون الإسقاطي فحسب. فأول مهمة، بالنسبة إليه، هي التعرف على «البطل». والبطل هو الشخصية التي يتماهى معها الشخص في الحكاية. ولذلك، تستخدم الوقائع الخاصة بالبطل، كمؤشر على قيام ما يماثلها في الشخص صاحب الحكاية.

وعادة ما يأتي البطل في بداية الحكاية، تتوالى الحكاية وسردها تبعاً لأفكاره ومشاعره تجاهها، كما تلتصق الخاتمة به.

ففي تأويل صورة من صور الاختبار، يرجع بعض ما يقوله الشخص إلى الصورة، والبعض الأخر إلى الشخص.

فقد استجاب شخص للبطاقة الأولى من اختبار تفهم الموضوع، بما يلي: «هذا الطفل كان يتعلم هذه القطعة، كان يحاول، أن يكررها عدة مرات. ولا يستطيع أن يبلغ إلى أعماقها، إنه يجلس هنا يتساءل عما سيفعله فيها؛ كان عليه أن يتعلم هذه القطعة للدرس القادم، ولا يستطيع أن يتعلمها. تبدو لي أنه سيحاول من جديد، فلو أعطيت له ليتعلمها لقام بمجهود».

إن الوقائع الخاصة بأن البطل هو صبي، وأن مهمته تتعلق بالموسيقى، إنما تأتي من البطاقة (الصورة)، فهي لا تخبر أي شيء عما يتصل بالمفحوص- هذه الوقائع هي جانب من «القوى الخارجية المؤثرة في الانتظام».

* ولكن في بعض الحالات قد نجد التماهي ما بين الشخص الذي في الصورة والمفحوص (مبدع الحكاية)؛ أي قد يكون إسقاطاً لموقف الشخص كما يراه، أو كمجرد رغبة لتحقق، مثال حالة شخص أعزب يعيش مع والديه، عمره ٢٤ سنة، ويعمل ناظر في المدرسة: «هذا الصبي عنده كمنجة وهو يجلس يفكر مما يحدث الصوت، وكيف أنه يود لو استطاع أن يعزف على الآلة. إنه يود لو امتلك لنفسه واحدة. ويود يوماً حين يكبر أن يجد الجماهير عند أقدامه تستمع إليه. يأمل في أن يصبح رجلاً مهماً».

يبدأ هنا كتماهي واقعي، ويتطور إلى رغبة تتمنى التحقق. فالكمنجة في البداية هي الصبي، ولكن بعد ذلك يود الصبي لو امتلك كمنجة.

فإذا انزلق المفحوص إلى التماهي، فإنه يتذكر أن هناك كثيراً من الأشياء، يود لو يحصل عليها ويمتلكها، وهو يشعر الآن بحرمانه منها (كزوجة ؟و بيت له). والعزف، على الآلة، الكمان، يمكن أن يتضمن مجازاً خفياً يشير إلى القوة الجنسية، خاصة وأن الجماهير ترتمي عند قدميه. وهكذا ينساق الخيال، ويأتي النسيان على الواقع الكئيب الذي كان نقطة البداية. فالتماهي هنا يتم «كما أحب أن أكون».

* ويمكن ن بعض الحالات أن يتخذ التماهي شكل الخوف، أي ما يخشى المفحوص أن تصير إليه ذاته: كما ورد في الحكاية التي تتعلق بالبطاقة اقم ١٣ (إمرأة عارية الصدر ترقد على الفراش، ورجل يقف ووجه مختبىء راء ذراعه). والاستجابة كانت على الشكل التالي: «هذه حكاية حزينة. فقد كان الرجل والمرأة في حجرة النوم، وتشاجرا! كان الرجل سريع الانفعال، وإننا لنراه وقد انتهى حالاً من قتلها. يبدو عليه الأسى العميق. ويمكننا أن نرى أنه قد تبين الآن بوضوح ما فعله. لقد ذهب وأبلغ البوليس عن نفسه».

تعبر هذه الحكاية عن الخوف من قوة الغرائز الجنسية والعدوانية، وهي تعد بمثابة الوجه المقابل الذي يتوقعه بعد تحقيقه للرغبة.

ويمكن تلخيص دلالة هذه الحكاية، من ناحية المضمون الإسقاطي، في

رغبة، أو تحذير، يعبر عن الغرض الداخلي الذي يكمن وراء القصة. ويمكن تأويل هذه القصة كما يلي: «إني نوع متوحش من الإنسان، وينبغي على الناس أن تحتاط في معاملتي» (تحقيق لرغبة في الخيال)؛ أو «إنني لست قوي التأثير على معظم الناس ولكن هناك نيراناً خفية متوقدة» (تعويض)، أو «إن غرائزي خطيرة جداً» (تحذير يعين على القمع)، أو «إني أستطيع أن أبلغ الصفح عن طريق العذاب» (خيال مصالح): ومن الممكن أن تكون هذه الاتجاهات جميعها حاضرة في الواقع. ويمكن القول، من المتوقع أن نجد الشخص يسقط نفسه وموقفه في الحكايات التي يسردها، ويبدأ التأويل بتحديد تماهياته[1].

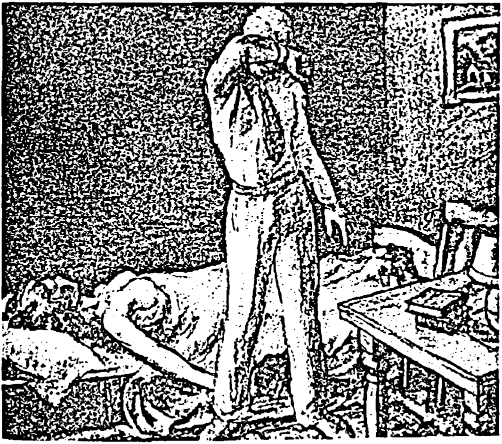
- ومن جهة أخرى، لا ينطبق تحليل المضمون على البطل فقط، وإنما أيضاً على الشخصيات الأخرى في الحكاية، وعلى الأحداث والمواقف المتكررة في الحكايات. فمثلاً «تومكنز» لا يهتم كثيراً بمفهوم التماهي، وإنما يهتم في انتقاء المواقف، ومقارنة القصص بعضها ببعض. ويضع «تومكنز» مجالات الفرد الحيوية موضع الاهتمام، مثل مجالات: العائلة، والحب والجنس، والعمل، والعلاقات الاجتماعية. لمعرفة أي المجالات تكون موضع اهتمام الفرد، وما موقفه منها. وتتضح أهمية إحدى المجالات عن طريق موضوعات القصص.

إن طريقة تومكنز، في تفسيره الاختبار، تولي الأهمية للحكم الذي يكشف عنه الشخص تجاه الموقف، أكثر مما تهتم بالتماهيات الدالة على التجارب الواقعية. أي إنه لا يحاول تحديد التماهيات بدقة، بقدر دلالة المواقف عند المفحوص. إن مثل هذه الدلالات تنحصر في تأويل الاتجاهات والمواقف التي يتخذها الشخص من خلال حكاياته. أي معرفة الاتجاهات النفسية المميزة للسلوك، وكذلك النزعات والرغبات والشحنات الانفعالية. وقد يكون موضوع الموجّه هو الذات، أو أشخاص آخرين، أو أنظمة اجتماعية أو أشياء مادية. أي قد يكون موضوع الموجه كل ما يتصل باهتمامات الفرد.

---

(1) نوتكات - مرجع سابق - انظر ص ٢٠٠- ٢٠١.





ودراسة هذه المجالات والاهتمامات من شأنها أن تكشف لنا اهتمام الشخص، وأين تكمن المشكلة.

كما حاول، فيما بعد، «شترن» أن يجمع، في تحليله ثختبار تفهم الموضوع، بين التفسير الشكلي وتفسير المضمون، مولياً اهتمامه إلى الاتجاهات الفكرية والانفعالية عند الشخص، بالإضافة إلى مواقفه تجاه المجالات التي يتعرض لها في حياته.

ويمكن القول إنه بهذه الطرق التي يتم بها تفسير الاختبار تسمح لنا بالكشف عن الجوانب المختلفة لشخصية الفرد، وعلاقاته بالآخرين.

وسوف نشير إلى الأساليب أو الطرق في تحليل وتفسير الاختبار.

١ ـ طريقة موراي في تحليل الاختبار وتفسيره ـ

يهتم موراي بتحليل محتوى القصة. وتحليل المحتوى هو الوقوف على الموضوعات الغالبة في قصص الفرد. ويعني الموضوع التكوين الدينامي للقصة، أي الحبكة التي تدور حولها القصة. وتتمحور الموضوعات عادة حول تبيان:

١ ـ البطل الرئيسي.
٢ ـ الحاجات التي تدفع بطل القصة، والقوى التي تنطوي عليها نفسه.
٣ ـ الضغوط أو العوامل البيئية والمؤثرات التي تؤثر في الفرد.
٤ ـ نهاية أو خاتمة القصة[1].

١ ـ البطل الرئيسي ـ Heros

هو الشخصية التي تتمحور حولها أحداث القصة وتصف مشاعرها وإحساساتها. أو هي الشخصية التي يتماهى الفرد معها ويرى نفسه فيها. البطل الرئيسي هو الشخصية التي تشبه شخصية المفحوص وتتفق صورته إلى حد بعيد

(1) هنا محمو عطيه ـ علم النفس الاكلنيكي ـ الجزء الأول ـ التشخيص ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٦ (تفهم الموضوع) ص ٤٩١ـ ٤٩٥.

٢ ـ والحاجات الكامنة: الخضوع المكبوت، والذي يأخذ صورة الماسوشية، والعدوان المكبوت، ويأخذ صورة السادية، السيطرة المكبوتة، وتأخذ صورة القوة المطلقة، العرض المكبوت، ويأخذ صورة الميول الاستعراضية، الجنس المكبوت، ويأخذ صورة الجنسية المثلية، المكبوتة، الاستنجاد المكبوت ويأخذ صورة القلق من اليأس، الإدراك والمعرفة المكبوتة وتأخذ صورة الحاجة إلى تقصي المسائل الشخصية الخاصة، الحاجة إلى الأمن والحماية والمحبة ـ

ويصل مجموع هذه الحاجات، الظاهرة والكامنة إلى ٢٨ حاجة.

وتقدر قوة الحاجة وفق مقياس من ١ ـ ٥ درجات. فإذا بدت الحاجة قوية في شدتها أو تكرارها أو أهميتها، تأخذ الدرجة ٥. أما إذا بدت ضعيفة، قليلة الورود، تأخذ درجة واحدة. وإذا ظهرت الحاجة بين الطرفين قدرت بين ٢ ـ ٤، حسب قوتها.

فمن الواضح أن الحاجات لا تعمل كل منها مستقلة عن الأخرى، وإنما يوجد بينها علاقة متبادلة. كما أنه يوجد تدرج معين للحاجات تأخذ فيه نزعات معينة أولوية عن الأخرى. وتستخدم «أولوية القوة» للدلالة على الحاجة التي تصبح سائدة في إلحاح إذا لم تشبع. وفي المواقف التي تستثار فيها حاجتان ؟و أكثر في نفس الوقت وتتطلبان استجابات متناقضة فإن الحاجة ذات الأولوية هي التي تترجم إلى عمل لأنه لا يمكن تأجيلها (مثل الألم والجوع والعطش). ومن الضروري تحقيق حد أدنى من الإشباع لمثل تلك الحاجات قبل أن تتمكن الحاجات الأخرى من العمل.

ويستخدم موراي في دراساته في الشخصية مجموعة من المفاهيم لتوضيح الصراع الذي يشمل الحاجات الهامة:

١ ـ تجنب الأذى: هل يلجأ الفرد إلى اتخاذ أسلوب الخنوع كي يتجنب التأنيب والعقاب والألم؛ هل يتخذ إجراءات وقاية لتجنب الألم؛ هل يستخدم وسيلة الهرب من المواقف الخطرة.

٢ ـ العدوان: مثل التغلب على المعارضة بالقوة، مهاجمة الغير، الثأر. وتتضح النزعة العدوانية في الدلالات الآتية:

١ ـ الاستجابات الانفعالية والتعبير اللغوي: كالبغض، الغضب، المنافسة الشديدة، السبّ أو الشتيمة، التحقير، توجيه النقد وتأنيب الآخرين أمام الناس.

٢ ـ العدوان المادي والاجتماعي: القتال في سبيل الذات أو عن شخص محبوب، الانتقام والأخذ بالثأر، ملاحقة المجرمين ومعاقبتهم.

٣ ـ العدوان المادي: الخطف أو احتجاز شخص وإيذائه، الانتقام بأسلوب قاسٍ، التنكيل، السادية.

٣ ـ السيطرة: تحكم الفرد في بيئته البشرية، محاولة التأثير في سلوك ومشاعر وأفكار الغير. ممارسة الضغط على الآخرين وتقييد حرياتهم.

٤ ـ الخنوع أو التحقير: تقبل الإيذاء والتأنيب، والنقد والملامة. الاستسلام، الإذعان للقدر، تقبل الهزيمة، تأنيب أو إذلال الذات، البحث عن الألم، والعقاب، وسوء الحظ والاستمتاع بها (ماسوشية).

٥ ـ العطف من الآخر: إرضاء حاجات الفرد عن طريق تلقي العون المتعاطف، البقاء ملتصقاً بمن يخلص في حمايته. أن يكون هناك من يقدم له العون.

٦ ـ الإنجاز: التحكم في الموضوعات أو الأفكار؛ التغلب على العقبات، التفوق على الذات، زيادة تقدير الأنا.

٧ ـ الدفاعية: الدفاع عن الذات في مواجهة الإهانة، والنقد والتأنيب؛ إخفاء أو تبرير الإساءة أو الفشل، ؛ تدعيم الأنا.

٨ ـ الجنس: إقامة وتنمية العلاقات الجنسية، ممارسة الاتصال الجنسي، مصاحبة أفراد من الجنس الآخر[1].

إذن يولي «موراي» اهتماماً بالغاً لمفهوم أو لعملية الدافعية لدى الفرد. لكن

---

(1) انظر هول ولندزي ـ نظريات الشخصية ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٢، ٢٣٤.

هذه الدوافع الشخصية ترتبط برباط وثيق بالوقائع التي تحدث خارج الفرد، أي في العالم الخارجي. فالحالة الدافعية لدى الفرد تتضافر، ي رأي موراي، مع القوى البيئية العاملة، ولا تنفصل عنها.

٣ ـ الضغوط أو العوامل البيئية التي تؤثر على الفرد ـ

إلى جانب معرفة البطل الرئيسي، ودراسة الحاجات والعملية الدافعية الأساسية المحركة للسلوك البشري، ينبغي دراسة البيئة المحيطة بالبطل والتي يعيش فيها؛ كما ينبغي دراسة العلاقات المختلفة التي تقوم بينه وبين الآخرين. وكذلك ينبغي دراسة الضغوط أو العوامل المختلفة التي تصدر عن تلك البيئة، وذلك على نحو ما يدركها ويشعرها المفحوص، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وهذه دلالة إلى بعض المواقف المختلفة التي واجهها، أو يحتمل أن يواجهها أو يأمل أن يواجهها.

وفي دراستنا لهذه المواقف المختلفة ينبغي معرفة ما إذا كان المحفوص يستخدم العناصر الموجودة في البطاقات أو أنه يضيف إليها عناصر جديدة من عنده، وخاصة الأشخاص الذين لا وجود لهم في الصورة.

كما ينبغي معرفة موقف المفحوص من الأشخاص الآخرين، واتجاهه نحوهم، واستجابته لهم؛ وهل الأشخاص الذين يضيفهم في الصورة هم من الجنس الآخر، وما هي الصفات التي يضفيها على الأشخاص، رجل أو إمرأة.

أما تقدير الضغوط فهي تتراوح من ١ ـ ٥، وذلك حسب قوتها، ومدتها، وتواترها، ودلالتها العامة في القصة.

مفهوم «الضغط» Pression: إذا كانت الحاجة تمثل المحددات الأساسية للسلوك داخل الشخص، فإن مفهوم الضغط يمثل المحددات المؤثرة للسلوك في البيئة. والضغط يعني صفة أو خاصية لموضوع بيئي أو لشخص تسهل أو تعوق جهود الفرد للوصول ثالى هدف معين.

وترتبط الضغوط بالأشخاص أو الموضوعات التي لها دلالات مباشرة

تتعلق بمحاولات الفرد لإشباع متطلبات حاجته.

والسيكولوجي من خلال تمثيله للبيئة في صورة ضغوط، يحاول أن يصنف ويستخلص الأجزاء الهامة في العالم الخارجي والتي يعيشها الفرد. وتكتمل الصورة التي يكوّنها السيكولوجي عن المفحوص، بشكل أفضل، إذا تعرف إلى جانب دوافعه ونزعاته الموجهة، الطريقة التي يرى ويفسر بها بيئته.

لقد قدم موراي قوائم مختلفة للضغوط للدلالة على قوتها أو أهميتها في حياة الفرد وهي:

١ - ضغط نقص التأييد الأسري: ويندرج تحتها، التنافر الأسري، انفصال الوالدين، دونية أحد الوالدين (الأب، الأم)، الفقر، عدم الاستقرار المنزلي.
٢ - ضغط العدوان: ويأخذ صورة سوء المعاملة، من الأخوة، أو من الأقارب - هل توقع السلطة العقاب بالبطل - هل هناك شخص يحطم ممتلكاته - هل يشعر البطل بالتهديد أو الإهانة...
٣ - ضغط السيطرة: هل هناك من يفرض على البطل رأيه بالقوة - هل هناك من يقيد حريته، ويمنعه بالقيام عن عمل مرغوب.
٤ - ضغط النبذ، وعدم الاهتمام، والاحتقار.
٥ - ضغط العطف: هل هناك من يعطف على البطل، أو هل أن البطل يسامح الآخرين.
٦ - ضغط الدونية: هل هناك من يخضع البطل ويشعره بالدونية، بدنياً، أو اجتماعياً، أو فكرياً.

هذا بالإضافة إلى ضغط الأخطار والكوارث المادية(1).

من المهم أن يميز السيكولوجي بين دلالة موضوعات البيئة كما يدركها الفرد ويفسرها، وبين خصائص تلك الموضوعات كما توجد في الواقع.

---

(1) نفس المرجع - ص ٢٣٩- ٢٤١.

ويأخذ موراي مفهوم «الشحنة الانفعالية» للدلالة على قدرة موضوع بيئي على اجتذاب الفرد أو على صدّه. وتوجد الشحنة الإيجابية إذا كان الفرد ينجذب إلى موضوع معين، على حين توجد الشحنة السلبية حين يستثير الموضوع الكراهية والتجنب. وفي الحالات التي يكون فيها الموضوع جاذباً ومنفراً معاً، فإن الفرد يكون متناقضاً وجدانياً تجاه الموضوع.

٤ - خاتمة القصة -

بعد التعرف على البطل الرئيسي والحاجات المؤثرة على سلوكه، والضغوط البيئية والاجتماعية التي تمارس عليه... فمن المفيد أيضاً أن نعرف موضوع القصة، وأحداثها، وكيف يتصرف البطل أو يستجيب للمواقف والضغوط التي يتعرض لها.

هل ينجح البطل في التغلب على العقبات والصعوبات التي تعترضه؟ أم أنه يتكيف معها.. أو يستسلم لها..؟ كيف يتصرف إزاء المواقف الاحباطية، وما هي الآواليات الدفاعية التي يستخدمها إزاء هذه الضغوط؟ هل هناك الشعور بالذنب لعمل مرفوض ارتكبه البطل.. أم أنه لا يهتم بذلك..؟.

في هذه الحالات، ينبغي معرفة سلوك البطل وتصرفاته تجاه هذه المواقف المختلفة. وهنا ينبغي أيضاً معرفة الخاتمة أو النهاية التي تنتهي إليها القصة: هل هي نهاية سعيدة، متفائلة، أو أنها تتلاءم مع حاجات البطل ورغباته..؟ أم أنها نهاية، تعيسة، حزينة، متشائمة..؟ أو هل تترك القصة بدون نهاية..؟.

لا شك أن «نهاية القصة» تعتبر مقياساً هاماً، ولها دلالة بالغة لمعرفة قوة الأنا عند المفحوص.

٥ - بحث وتحليل الشخصية عند موراي -

يعتقد موراي أن الفهم المناسب للسلوك ينبغي أن يكون تالياً للدراسة الكاملة والتفصيلية للحالات الفردية؛ أي دراسة الحالة دراسة وافية. وهكذا فمن الضروري أن يؤدي موقف موراي به إلى الدراسة المتعمقة للمفحوص، للحصول على قدر كبير من المعلومات أو المعطيات الخاصة به.

ولقد أبدى موراي تركيزاً كبيراً على أهمية العالم النفسي كأداة في البحث النفسي، على الرغم من استخدام الاختبارات النفسية لتقييم الشخصية؛ لأن جميع تلك الوسائل و الأدوات إنما هي في الأساس عبارة عن الملاحظات الدقيقة للسيكولوجي. ولذلك يعتبر موراي أن «عالم النفس» هو «أهم وسائل الدقة» في الأبحاث السيكولوجية.

ولقد أدت تلك الاعتبارات بموراي إلى أخذ مفهوم «الاجتماع التشخيصي» الذي يشمل عدداً من الإخصائيين يدرسون جميعاً نفس الشخص المفحوص من وجهات نظر مختلفة، ومن ثم مناقشة المعطيات النهائية وبالتالي، التوصل إلى مركب أو توليف Synthèse من تلك المعلومات.

أي بعد فترة من الملاحظة الفردية يقوم خلالها كل عالم أو باحث بدراسة المفحوص من خلال أساليبه المتخصصة؛ ويقدم كل منهم بياناته وتفسيرها، ومناقشتها لتدعيم التقرير النهائي.

وتتفق غالبية أدوات موراي مع اعتقاده الأساسي بأن الفهم الدقيق للسلوك الإنساني يستمد من الدراسة المعقدة للسلوك. ولذلك كان موراي يسعى لتجميع البيانات المتنوعة والمتعددة الأشكال التي يمكن أن نتوقع منها أن تعكس مدىً واسعاً من الميول والقدرات السلوكية.

ويرى موراي أن إحدى مميزات عالم النفس أنه يتعامل مع كائن إنساني «متكلم»، وأنه ينبغي أن يستفاد من ذلك إلى أقصى درجة. فالعالم النفسي يتعالم مع شخص يستطيع أن ينقل إليه ـ عبر التداعي، واللغة والحديث. . . ـ قدراً كبيراً من المعلومات الغنية التي تتعلق بالعمليات الداخلية التي يقوم بها وبالأحداث الخارجية التي ينظر إليها، وبالمحددات الأساسية للسلوك. ولذلك، تمثل هذه العمليات مدخلاً جيداً في محاولة كشف أعماق السلوك الإنساني.

وبفضل اهتمام موراي بالذاتية الفردية، كان رائداً في تطوير أدوات الشخصية التي تستكشف المحتوى العقلي والنفسي للفرد. إذ تسمح هذه الأدوات بالعرض الكامل والذاتي من جانب المفحوص وتشجعه؛ كما أنها تتيح

له الفرصة لعمليات التصور والتخيل.

وقد دلت نتائج الدراسات التي قام بها موراي لتوضيح مفهوم «الإسقاط» على أن هناك نمطين رئيسيين من الإسقاط:

- الإسقاط التكميلي Projection Complementaire ويدل على ميل الشخص إلى إدراك بيئته أو فهمها بطريقة تجعلها تتفق مع حاجاته وعواطفه ودوافعه، أو تبررها.
- الإسقاط الإلحاقي Projection Sumlementaire، وفي هذه الحالة، يسقط الشخص على الموضوعات أو الأشخاص في البيئة الصفات التي يتملكها هو والتي تكون في العادة مرفوضة أو غير مقبولة لديه.

٦ - تحليل موضوعات القصة -

يميز موراي بين التحليل الشكلي وتحليل المحتوى في اختبار «تفهم الموضوع»:

١ - التحليل الشكلي - يتضمن دراسة إدراك الشخص للصورة، ومدى مشاركة للاختبار، أثناء التطبيق، والبناء التنظيمي للقصص، ومدى تلاحمها من حيث الإيجاز أو الثراء في التفاصيل، وبالتالي مدى واقعيتها أو بعدها عن الصورة الواضحة في البطاقة. ويتضمن أيضاً اللغة والأسلوب المستخدم في الحكاية، والاتجاهات المتضمنة سواء أكانت وصفية أم رمزية.

وتعتبر هذه العوامل مؤشرات هامة عن المستوى العقلي للفرد، وطريقة إدراكه، وتوقعاته النفسية ومدى إحساسه بالواقع.

٢ - **تحليل المحتوى** - يشير إلى الموضوعات الرئيسية الغالبة في القصص. والموضوع يكون عادة، الأحداث الأساسية التي تدور عليها القصة؛ أي هو التكوين الدينامي أو الحبكة للقصة (والتي تشتمل على البطل، وحاجاته، والضغوط التي يتعرض لها، والمواقف التي يتخذها تجاهها. . .).

بمعنى اخر، يهتم موراي بالاستجابات من حيث خصائص موضوعات القصص على الشكل التالي:

أسلوب المعالجة، ودرجة الواقعية، والمستوى اللغوي والثقافي: وتسهم هذه العوامل في تحديد مستوى النضج العقلي والانفعالي ودرجة قدرةالشخص على التصور والتخيل، وعلاقة الأنا بالآخرين.

كما يمكن الكشف عن نزعات الفرد وصراعاته، من خلال المضمون واللغة التي يستخدمها (سواء من ناحية التناسق أو التفكك والخلط..).

* وبناء على ذلك، بعد معرفة البطل الرئيسي، حاجاته الأساسية والدافعية، والضغوط التي تمارس عليه، فإنه من الضروري دراسة عملية التفاعل بين كل هذه العوامل. فمن خلال دراسة وتحليل التفاعل بين الحاجات والمؤثرات الضاغطة، يمكن التوصل إلى الموضوعات السائدة التي تهم المفحوص؛ وبالتالي الوقف على الصراع الذي يعاني منه، وما طبيعة هذا الصراع، وأين يكمن، وما مداه..

أي يستطيع السيكولوجي، من خلال تحليله وتفسيره للموضوعات السائدة، أن يكشف عن القضايا الهامة التي تستأثر باهتمام المفحوص، وما هي الأزمات أو الصراعات التي تشغله أكثر من غيرها.

* تمتلك نظرية موراي تلك السمة الخاصة بالتأكيد المستمر على أهمية ماضي الكائن الإنساني والمحتوى الحاضر الذي يتم فيه السلوك. لقد أدى اهتمام موراي «بالمجال»، و«البيئة» التي يحدث فيها السلوك إلى نظام متميز من مفاهيم الضغط التي تسمح للسيكولوجي بتمثيل البيئة المدركة، والبيئة الموضوعية على حد سواء.

كما أكدت نظرية موراي دائماً على العملية الدافعية، وعلى أهمية المصادر اللاواعية للدوافع.

ويمكن أن نلخص الأسس التي يقوم عليها اختبار تفهم الموضوع

.T.A.T، وهي أن القصص التي يستجيب بها الشخص للصور هي إسقاطات، أو هي نسبة مشاعر ووجدانات وحاجات ودوافع الشخص إلى الأشخاص وإلى الموضوعات في العالم الخارجي، وهو في هذه الحالة يتمثل في الصور (المثيرات). وطبقاً لمفهوم الإسقاط من منظور التحليل النفسي، فإن هذه الأوالية تستخدم كعملية دفاعية عن الذات في مواجهة قوى غير مقبولة لا شعورياً.

غير أن بيللاك يرى أن القصص التي يستجيب بها الشخص لصور الاختبار يمكن تفسيرها جزئياً في إطار المفهوم الإسقاطي، إذ أن بعض جوانب من القصص يمكن أن تكون نوعاً من التعبير أو الإدراك الذاتي، أكثر مما هي إسقاطات؛ أي إنها تتضمن عمليات دينامية لتفاعل الفرد مع بيئته ومع الآخرين، وكذلك في تأثره بماضيه وحاضره وتطلعاته.

٢ ـ طريقة بيللاك في تحليل وتفسير الاختبار ـ

يرى «بيللاك» Bellak أن اختبار تفهم الموضوع يمثل مواقف اجتماعية مختلفة، وأن استجابات الشخص في الاختبار تعكس مشاعره وأفكاره ونزعاته تجاه المواقف التي يتواجد فيها أو التي يواجهها. وأنه يمكن التوصل إلى معرفة الأنماط الحاضرة للسلوك الاجتماعي للشخص، وذلك بالكشف عن عامل مشترك في أنماط السلوك الحاضر وأصول هذه الأنماط.

وقد صمم بيللاك استمارة لتحليل القصص، والتي تتضمن الخطوات الأساسية التي تشتمل عليها القصة وهي:

الموضوع الرئيسي للقصة ـ البطل الرئيسي ـ الحاجة الأساسية ـ نظرة الشخصة إلى البية ـ صور الشخصيات المختلفة في نظر الشخص ـ أنواع الصراع ـ طبيعة القلق ـ الأواليات الدفاعية الرئيسية لمواجهة الصراع ـ شدة الأنا الأعلى ـ تكامل الذات[1].

---

(1) سلامة أحمد عبد العزيز ـ «استمارة سيللاك لرصد وتحليل استجابات المفحوص لاختبار تفهم الموضوع» ـ كراسة التعليمات ـ مطبعة التقدم القاهرة ـ بدون تاريخ ـ

١ - خطوات وتكنيك الاختبار -

١ - الموضوع الرئيسي -

هو التعبير عن جوهر القصة والأحداث التي تجري فيها، والتي كثيراً ما تكشف عن المشاعر الداخلية للشخص. ويمكن النظر إلى تحليل الموضوع الرئيسي للقصة من خلال المستويات التالية:

١ - المستوى الوصفي: وهو تلخيص مبسط وموجز لمعنى القصة، يكشف عن الاتجاه العام للقصة.

٢ - المستوى التفسيري: افتراض معنى مناسب على القصة في تأويلها.

٣ - المستوى التشخيصي: تشخيص الحالة وتحديد نوعية المشاكل التي يعانيها بطل القصة والتي تسبب له الألم والتوتر.

- المستوى الرمزي: رصد الرموز الواردة في القصة وتأويلها.

٥ - مستوى التداعي: الوقوف على أفكار وخيالات الشخص.

(*) توضيح نموذجي للقصة التالية[1] -

البطاقة رقم ٦ BM: «إمرأة متقدمة في السن تقف في غرفة بالقرب من النافذة، وعيناها مثبتتان إلى الأمام على شيء بعيد. ويقف وراءها رجل أصغر منها سناً وهو ينظر إلى الأسفل نظرة تتسم بالحيرة».

استجابة القصة:

هذا مهندس شاب ناضج . . وهو الوحيد في عائلته، أمه مقربة جداً إليه. وهو يعمل في مجال البترول وقد وقع عقداً للعمل في جزر الهند الشرقية، وعلى وشك الرحيل. ودّع أمه، وكلاهما حزين. بعد فترة تشعر الأم بوحدة شديدة وتقرر أن تلحق بابنها في جزر الهند الشرقية. كان ذلك وقت الحرب، وقد حصلت بطريقة ما على مكان لها في باخرة مسافرة إلى الجزيرة التي يعمل فيها

---

(1) مليكه لويس - علم النفس الأكلينيكي - الجزء الأول - التشخيص والتنبوء في الطريقة الإكلينيكية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ - انظر ص ٤٤١.

ابنها. أغرقت غواصة للعدو الباخر وهلكت. . . لم يكن ابنها قد عرف بمقاصد أمه ولكنه كان قد نوى بمفرده القيام بزيارة مفاجئة لها. قرر أن يفاجيء أمه بزيارة لها في الوطن. . سلكت الباخرة التي استقلها نفس الطريق الذي سلكته الباخرة التي استقلتها أمه. . . وفي نفس الموقع حيق قضي على أمه، هوجمت باخرته من قبل غواصة أخرى للعدو وهلك هو أيضاً».

(**) مستويـات الموضـوع الرئيسـي -

١ - المستوى الوصفي: ابن يعيش بمفرده مع أمه الحبيبة ثم يتـركها. . وحين يحاول كل منهما لقاء الآخر يلقيان حتفهما في نفس الموقع.

٢ - المسـتـوى التفسيـري: يعتقـد المحفـوص أن الشخص إذا سمـح لنفسه بتخيلات (محرمة) كأن يعيش مع الأم، فإن كلاهما يموت.

٣ - المستوى التشخيصي: يعاني المفحوص من مشكلات تتعلق بالمحرمـات والصراعات الأوديبية التي تسبب له مشاعر شديدة بالذنب.

٤ - المسـتوى الرمزي: قد يفسر طوربيد الغواصة بأنه رمز قضيبي (الوالد) يهدد ويدمر كلاً من الأم والابن لمحاولات اللقاء المحرمة.

٥ - مستوى التداعي: جذر الهند الشرقية، مهندس. . .

٢ - البطــل الرئيســي -

وهـو الشخص الذي يكـون محور الأحـداق في القصة، أي بـطلها، أو الشخصية الرئيسية والأساسية. وعادة ما يتماهى المفحوص مع البطل بحيث أنه يعبر عن نزعاته ومشاعره واتجاهاته. . وغالباً ما تكشف اهتمامات وميول وسمات البطل عن صفات الشخص أو التي يرغب أن يتصف بها.

٣ - الحاجــات الرئيســية -

ينبغي التعرف على الحاجات الأساسية للبطل، وما مدى هذه الحاجـات ودرجة شدّتها. كما ينبغي أن نعرف مدى إشباعها أو صدها على مستوى الواقع.

وأهم هـذه الحـاجـات: العـدوان، التحصيــل، التملك، الاستقـلال، الاجتماع، الجنس، تجنب الأذى، التعليم، السيطرة. . .



وهنا، يرى بيللاك، ينبغي أن نفرّق بين الحاجات الفعلية للشخص وبين حاجاته التي تكون على المستوى التخيلي، وهذا بالتالي يدفعنا إلى أن نفهم العلاقة القائمة بين الحاجات السلوكية والحاجات التخيلية:

فقد تكون بعض الحاجات قوية في المستوى التخييلي لدى الشخص ولكنها ضعيفة في المستوى السلوكي؛ وهذا يعني وجود إعاقة في التعبير المباشر لتلك الحاجات بسبب الضغوط الخارجية.

كما أن هناك بعض لحاجات يمكن التعبير عنها بنسبة ضئيلة على مستوى التخييل، ولكن يعبّر عنها بشكل قوي في الظاهر. ومن ناحية أخرى، قد توجد حاجات لها من القوة على المستويين التخييلي والسلوكي، وهذه إشارة إلى أنه في الوقت الذي يسمح فيه العالم بالتعبير عن هذه الحاجات، إلّا أنها تكون محبطة مما يتطلب إشباعها على مستوى التخييل.

وفي تحليل الاستجابات لحاجات البطل، ينبغي التعرف على تلك الحاجات سواء منها الظاهرة أم المكبوتة: فمثلاً إذا كان الشخص يتجنب كل إشارة إلى العدوان، فهو يفعل ذلك نتيجة لحاجته الشديدة إليه، ولذلك فهو ينكرها في الصورة (عملية الإنكار).

كما أن أي تجاهل من الشخص لوجود شيء ما واضح في الصورة، فهذه دلالة إلى وجود حاجة مكبوتة عن هذا الشيء.

٤ ـ نظرة الشخص إلى البيئة أو العالم ـ

مفهوم الشخص عن العالم هو خليط معقد من إدراك الذات وفهم المثيرات الخارجية، يتمثل في صور ذكريات الماضي أو الحاضر. ولامهم هو كيف ينظر الشخص إلى البيئة المحيطة به، وكيف يتعامل معها، وما هي الأساليب التي يتخذها تجاه المواقف التي تعترضه في الخارج... هل تتمثل نظرة الشخص (البطل) إلى العالم في النزعة العدوانية، أم في النزعة الاستغلالية.. هل يتعاطف مع البيئة أو ينبذها...

٥ ـ نظـرة الشخص للشخصيـات أو النماذج المختلفـة ـ

ينبغي الاهتمام باتجاهات البطل نحو النماذج الوالدية والأخوة والأقارب، وكيف يتعامـل معهم، هـل يتقبلهم أم أنـه لا مبـالي تجـاههم، أم أنـه يتمـرد عليهم. . لا بد من تسجيل وفهم نظرة الشخص إلى تلك الشخصيات، سـواء أكانت عدوانية، إنصياعية، اعتمادية، متسلطة. . .

فكل صورة تسمح للشخص أن يخلق موقفاً يمكن فهمه على أنه مشكلة يتعين عليه حلها.

٦ ـ أنــواع الصـراعــات ـ

ما هي الصراعات الأساسيـة التي يعاني منهـا الشخص، ما طبيعتهـا وما مداها. . وأين تكمن هذه الصراعات. هل هناك صراعات داخلية تسبب له التوتر والأذى، أم هناك صراعات خارجية تعيق سلوكه. .

وما هو مـوقف الشخص من هذه الصـراعات وكيف يـواجهها، ومـا هي الأساليب التي يلجأ إليها في حل الصراعات. . . إن هذه المواقف لها دلالات هامة في الكشف عن تكوين شخصية الفرد وقوة الأنا عنده.

٧ ـ طبيعــة القــلق ـ

لا بد من تحديد أنواع القلق، ومعـاناة الشخص منهـا، والتي قد تتصـل بالألم الجسمي، أو انزال العقاب، أو الخوف من فقدان الحب والحرمـان، أو الخوف من الوحدة. . . وقد يتخذ المفحوص بعض الأسـاليب المعينة لحمـاية الـذات من تلك المخـاوف التي تعتــرضـه. ينبغي تحــديـد هــذه الأسـاليب المستخدمة، هل هي أساليب الهروب من الواقع، أو السلبية، أو العدوانية؟.

ويمكن أن نستدل على القلق، من خلال، درجة التذبذب في خصائص الشكل في القصة، ومن خلال أسلوب المعالجة للقصص.

٨ ـ الأواليـات الدفاعيـة لمواجهة أنواع الصراعــات ـ

إن دراسـة الدوافـع والحاجـات ونظرة المفحـوص إلى العـالم، وأنـواع

الصـراعات التي يعـانيها، تحتم بـالضرورة معـرفـة الأواليـات الـدفـاعيـة التي يستخدمها في الدفاع عن نفسه لمواجهة تلك المواقف. وتتضح هذه الأواليات في محاولة المفحوص في مواجهة الصراع الذي يواجهـه، والمتضمن عادة في استجـاباتـه للقصص. هل هنـاك تبريـر للبطل إذا اقتـرف بعض الأخطاء تجـاه محيطه.. هل هناك كبت لحاجـاته غيـر المشبعة.. هـل هناك إسقـاط لأفعال مرفوضة من داخله...

٩ ـ شـدة الأنـا الأعلـى ـ

ويستدل على هذا المؤشـر من خلال التنـاسـب بين طبيعة العقـاب وشدة الفعل المرتكب. هل ينتاب البطل الشعور بالذنب لفعل إقترفه، وكيف يتخلص من ألم الشعور بالذنب.. هل هنـاك عقاب مبـاشر يعبـر عن هذا الشعـور، أم عقاب مرجأ..؟.

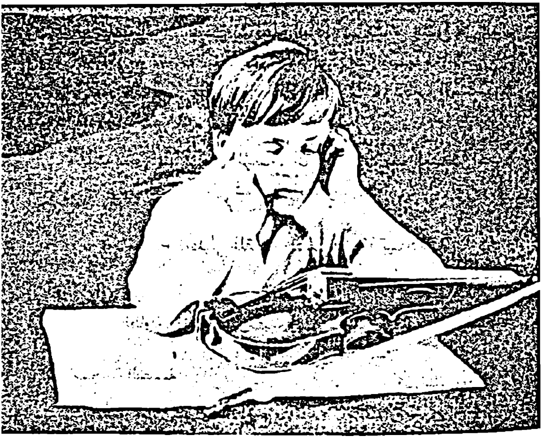
لا بد من معرفة الظروف التي أدت إلى الفعل المرتكب، ومعرفة العقاب أيضاً، هل هو مباشر، أم مؤجل، شـديد القسوة أم متساهل؟ فكل ذلك دلالة على نمو الأنا الأعلى وتكونه عند الشخص.

تكامــل الأنــا ـ

كيف يمكن لنا أن نحدد كفاءة الفرد، وإلى أي حدّ يستطيـع التوفيق بين حاجاته ومطالب الواقع من جهة، ومطالب الأنا الأعلى من جهة أخرى؟ إن كفاءة الفرد تعني القدرة على القيـام بالمهـام تحت ظروف داخليـة وخارجيـة صعبة، ولكن بصورة مقبولة اجتماعياً.

وترتبط هذه الكفاءة غالباً بقدرة الأنـا لدى الشخص في طـريقة معـالجته للمشاكل والصعاب التي تواجهه، وفي طريقة تفهمهم لها.

هل يستطيـع المفحوص الاستجـابة بقصص مـلائمة وواقعيـة لما تقـدمه الصـورة، أم أنه يتجـاهل الصـورة كلية ويـذكر قصـة لا علاقـة لها إطـلاقاً في الصورة. ومن حيث أن هناك مشاكل أكثـر إلحاحـاً من غيرهـا تجعله يلجأ إلى التعبير عنها، وبذلك لا يقترب من الواقع الذي أمامه.



هل يستطيع المفحوص أن يصوغ حبكة معينة للقصة، ويتوصل بالتالي إلى حلّ الصراعات ولما يجري بداخله بشكل واقعي مقبول.

إن دراسة هذه الخصائص لها دلالتها لمعرفة ما تكون عليه «أنا» المفحوص، وكيفية استجابتها للواقع.

بشكل مختصر، يشكل الموضوع الرئيسي للقصة، والبطل الأساسي، والحاجا الأساسية البنيان النفسي لشخصية الفرد؛ كما تشكل النظرة إلى العالم واتخاذ المواقف منه مفهومه لما يحيط به وللعلاقات التي يقيمها مع الآخرين.. أما أنواع الصراعات التي تقوم بداخل الفرد، والأواليات الدفاعية المستخدمة، وقوة الأنا، فإنها تكشف عن الأبعاد المختلفة لشخصيته.

ولذلك ينبغي عند دراستنا للقصة، أن نربط كل هذه العناصر لمعرفة تفاعلاتها وتأثيراتها المختلفة على شخصية المفحوص.

٢ - نموذج تحليلي للقصة حسب طريقة بيللاك -

البطاقة الأولى: «ولد صغير ينظر إلى الكمان الذي أمامه، ويستند بيديه على الطاولة، وتبدو إحدى عينيه مغلقة تماماً، والأخرى شبه مفتوحة».

استجابة القصة:

«هذا الطفل مريض في الفراش، أعطى نوتة موسيقية لدراستها، ولكن جذبته أكثر من الموسيقى، رواية وجدها. يحتمل أن تكون من قصص المغامرات، ومن الواضح أنه لا يخشى احتمال أن يجده والده مشغولاً في الرواية لأنه يبدو مسترخياً. ويبدو أنه من النوع المجتهد، وربما يأسف لعدم انتظامه في المدرسة، ولكنه يبدو مستغرقاً تماماً في المغامرة الواردة في الرواية. المغامرة ترتبط بالمحيط أو الماء. إنه ليس سعيداً جداً، بالرغم من أنه ليس حزيناً جداً. عيناه خاويتان بصورة ما، يقرأ الكتاب دون عينين أو يعرف ما في الكتاب دون قراءته. إنه يتجاهل الموسيقى، ثم يستسلم للنوم وهو يقرأ الكتاب»

(*) تحليـــل القصـــة ـ

- يظهر في القصة مفهوم المفحوص عن صورة الجسم، وهي تتسم بـالضعف والمرض، كما يظهر لديه الشعور والإحساس بأنه طفل. هذا بـالإضافـة إلى العمى الذي ظهر في القصة. إذن يكون المفحوص صورة رديئة عن ذاته.
- أمـا تجاهـل المفحوص لـدراسة الموسيقى تجاهـلاً تامـاً، فهذه دلالـة إلى إضطراب جنسي، وخاصة ممارسة العادة السرية. لأن اللعب على «الكمان» رمز جنسي، حسب نظرية التحليل النفسي.
- التخييلات المرتبطة بالماء هي إشارة إلى القـذف المبكر أو إلى إضـطرابات بولية.
- يفضل المفحوص الاستغراق في التخيلات بدلاً من الدراسـة، وهذه دلالـة إلى نوع من المقاومة التي يبديها المفحوص تجاه والديه.
- إن الشعور بعدم الخوف من العقاب يعبر في الحقيقة على تمنيات المفحوص أن لا يكون خائفاً في الفعل والواقع.
- إن عـدم شعـوره بـالسعـادة والحـزن في نفس الـوقت دليـل على تنـاقضـه الوجداني، وانقباضه.
- أمـا من حيث القراءة دون عينين، فهـذه دلالة على العقـاب لنـزعـة الـرؤيـة الجنسيـة، وهذا يتسق غـالياً مـع إحساسـه الشديـد لممارسـة العادة السـرية (الشعور بالذنب).
- معرفة مضمون الكتاب دون قراءته، دلالة هواجسه بقوة خارقة (معرفية).
- الاستسـلام للنوم، طـريقة في حـل المفحـوص للصـراع الـذي يعـاني منـه (الهروب، والانزواء).

(**) إن مشاعر المفحوص تعاني من التناقضات الوجدانيـة نحو نمـاذج الأب، والأم. وهذا يعني أن مشاكله «الأوديبية» لم تحل نهائياً بشكلها السوّي. أما شعوره بالذنب فيتسم بالشدة، لما يتصل بدوافعه الجنسية ونزعاته العدوانية الكامنة. ولذلك، فهو يلجأ إلى الوساوس والكبت كآوالية دفاعية ضد صراعاته. غير أن هذه الأواليات منهارة، كما أن لديه إحساس بفقدان الشعور بشخصيته،

ولذلك يلجأ إلى التخييل، وخاصة التخييل العدواني.

أما العمليات الفكرية، فهي مضطربة، وغير منتظمه (خلط فكري) هذا بالإضافة إلى إدعاء معرفي كعملية تعويضية.

٣ ـ إستمارة بيللاك لتحليل القصة ـــ ؟ (1)

الاسم. . . **القصة رقم (١)**

١ ـ الموضوع الرئيسي ـ

- المستوى الوصفي: طفل مريض، طلب من دراسة الموسيقى، وهو يفضل عليها الرواية. وهو يشعر بأنه غير سعيد، ولكنه غير حزين أيضاً. يقرأ دون عينين أو يعرف ما في الكتاب دون قراءته.
- المستوى التفسيري: يفضل لذة القراءة على التحصيل المدرسي، لا يخاف العقاب. وهو يملك القدرة على المعرفة.
- المستوى التشخيصي: الشعور بأنه طفل مريض. وإنه مقهور. وهو يلجأ إلى عملية الإنكار كآوالية دفاعية، خاصة فيما يتصل في ممارسة العادة السرية. مقاومة السلطة عن طريق الانزواء، واللجوء إلى التخييلات. يميل بنزعاته إلى العرض الجنسي. ويتسم الأنا الأعلى بالقسوة.

٢ ـ البطل ـ

الجنس: طفل ذكر ـ وظيفته: تلميذ.
اهتماماته: القراءة ـ سماته: غير سعيد وغير حزين.
قدراته: معرفة مطلقة (قراءة دون عينين).
تصوره لذاته: مريض، ضعيف البنية.

٣ ـ الحاجات الأساسية للبطل ـ

الحاجات السلوكية كما تظهر في القصة: قراءة القصص، الخاصة بالمغامرات، وتفضيلها عن المدرسة أو دراسة الموسيقى.

---

(1) سلامة أحمد عبد العزيز ـ مرجع سابق.

الدلالة الدينامية لهذه الحاجات: مقاومة سلطة الوالدين. . السلبية، والانزواء، اللجوء إلى التخييل.

الأشخاص والظروف والأشياء التي تتضح في القصة: الوالدان، الكتاب، الماء، المدرسة.

الدلالة الدنامية لها: تحدي الوالدين، الانشغال بالمرض.

٤ ـ تصور المفحوص للبيئة المحيطة به ـ القهر والنبذ.

أ ـ الشصيات والنماذج المختلفة:

الوالدية: أب وأمب.

يراها المفحوص: كعلاقة قهر ونبذ.

موقفه منهم: المقاومة، والهروب إلى التخييل.

ب ـ أنواع الصراع التي لها دلالة خاصة ـ

الإنصياع، الاستقلال، التحصيل، اللذة، السلبية.

جـ ـ طبيعة القلق ـ

الخوف من المرض ـ الخوف من العقاب الجسمي ـ من الحرمان.

د ـ الأواليات الدفاعية الأساسية لمواجهة أنواع الصراع ـ

الإنكار ـ الانزواء.

هـ ـ شدة الأنا الأعلى ـ

تظهر في العمى، عقاباً على النزعة إلى اشتقاق اللذة من الرؤية الجنسية.

و ـ تكامل الذات ـ

كفاءة البطل: غير واقعية.

الخاتمة: واقعية.

الحل: الاستسلام للنوم.

عمليات التفكير: غير محددة البنيان.

٥ ـ عمليــة التفسيــر ـ

ـ صورة الذات المسقطة (البطـل) ـ

تتميز صورة البطل بالضعف، والخضـوع، والاستسلام. كما تتميز بحاجة شديدة إلى القراءة والمطالعة، وخاصة الروايات التي تتعلق بالمغامرات؛ ويتحقق لها الإشباع عن طريق الالتجاء إلى التخييل، والتمني بالتمرد على السلطة الوالدية (مقاومة). أما مرحلة الطفولة في حياة البطل فهي ذليلة وتعيسة، وتعاني من صراعات جنسية، التناقض الوجداني. وهي تشعر بالقهر، والنبذ والحرمان.

ـ صور الوالدين المسقطـة ـ

يظهر التعلق بالأم، والخوف من والده، وتظهر رغبته في ألّا يكون خائفاً. وتظهر مشاعره المتناقضة تجاه والديه من خلال إدخالهم على البطاقة، في قصته، وهو يكمن لهم عدوانية، يعبّر عنها في عدم تلبية رغباتهم، بل بمخالفتهم لإشباع الحاجة الملحّة في داخله، على مستوى التخييل، وليست في مستوى الواقع. ولا يحدث للمفحوص تفاعلاً بين البطل والصور الوالدية. إن إدراكه للوالدين يتم في صورة: نابذين ومحبطين، إسقاطياً.

٤ ـ طريقة تومكنز في تحليل الاختبار ـ

يميز «تومكنز» Thomkins أربعة قضايا أساسية يسير وفقها التحليل وهي: الموجهات Vecteurs، المستوى Niveau، الظروف Les Conditions، الصفات أو الخصائص Les Caractères.

١ ـ الموجهات ـ وهي «الاتجاه النفسي المميز للسلوك»، ويضاف إليه النزعات والرغبات والشحنات الانفعالية. وقد يكون موضوع الموجه هو الذات أو الآخرين أو الأنظمة الاجتماعية أو الأشياء المادية أو الأفكار. أي قد يكون موضوع الموجه كل ماله اتصال باهتمامات الفرد.

٢ ـ المستويات ـ وهي الوظائف النفسية التي تتضح في قصص

المفحوص، كالإدراك، والميل، والمشاعر، والتأمل، والرغبة، والانفعالات والتذكر والأحلام...

٣ ـ الظروف ـ وهي التي تشير إلى الحالات النفسية والمادية والاجتماعية التي يوجد بها (البطل) في القصص، ومدى تأثيرها عليه، وعلى مواقفه.

وقد تكون هذه الظروف سلبية: مثل الحرمان، أو العجز، أو الفقدان، الخطر، والقلق والشك والصراع...

وهناك ظروف إيجابية: مثل وفرة الأشياء، الطمأنينة، والبعد عما يسبب التهديد والإحساس بالخطر أو الحرمان أو الاحباط.. وكذلك الحالات النفسية السارة كالشعور بالثقة، والسعادة.

٤ ـ **الصفات أو الخصائص** ـ وهي التحديدات الزمنية، أي متى حدث الفعل: في الماضي، في الحاضر، في المستقبل... وكذلك قوة المشاعر أو ضعفها، والاتجاه نحو الغاية. وإلى جانب هذه القضايا يعرض تومكنز مجالات أربعة لها تأثير بالغ في حياة الفرد، وذلك بقصد تشخيص الشخصية.

٥ ـ **المجالات ـ وهذه المجالات هي:**

١ ـ الأسرة ٢ ـ الحب والجنس والزواج ٣ ـ العلاقات الاجتماعية ٤ ـ العمل[1].

وفي هذه الحالة، ينبغي على السيكولوجي أن يبيّن في تحليله كيف يواجه المفحوص المواقف المختلفة للعلاقات العائلية.. وإلى جانب ذلك يجب الاهتمام كذلك بالعلاقات والرغبات الجنسية لديه. وتحديد إشباع الرغبات الجنسية أو كبتها.

وينبغي على السيكولوجي أن يتعرف على علاقات البطل الاجتماعية،

---

(1) ANZIEU- Le Meth. Proj. OP. cit. P. 149, 150.

واتجاهه نحو الآخرين، وكذلك نزعاته وميوله نحو المجتمع. هذا بالإضافة إلى نظرته للعمل ومدى إقباله عليه.

ودراسة هذه المجالات المختلفة من شأنها أن تكشف للسيكولوجي على أي هذه المجالات تستأثر باهتمام المفحوص، وأين تكمن المشكلة. إن تومكنز لا يلحّ كثيراً على مفهوم التماهي بين المفحوص وشخصية البطل، وإنما على «انتقاء الموقف»، ومقارنة القصص بعضها ببعض. إنه يضع موضع الاعتبار، هذه المجالات الأربعة؛ ويبني لنا كيف نقدّر الاهتمام الذي يعطيه المفحوص لكل من هذه المجالات بالنظر إلى مجموع قصصه. وتتضح الأهمية النسبية لأي مجال عن طريق موضوعات القصص.

فالبطاقة التاسعة BM، مثلاً، تمثل «جماعة من الرجال مستقلين على الأرض وكأنهم نائمون وتغطي رؤوسهم قبعات، ويضع كل منهم رأسه على جسم الآخر، وأمامهم على الحشيش يجلس رجل آخر لا يظهر منه إلاّ ظهره».

تقول إحدى الاستجابات: «هؤلاء الناس جماعة من الكسالى يتبغي أن نحثهم على العمل». بينما تقول استجابة أخرى: «هؤلاء الرجال قد اشتغلوا بجدّ طيلة الصباح، وأنهم يستمتعون الآن بالراحة وقت الغداء، وأنهم سيعودون حالاً لاستئناف عملهم».

وعلى الرغم من أن تأويل هاتين الاستجابتين مختلف تماماً، فكلاهما يلحّ بالأهمية على قيمة العمل - إن طريقة تومكنز تهتم بالحكم الذي يكشف عنه الشخص تجاه الموقف، أكثر مما تهتم بالتجارب الواقعية.

٥ - طريقة شيترن Stern
في تفسير وتحليل الاختبار .T.A.T -

استفاد شيترن من طريقة كل من «تومكنز» و«ليون»، ووضع صورة يسير وفقه تحلليل البطاقات، ويجمع في الوقت نفسه، ناحيتي الشكل والمحتوى.

١ ـ المجـالات التي يدرسـها الاختبـار ـ

١ ـ الأســرة: من المهم معرفة كيف يفسر المفحوص المواقف المختلفة التي فيها علاقات عائلية. هل يضيف صورة الأب، أم يهمل صور الشخصيات رغم وجودها في الصورة.

هل هناك صراع بين الآباء والأبناء، وما مداه، هل يعمد الآباء إلى التأثير على الأبناء... هل الآبـاء غير مبـالين، هل يخضـع الآباء لـلأبناء، هـل ثمة خلافات داخل الأسرة، ما نوعها ومداها...

٢ ـ الحب والجنس والـزواج: إن لتبادل المشاعر أو عدم تبادلها أهميـة كبيرة في هذه المجالات. ولذا ينبغي معـرفة إشبـاع الحاجة للحب: هل فتر الحب، وما هي العوامل التي تهدد قيامه، وكيف يستجيب الرجل، أو المـرأة لهذا التهديد.. هل هذا التصدع يرجع إلى قيام موضوع حب جديد، أم يرجع لأسباب أخرى.. هل يبحث الرجل ـ المرأة خلال هذه الفترة عن موضـوع حب جديد.. وهل تتدخل النزعة العدوانية فتتحول إلى رغبة في موت المحبوب أو رغبة في الانتحار.

كما يجب الاهتمام بالعلاقات والرغبات الجنسية المختلفة، هل يعوق إشباع الرغبات الجنسـية كبت، وما أثره، هل هناك خوف من الجنـس، أو قلق والشعور بالذنب...

٣ ـ العـلاقـات الاجتماعيـة ـ وهـو اتجاه الفـرد نحو الآخـرين، وكذلك نزعاته وميوله العدوانية للمجتمع. فالعدوانية يمكن أن تكون نتيجة عقدة النقص أو الغيرة، أو الرغبة في عدم التعاون. والسلوك الموجّه ضد المجتمع قد يكون موجهاً نحو أفراد أو جماعة أو النظام الاجتماعي.

المهم أن نعرف هل الفرد يتقبل مسؤولية أفعاله الاجتماعية أم أنه يتهرب منها.. هل يثور على السلطة أو يستسلم ويرضخ.. هل يحاول الإصلاح أم يعمل على تحسين موقفه.. هل يحس بالندم على الأحداث أم يعترض عليه من الخارج.. هل يكتشف الناس أفعاله الخاطئة، وهل يوقعون به عقاباً، [illegible]

نـوعه . . . مـا هو الـسلوك المضـاد للمجتمع في القصص، هـل هذه القصص تتصل بالماضي أو تعكس مشروعات المستقبل . . .

٤ ـ المهنـة والعمـل ـ هل للمهنة قيمة إيجابية أم لا . . هل يشعر بالرضا أم بعدم الإطمئنان لما يقوم به من عمل . . هل هو ناجح مقبـل على عمله، أم فاشل كاره له . . .

إن دراسـة هذه المجـالات من شأنهـا أن تمدنـا بـدلالات عن أي هـذه المجالات يحظى باهتمام المفحوص، وأين تكمن المشكلة .

٢ ـ جـدول التحليــل ـ التفســير ـ

١ ـ موضوع القصة ويشمل : ارتباط الصورة بالقصة ـ ارتباط عناصر القصة .

٢ ـ وحفالتفسير الشكلي ويشمل : الاتجاه العقلي ـ الاتجاه الانفعالي .

٣ ـ تفسير المحتوى ويشمل : البطل ـ الموقف ـ الحل .

٤ ـ الملاحظات عن القصة واتجاه المفحوص .

(*) نمـوذج تحليلـي للبطاقـة رقـم ١ [1] ـ

الحـالــة : رجل في الخمسين من عمـره، أعزب، يعيش في ظـروف قاسيـة . قدمت له البطاقة الأولى ـ

البطاقة رقـم (١) : ولـد جالس أمـام طاولـة ورأسه مستنـد إلى ذراعيه، ويـرتكز بمرفقيه على الطاولة، وأمـامه كمـان وقوس يستخـدم في العزف على الكمـان (كمنجة) . وتحت الكمان والقوس نوتة موسيقيـة مفتوحـة . وعين الولـد اليمنى مغلقة تقريباً، أما عينه اليسرى فشبه مفتوحة» .

استجابة المفحوص :

«هذه الكمان قدمها الأب والأم لابنهما وهما يريدان أن يستعملها ويتعلم عليها ويضرب عليها بانتظام، ولكن هذا العمل لا يبسط الولد ولا يدخل السرور

---

(1) غنيم سيد محمد وبرادة هدى عبد الحميد ـ الاختبارات الإسقاطية ـ مرجع سابق ـ انظر: النموذج والجداول ـ ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .

عليه. نعم هما يـريدان منـه أن يبدأ بعـزف قطعـة لموزار، ولكن اللعب على الكمان بيضايق الـولد ولا يـدخل السـرور إلى نفسـه. هـو مثل اللي نـايم على الكمان، ويفكر في طريقة يتخلص بهـا من هذا المـوقف. هو عـاوز يلعب مع زملائه في الحدائق، ولكنه خائف من أبويه ليزعلوا ويقولوا لـه إنه سـوف يشعر بالأسف فيما بعد إذا ضاعت منه هذه الفرصة، وأنهم يعملوا لـه كل حـاجة من أجل أن يشق طريقه في حياته وينجح، وهو لايفهم جيداً كل الحاجات، وإن كل ما يهمه في ذلك الوقت هو أن يستمتع باللعب مع زملائه خارج المنزل. وأخيراً الولد أخذ الكمان وبدأ يعزف عليه ثم وضعه في علبته وراح يلعب في الخارج مع أصدقائه».

(**) - جدول التحليل - (آ)

رقم البطاقة	موضوع القصة	ارتباط الصورة بالقصة	ارتباط عناصر القصة	الاتجاه العقلي	الاتجاه الانفعالي	البطل	الموقف	الخاتمة	ملاحظات
١	الولدان يدفعان الطفل إلى تعلم العزف على الكمان	حسنة، تجدد الموقف ثم تنميه وتوسعه بعد ذلك	حسنة لغة صعبة إلى حد ما، ولكنها غنية والعبارات مركبة	الشخص يقوم ببعض التأملات حول التمرينات البطل يتأمل ويفكر في وسلية للتخلص والهرب. ولا يفهم بعد الهدف الذي يهدف إليه الوالدان من وراء تعليمه العزف على الكمان. له الوالدان يقولان ماذا يفعلان من أجله.	الولد غير راض عن دفعه لتعلم العزف على الكمان أو القيام بالتمرينات الموسيقية. إنه خائف من والديه ومن تأنيبهما له يشعر بالرغبة في الذهاب إلى اللعب مع زملائه هناك شيء من عدم المبالاة تجاه والديه. الرغبة في أن يصبح حراً.	الولد إضافته الوالدين	جالس أمام الكمان يفكر.	يقوم ببعض التمرينات حتى يشعر بالطمأنينة وراحة الضمير. بعد ذلك خرج للعب.	الحل عبارة عن نوع من التوفيق. الوالدان لا يفهمان الطفل جيداً. المفحوص يتماه شخصية الطفل، وأحياناً شخصية الأبوين. وهذه نزعة أخلاقية. الصراع بين الطفل ووالديه.

(**) - جـدول التحليـل (ب) -

الأسـرة	الحب الجنس، والزواج	المهنة والعمل	العلاقات الاجتماعية	مشكلات أخرى
الوالدان يرغبان في أن يتعلم الولد العزف على الكمـان. لكن الولد لا يريـد، ويثـور. إنهم يرغبون في أن يصبح من كبار العازفين	لا شيء.	ليس للولد رغبة أو ميل في تعلم العزف على الكمان.	الرغبة في اللعب مع زملائه.	البحث عن اللذات.

بهذه الصورة يتم تحليل طريقة «شتيرن» للاختبار. وهي تسمح بالكشف عن الجوانب المختلفة لشخصية المفحوص، وعلاقاته بالآخرين، والمشكلات التي تعترضه، والصراعات التي يعاني منها، وما هي الوسـائل التي يستخـدمها لحل مشكلاته وصراعاته. . .

بعـد القيام بعمليـة التحليل، يستـطيع السيكـولوجي أن يسجـل التقريـر النهائي الشامل عن المفحوص، على ضوء ما توصل إليه من نتائج.

٣ - نموذج لحالة من اختبار تفهـم الموضـوع -
للكبـار - .T.A.T - شيترن -

الحالـة[1]: صبي في الثالثة عشرة من عمره، مات أبوه واضطرت الأم أن تعمل

(1) اعتمدنا هذا النموذج من كتاب: سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد برادة - الاختبارات الإسقاطية - مرجع سابق - انظر ص ١٧٠.

لتساعد الأسرة التي تتكون من الصبي وأخت أكبر منه سناً، وأخ وأخت أصغر منه سناً.

* طبّق عليه هذا الاختبار، وكانت استجاباته كما يلي:

الصورة ١ ـ «هذه صورة ولد ينظر للكمنجة. الولد كسر الكمنجة، وهم بالطبع عاوزينه يصلحها ليلعب عليها، لكن الولد عاوز يكسرها. نهائياً.».

الصورة ٢ ـ «هذه صورة سيدة غنية جداً من أصحاب الأراضي. وهي تمر في أراضيها. هذه الست تلاحظ الرجال وهم يشتغلوا دون أن تفعل أي شيء».

الصورة ٣ ـ «هذا الولد تاه من أبويه لأنه لا يسمع الكلام. لقد حذره أن لا يبتعد عنهم. لكنه لم يسمع الكلام ومشى وحده لغاية ماتاه. ثم جلس يبكي أمام هذا المقعد. وكان أبوه وأمه يبحثوا عنه. وفيه رجل طيب كان ماراً، وسأله عن بكائه فأخبره بأنه تائه. فالرجل أخذ يبحث له عن أبويه لغاية ما عثر عليهم، والولد لم يبتعد عنهم مرة ثانية».

الصورة ٤ ـ «هذه صورة زوج، الناس سبّوا زوجته. وهو عاوز ينتقم من الشخص اللي سبّ زوجته. لكن زوجته منعته. وهو استطاع أن يفلت منها، وراح قتل الرجل الثاني. والبوليس مسكه وقبض عليه. لكن هو سيشرح الموضوع للبوليس ولما يتركوه سيعش مطمئن».

الصورة ٥ ـ «ولد صغير كان يعمل دعابه في أمه. تجنى منها وأمه أخذت تدور عليه فترة طويلة لغاية ما مرّ الوقت، ولم يعد لديها وقت تعمل فيه الطعام. والولد كان عارف أن أباه سوف لا يعود إلى البيت في هذه المساء. وأخذت الأم تبحث لغاية ما وجدت الولد، لكن كان الوقت فات ولا يمكنها عمل الأكل. وأمه قالت له ما فيه عشاء وعقاباً له ينام من غير أكل. وبالطبع لا يمكن الولد يعملها مرة ثانية لأنه نام من غير أكل».

الصورة ٦ BM ـ «ابن يتشاجر مع أمه. وأمه تقول له كيف حصل ذلك وكيف هو تزاعل معها. وهي تنظر من الشباك. لكن الشاب يفكر ويقول لنفسه إنه

سوف يتزوج بعد فترة وجيزة، وأنه لا يجوز يزعّل أمه. وأخذ يطيب خاطرها ويصالحها وأخذ يبوسها بحنان».

الصورة ٧ BM ـ «أب يكلم ابنه عن مستقبله، وأنه لا بد أن يعمل ليطعم أولاده. ولازم يشتغل مليح لخاطر زوجته وأولاده. والأبن عمل هكذا وعاش سعيد مع زوجته وأولاده».

الصورة ٨ m ـ «ولد كان أنقذه الرجل اللي عمل العملية. والولد يفكر كيف يمكنه أن ينقذ حياة هذا الرجل، وقال لنفسه لازم نعمل له عملية نقل دم. والولد تبرع بدمه للرجل، والرجل شفي بعد ذلك. ولما كان الولد لا عائلة له أخذه الرجل ليعش معه. وعاش معه سعيداً».

الصورة ٩ BM ـ «هذه جماعة متجولين، وكانوا سكارى. وناموا في الحديثة العامة أو في الحقول. وهم نائمين مرت عصابة لصوص سرقت كل ما كان معهم. ولما استيقظوا وجدوا حاجاتهم راحت، فقالوا لأنفسهم إنهم لن يعودوا بعد ذلك إلى الشرب».

الصورة ١٠ ـ «هذه صورة ابن. أبوه يحبه كثيراً ويعامله بحنان ورفق. وهو في سبيل أن يقبله. الولد يقول لنفسه أن أباه يحبه كثيراً وأن من الواجب أيضاً أن يحب هو أبوه كثيراً. والولد اشتغل وربح نقود كثيرة وكان يعطيها لأبيه وكانوا هما الإثنين عايشين سعداء جداً».

ـ المجموعة الثانية ـ

الصورة ١١ ـ «منظر البحر والمياه عميقة والصيادين وصلوا واستعدوا للقيام بعملية الصيد. لكن السمك لما شاف الصيادين تخبّى في أعماق البحر اللي ما يستطيعوا الوصول إليه. فالصيادين تركوا المكان ولكنهم كانوا متضايقين جداً».

الصورة ١٢ M ـ «هذه صورة رجل يتألم. لكن في القرية فيه رجل يعمل المعجزات ويشفي المرض وأخذوا يبحثوا عنه. فالرجل يعمل أشارات بيديه وشفى المريض اللي كان على وشك الموت. والناس وصفت الرجل اللي شفاه باسم صانع المعجزات أو الطبيب الكبير».

الصورة BG١٢ ـ «منظر الريف. النهر يجري والجداول تصب في النهر، وفيه قارب والمركب لم تكن مربوطة. والناس شافوا شيء يهتز والناس تساءلوا عما يعملوه. وفجأة شافوا واحد صايد تحت المركب. وفي الحال واحد منهم خلع ملابسه ورمى نفسه في الماء وأنقذ الصياد، وأخذ كل الناس يحترموا هذا الرجل».

الصورة B ١٣ ـ «ولد كان في فلسطين وكان يحلم بالقيام بعمل عظيم وأخذ يفكر في القيام بعمل كبير، وأراد أن يعمل حديقة جميلة أو مزرعة كبيرة. فاقتصد النقود وبدأ يشتري الجرارات ويؤجر العمال وبدأ يعمل مزرعة جيدة والناس هناك بدأوا يحترموه».

الصورة ١٤ ـ «رجل ينظر إلى النجوم. ويقول لنفسه لو الواحد يقدر يكتشف ماذا يجري على القمر وفي النجوم. وأخذ يهتم بالعلوم. وراح في مكان واستطاع بمساعدة الآخرين أن يعمل صاروخ وأطلق الصاروخ هو وآخرين إلى القمر، وأخذ معه بعض الأجهزة. ودرس هناك ما يجري على سطح القمر. هذا رجل عظيم».

الصورة ١٥ ـ «هذه مقبرة وفيه واحد يترحم على الناس المدفونين في التراب. وأخذ يفكر ماذا يحدث لو أن الناس الموتى صحيوا مرة ثانية ونهضوا من قبورهم وذهبوا مرة أخرى إلى الأراضي المقدسة لانتزاعها من أيدي اليهود الذين اغتصبوها ظلماً من أيدي أصحابها الأصليين».

الصورة ١٦ ـ بطاقة بيضاء ـ «طفل نائم. واللصوص أتوا وسرقوا الشقة وكان فيه شاب شافهم جايين. ثم تتبعهم ومشى وراءهم حتى يشوف إلى أين ذاهبون. وتلفن للبوليس. ورجال البوليس أتوا في سيارة البوليس ودارت بينهم وبين اللصوص معركة، مات فيها إثنين من اللصوص وقبضوا على الباقين. وقد كوفىء الشاب على ما قام به من خدمة لرجال البوليس، وأصبح معروفاً من يومها. لقد عمل خيراً، والولد كان خائف ولكنه أصبح سعيداً حينما لم يصبح مكروه».

الصورة BM ١٧ ـ «هذا شغل البحارة في البحر. وفيه امرأة تلاحظهم وهي واقفة

فوق الجسر. ما أشق عمل هؤلاء البحارة ـ يجب عليهم أن يفرغوا شحنة المراكب المشحونة فحم. آه لو تكاتف الناس جميعاً وعملوا طرق وجسور كبيرة. وفي هذه الحالة يمكن أن تدخل السيارات لغاية المركب. وفي هذه الحالة يصبح عمل هؤلاء الرجال سهلاً».

الصورة ١٨ BM ـ «هذا مجرم خطير يرهب كل الناس، يسرق ويقتل ـ وفيه شاب صغير عمره ١٨ سنة أقسم أن يقبض على هذا المجرم حياً أو ميتاً، وبدأ يطارده. وكان لهذا المجرم عصابة. البوليس أعطى لهذا الشاب مجموعة من الناس أو فصيلة من الجنود لمساعدته. وفي يوم شاهد الشاب هذا المجرم الخطير يرهب سيدة ويهددها وسرقها، وهرب. ولكن الشاب تتبعه دون أن يراه الرجل، لغاية ما دخل البيت وجلس هو وزملاؤه يعدّ النقود. وفي هذه اللحظة دخل رجال البوليس. وفي الصورة تقدر تشوف الشاب وهو في سبيل القبض على المجرم».

الصورة ١٩ ـ «سفينة في عرض البحر. والأمواج مرتفعة والناس خائفين يغرقوا، وهم يائسين من النجاة ويقولوا إنهم لن يعودوا إلى الأرض أبداً، والحيوانات يائسة أيضاً، وسوف لا تعيش زمناً طويلاً. لقد أطلقوا حمامة برسالة وانتظروا أياماً كاملة عودة الحمام. ورجعت الحمامة وحدها وفي منقارها رسالة. ومكتوب في الرسالة أن الأرض قريبة، وإن عليهم أن يكافحوا للوصول إلى الأرض وفي خلال أيام وصلوا إلى الأرض وصاح الرجال «هذه معجزة، هذه هي الأرض».

الصورة ٢٠ ـ «هذا وكر أحد المجرمين، وكان معطي موعد لرجال عصابته. والبوليس كان يبحث عنهم وفيه عسكري شافهم وعرفهم وقدر يمسكهم. ولما قام يفتش اللصوص وجد أموال كثيرة في جيوبهم. وأتى أحد أفراد العصابة لينقذهم فاقترح على رجل البوليس أن يدخلوا المقهى ويشربوا فنجان قهوة ليهربوا، لكن رجال البوليس لم يمكّنهم من ذلك. واستطاعوا القبض على العصابة كلها. أما العسكري الشاب

الذي قبض على العصابة فقد كافأه رؤساءه. وكل الناس كانوا يحترموه لشجاعته».

٤ ـ تحليـل الحالـة ـ في اختبار T.A.T. .

١ ـ موضـوع القصـــة ـ

١ ـ ارتباط الصورة بالقصـــــة ـ

الرابطة قوية في بعض القصص ومتوسطة في البعض الآخر، وسطحية في بعضها الآخر. والمفحوص يتخذ عادة نقطة البداية الموقف ككل، ثم يبدأ بعد ذلك في تحليله، ثم يشرع في تكوين القصة.

والمفحـوص يغفل بعض المنـاظـر المتمثلة في الصـورة، ويخـطيء في أعمـار الشخصيـات وخصـائصهـا. وهـذا يمكن تفسيـره على أسـاس الانتباه المعيب، وربما أيضاً على أساس الرغبة في إعطاء قصص جديدة ومبدعة. يميل المفحوص إلى المداومة والاستمرار بالنسبة للدوافـع التي يعطيهـا في قصة ثم يكررها في بعض القصص التالية.

٢ ـ ارتبـاط عناصر القصة بعضها ببعض ـ

هذه القصص في مجموعها ذات معنى، وعناصـرها مـرتبطة فيمـا بينها. وعلى العمـوم، تطور القصص طبيعي ومـرتبطة بـالموقف الـذي يثيرهـا. وهي قصيرة عموماً تتناسب وسن المفحوص. كما أن العبارات قصيرة ومختصرة، وإن تضـمنت أكثر من فقرة. وهناك ارتباطـاً واضحاً بين الجمـل، كما أن العبـارات تكشف عن المشاركة الانفعالية للمفحوص.

٢ ـ الاتجـــاه العقلـــي ـ

إن أسلوب المفحـوص في سرد القصص هـو أسلوب الراوي. وهـذا ما يتضح من الملاحـظات التي يقدمهـا عن القصص والشخصيات التي تحتـويها القصة، واتجاه الأبطال والشخصيات الأخرى.

ونلاحظ أن الانعكاسات الشخصية من جانب المفحوص نادرة. ولذلك،

فإن شخصياته، تفكر غالبا ثم تعمل وفق خطة مرسومة.

ولكن في بعض الأحيان، تعمل وفق مشاعرها وعواطفها.

إن منطق الأحداث له أهمية لدى المفحوص. وتركيب القصص تركيب منطقي إلى حدٍ ما.

٣ - الاتجاه الانفعالي -

في المجموعة الأولى، هناك ارتباط وثيق بالوالدين، ولو أنه ممتزج بشيء من التوتر والثورة. فالأم مرتبطة بابنها، تبحث عنه عندما تاه.. والولد يلعب مع أمه ويحاول أن يعمل فيها «مقلباً». وفي قصة أخرى أغضب أمه ولكن سرعان ما صالحها وقام بتقبيلها بحنان. وفي قصة أخرى، اتبع الولد نصائح أبوه بعدما أنّبه بلطف وجعله يفكر في مستقبلة. بالإضافة إلى ذلك، هناك نزعات عدوانية تعبر عن نفسها في تحطيم الكمان، وفي قتل الرجل الذي شتم إمرأة البطل، وعدوان موجه نحو الأم، ونحو السكارى...

أما في المجموعة الثانية، فإننا لا نجد الارتباط بالوالدين إلاّ في القصة ١١ - حيث ترمز الأسماك إلى الأطفال والصياد إلى الأب.

ومع ذلك، ظهرت دوافع أخرى كالتبض على اللصوص والرغبة في خدمة العدالة.

أما النزعة العدوانية فكانت موجهة نحو ضحايا العصابات من ناحية، ونحو العصابة ذاتها من ناحية أخرى.

ويظهر في بعض القصص شيء من الدهاء والمكر، كما يتجلى الخوف في بعض القصص.

إن هناك دوراً هاماً يلعبه الطموح والرغبة في تحقيق شيء ما يقدّره الجميع، ويلقى الفرد من أجله التكريم. وهذا ما نلمسه في كثرة المواقف التي يكرّم فيها الأبطال.

٤ ـ البـطــل ـ

يلاحظ أن المفحوص يختار دائماً أشخاص (أبطاله) من «الشباب»، وأنه يفسر شخصيات قصصه غالبـاً على هذا النحـو. فالشـاب هو الـذي يلعب في معظم قصصه دور البطل. وهذا ما يوحي بأن المفحوص يتماهى شخصية هـذا الشاب الذي يشغل معظم هذه القصص. وإذا كان بعض أبطال قصصه أولاد في مثل سنه، فـإن معظمهم شبـاب. فالمفحـوص، على العموم، كـان يميل إلى التمـاهي مع شخصيـات الأطفال أحيـاناً، والتمـاهي مع شخصيـات الكبار من المراهقين أو الشباب أحياناً أخرى.

ويبدو أن النزعات العدوانية والإجرامية من ناحيـة، والنزعـات الأخلاقيـة التي تحكم وتعـاقب من نـاحيــة أخـرى، تتجســد في هــذين النــوعين من الشخصيات.

٥ ـ المـواقـــف ـ

هناك مواقف متنوعة نسبياً، وإن لم يطورهـا المفحوص بصـورة مفصلة. فالمواقف الإجرامية من أكثر المواقف تواتراً في القصص، وكذلك المواقف التي يكون فيها صراع (صراع المجرمين ضد البوليس، أو ضد البطل).

هناك بعض المواقف تتجلى فيها شجاعـة البطل ومسـاعدتـه للآخـرين، وكرمه مع الغير. ومن المواقف الأخرى أيضاً، التي تتضح فيها العلاقة بين الآباء والأبناء وما يدور بينهم من أحاديث، وكذلك الروابط العاطفية.

٦ ـ الحـلـــول ـ

الحلول التي قدمها المفحـوص للمواقف المختلفـة كانت قليلة التنـوع، ولكنها حلول مقبولة في جملتها.

ففي القصص التي تصل بالمجرمين والعصابات، كان النصر في النهايـة للقانون، وينال المجرمون عقابهم.

أما المواقف التي تظهر فيها النزعة العدوانية، فإنها كانت تصاغ في صورة مقبولة، ولها أسباب تبررها.

وفي بعض القصص، كانت الخاتمة تتمثل في نجاح البطل الـذي يلقى التقدير، من الجميع، على الأعمال البطولية التي قام بها.

وما يخص المواقف العائلية كانت النهاية سعيدة أو موفقة.

(ب)

١ ـ الأســـــرة ـ

تشغل الأسرة جانباً كبيراً من قصص المفحوص، وقد تجلت بوضوح في المجموعة الأولى من القصص. أمـا في المجموعـة الثانيـة فلم يظهـر المجال العـائلي إلاّ في قصة واحـدة ـ ١١ ـ وبصورة رمـزية (الأسمـاك والصياد). وفي الحـالات التي تحتل فيهـا العلاقـات والروابط بين الـوالدين والأطفـال المكان الأول، إلاّ أنها تشير إلى علاقات سطحية وغير عميقة؛ فلم تكن هناك أية إشارة إلى الأخوة أو الأخوات.

والحالة الوحيدة التي ظهر فيها ارتباط حقيقي هي البطاقـة ٣ ـ التي بكى فيها الطفل لأنه افتقد والديه.

٢ ـ الحب والزواج والجنس ـ

يشغل هذا المجال جانباً ضعيفاً ومحدوداً نسبياً من قصص المفحـوص. فلم يكن الدافع الجنسي واضحاً أو ملحاً.. هنـاك ملامـح إلى رغبة الابن في الزواج، والاهتمام بمستقبله ومستقبل زوجته وأولاده. وكـذلك هنـاك إشارة في قصة الرجل الذي ارتكب جريمة القتل انتقاماً لشتيمة زوجته.

٣ ـ العمـل والمهنــة ـ

يشغـل هذا الجـانب جانبـاً هامـاً نسبياً، وقـد ظهر بـوضـوح، في بعض القصص حيث يبين أن من واجب الرجل أن يعمل كي يعين زوجته وأولاده، كما يجب عليه أيضاً أن يعمل على إسعاد والـده. وتحدث المفحـوص كذلـك عن قيمة العمل في مختلف المجالات.

وفي المجـالات المهنية التي أشـار إليها المفحـوص: مجال الـزراعـة،

والصيد، والطب، والملاحة، والعمل في البوليس.

٤ ـ العلاقـات الاجتماعيـــة ـ

ليس للبطل علاقات وثيقة بالآخرين، سوى علاقات الأسرة والزواج. وفي بعض الأحيان يقوم البطل ببعض الأعمال التي تتـطلب التقديـر من المجتمع، أشياء لها قيمة اجتماعية، يهدف من ورائها تقبل المجتمع له. وهذا ما يفتقر إليه المفحوص ويطمح إلى تحقيقه، وخصوصاً على المستوى القومي.

أما السلوك المناهض للمجتمع فيشغل جانباً كبيراً من قصص المفحوص: فهناك العصابات الخارجة عن القانون، ولكن كان يلقي القبض عليهم وتجري محاكمتهم.

وبشكل عام، فـالعالم الخـارجي ليس معاديـاً للبطل، وإن الصـراع بين البطل والبوليس مقبول اجتماعياً. فالمفحوص لا يشعر بأنه مضطهد.

٥ ـ مشـــكلات أخـــرى ـ

لم تظهر مشكلات أخرى في القصص الواردة. هناك إشارات بسيطة إلى التقـدير الاجتمـاعي، والرغبـة في التعـاون مـع الغيـر، وتحقيق بعض نـواحي الطموح.

* ملخـــص عـــام ـ

يمكننا أن نكوّن صورة عن المفحوص في النقاط التالية:

- أن الجـانب العقلي لم يغفل تمـاماً لـدى المفحـوص، وإن كـانت النـاحيـة الانفعالية أكثر رجحاناً عنده. بداية القصة تكون إجمالاً عامة، ثم تأخـذ في تحديد الموقف.
- ويبدو أن الرابطة بالوالدين ضعيفة نسبياً. وهو يحسّها بنفسه حين يصرّ على أن الابن «يجب» أن يحب أباه، و«يجب» ألاّ يؤلم والدته. كما أنه يحسّ بشيء من الطمأنينة حين يكون بالقرب منهما.
- هناك نزعة إلى العدوانية الصريحة، وميل إلى الهدم الذي يعبر عن نفسه في مواقف مختلفة. ويبدو أنه من السهل استثارته، فهو يـوقع العـدوان بكل من

يسيء إليه. كما يظهر لديه الشعور بالذنب وحاجته إلى توقع العقاب بالذات (حرمانه من الأكل).

- كما تتجلى لديه صورة الغرور والحاجة الزائدة إلى النقد، والرغبة في أن يصبح شيئاً له قيمة.. وهذا يكشف على أنه قليل التحدث عما يقوم به بالفعل، ولكنه كثير التحدث عن الآمال والأحلام والرغبات. إنه يريد أن يعمل شيئاً، وأن ينجز شيئاً ما...
- كما يكشف المفحوص عن بعض مشاعر القلق وعدم الشعور بالطمأنينة.

(*) - طريقة شتيرن - لاختبار T.A.T. -

رقم الصورة	الموضوع	ارتباط الصورة بالقصة	ارتباط عناصر القصة	الاتجاه العقلي	الاتجاه الانفعالي	البطل	الموقف	المحتوى	ملاحظات
1	الطفل كسر الكمان	جانب من الموقف هو الذي يكون القصة	جيدة، قصة قصيرة.	الولد يلاحظ وهو يتأمل.	غضب، غريزة الهدم، عدوانية	الولد	أمام الكمان	كسر الكمان كي لا يستخدمها	لا يحب العزف على الكمان. لا بد من كسرها.
2	المرأة الفنية، فلاحة.	شخصية واحدة في الصورة.	جيدة	يتفقد، المرأة لاتريد أن تعمل	حسد المرأة الغنية. المفحوص يثور. عدم العدالة.	المرأة	الريف	الرغبة في العمل	يتفقد البطل، صراع داخلي بين نفسه.
BM3	الأطفال غير مطيعين	تشغل القصة جانباً من الموقف	جيدة	منطق الواقع	غير مطيع، عصيان، حزين الحاجة للمساعدة، الآباء يحنون.	الطفل، ثم الوالدين.	بكاء لافتقاد الوالدين.	العثور على الوالدين.	صراع بين الآباء والأبناء عقاب عن طريق الأحداث.
4	انتقام مسموح به	لا يرى الشخص الثالث، جزء من الموقف	جيدة	حق القيام بالعدالة بنفسه،	كبرياء مجروحة، طموح، عدوان، وحشية، انتقام، جنسية، حسد.	الرجل، المرأة البوليس	المرأة حاولت الاحتفاظ به.	إنه لم يخالف	صراع بين الرجل والمرأة، بين الرجل وخصومه. الشرف.
5	عقاب الطفل من أجل الدهاية	جيدة	جيدة	منطق الوقائع، احتيار غياب الأب	مداعبة، عدوان، مكر، عصيان الخوف من الأب، تقبل العقاب.	الابن، الأم.	الأم تبحث عن الولد.	ليس هناك شيء يأكله	صراع بين الأم والابن، العقاب، الخوف من الأب.
BM6	حديث بين الأم والابن	جيدة	جيدة	الابن يفكر تجاه امه في تصرفاته	نقاش، عدوان، يريد الزواج، يقبل الأم.	الابن والأم.	توضيح النقاش	مصالحة.	صراع بين الأم والابن، ارتباط بالأم
BM7	حديث بين الأب والابن نحو المستقبل	جيدة	جيدة	الابن يفكر، الأب يعطي النصائح	الرغبة في أن يكون له أولاد، العمل لتكوين أسرة سعيدة	الابن والأب.	حديث حول المستقبل	الابن سيكون سعيداً وسيتزوج.	تخطيط للحياة، اتفاق بين الأب والابن
BM8	الشاب ينقذ الشخص لاعترافه بالجميل	متوسطة	جيدة	الولد يفكر، يجب أن يساعد	مساعدة الرجل، مكافأة، الرجل، أصبح سعيداً	الولد والعملية	العملية، تقديم الدم	إنقاذ الرجل الإحساس بالسعادة	نهاية سعيدة، القيام بأعمال الخير
9	عصابة تهاجم السكارى	متوسطة	جيدة	قليل من التأمل	عصابة، عدوان، خمر، عقاب.	العصابة والسكارى	استراحة السكارى	سرقة	صراع اجتماعي
10	الولد يساعد أباه	متوسطة	جيدة	تفكير.	حب الابن لأبيه، اعتراف بالجميل	الابن	عناق	حياة سعيدة	إتفاق، اعتراف بالجميل.
11	السمك والصيادين	رديئة	جيدة	السمك ماكر	الرغبة في الهرب، الاختباء	السمك والصيادين	وصول الصيادين	نتائج قليلة للصياد	الصراع بين الآباء والأبناء
M12	شفاء بمعجزة	جيدة	جيدة	خطة مرسومة	مرض، اعتقاد بالمعجزات، طموح	المعالج، المريض	العلاج	المعالج أصبح مشهوراً	الرغبة في التقدير

12	BM الرجل في خطر من الغرق.	متوسطة	جيدة	تعطي انطباعات وملاحظات	الرجل في خطر الموت، الاكتئاب الغموض، الشجاعة، الاستعداد للمخاطرة	المنقذ، الرجل الغريق	شخص في خطر.	إنقاذ، تلقي التقدير	مداومة واستمرار، الحاجة للتقدير.
B13	الحنين إلى فلسطين	جيدة	جيدة	يفكر فيما يعمله	الطموح، الحاجة إلى التقدير.	الطفل الصغير	القيام بعمل ما	عمل شيء ما.	الكفاح لتحقيق رغبة قومية
14	اكتشاف القمر	متوسطة	جيدة	الاهتمام بالعلوم	الحلم، واندفاع لإنقاذ الأرض	الباحث	ملاحظة النجوم	الاكتشاف	الطموح والرغبة بعمل ما.
15	بعث الموتى	جيدة	جيدة	الرجل يفكر	طموح، الحلم باكتشافات هامة	الرجل والموتى	التفكير بالموتى	الرغبة في الكفاح	طموح ورغبة قومية.
16	مفاجأة العصابة	بطاقة بيضاء	جيدة	عمل مدروس	غموض، دين، صراع، عدوان طموح، مغامرة، عدوان، خوف، عقاب العصابة، الشعور بالذنب.	الشاب، الطفل، البوليس	تتبع العصابة	عقاب العصابة مكافأة.	الطموح والتقدير.
17	BM الحياة القاسية للحارة.	متوسطة	جيدة	تفكير عام	شفقة، ثورة، الرغبة في عمل شيء.	المرأة، العمال.	المرأة تشاهد العمال.	مشروع لتحسين حال العمال	مثال اجتماعي، ثورة اجتماعية.
18	BM الشاب والمجرمون	جيدة	جيدة	يعمل بعد تفكير.	طموح، شعور بالمخاطرة، عدوان شجاعة، تحطيم، الشعور بالذنب.	الشاب، العصابة، البوليس	القبض على العصابة	معاقبة العصابة.	الوقوف إلى جانب النظام الطموح والتقدير.
19	النجاة من البحر	جيدة	جيدة	قصة ملفقة	خوف، اكتئاب، التفكير في الموت، رغبة في الإنقاذ، المعجزة.	الأشخاص في المركب.	خطر الموت.	النجاة	دوافع الاكتئاب الاعتقاد بالمعجزات.
20	مفاجأة العصابة	متوسطة	جيدة	يعمل وفق خطة وبعد تأمل	الإحساس بالمخاطرة، العدالة، الرغبة للقيام بدور، العدوان، الدهاء، الطموح، الشعور بالذنب.	الشاب، العصابة، البوليس.	مفاجأة العصابة في الطريق.	القبض على العصابة	الوقوف إلى جانب العدالة، الطموح، الحاجة للتقدير.

1			لا يجب القيام بالتمرينات		
2			المرأة فنية، أصبحت فلاحة	رجل غريب ساعده في	
3	BM، طفل لا يسمع الكلام، الرغبة في العثور على والديه			العثور على والديه. معاناة الذي أخطأ معه	
4		الزوج والزوجة،			
5	الطفل يعاتب أمه، خوفه من العقاب	الابن يريد الزواج، وهذا ما يحزن الأم			
6	BM ـ نقاش بين الأم وابنها الابن مرتبط بأمه، مصالحته.	رغبة الزواج وتكوين أسرة	العمل لإعالة الأسرة		
7	BM ـ الأب ينصح ابنه				
8	BM.			مساعدة الرجل الذي أنقذه الاعتراف بالجميل عصابة تسحق السكارى	الاعتراف بالجميل
9	BM.				
10	الأب يحب ابنه، الابن يحب أباه ويعطيه النقود.		الابن يعمل، ويكسب كثيراً		
11	الأطفال والآباء، ثورة الصغار		الصيادون	تقدير المصالح	طموح وإعجاب
12	M.		الملاح بمعجزة	مساعدة الغير، إنقاذ الشخص	طموح وإعجاب
12	B.M.		صياد الطفل ينظم عملاً كبيراً ناجحاً	التعاون مع الآخرين	مثال قومي، طموح
B13			اكتشاف علمي ـ الصعود إلى القمر	التعاون مع الآخرين	الطموح
14				الكفاح من أجل الوطن، بعث السرور	الطموح، العظمة
15				عصابة، مجرمون، بوليس	طموح، غرور، تعاون
				مشكلة اجتماعية، عون متبادل	مثال اجتماعي، تعاون
				معاقبة المجرم	طموح
					الكتاب، بؤس،
16					يأس، معجزة للانقاذ
17	BM.		عمل البوليس		الطموح، الغرور
18	BM.		عمل البحارة، يجب تحسين أعمالهم		العمل في سبيل القانون والنظام
19			عمل البوليس.		
20			عمل البوليس	القبض على المجرمين	







٤ - التشخيص النفسي -
لاختبار تفهم الموضوع

يستخدم «اختبار تفهم الموضوع» كأداة هامة في دراسة الشخصية للكشف عن مشاعر الفرد وانفعالاته وعما يدور في داخله من رغبات وحاجات ودوافع مكبوتة، وأنوع الصراعات المختلفة. كما يستخدم كذلك كأداة في تفسير إضطرابات السلوك والكشف عن الأمراض العصابية والذهانية.

ولذلك فهو يستخدم على نطام واسع في ميادين الطب النفسي والعيادات والتشخيص النفسي.

إن اختبار تفهم الموضوع يتطلب من الشخص أن يفكر ويصوغ أفكاره في إطار أو صياغة لغوية. وأن كل حالة عقلية يمكن الكشف عنها من خلال تعبيراتها في عمليات التفكير، على نحو ما يعبر عنها أيضاً في أداء المفحوص وسلوكه.

وتقوم أدلة التشخيص Diagnostic في اختبار تفهم الموضوع على أساس أن المريض يتداعى في حديثه عن مواقف وحالات وجدانية وانفعالية ودوافع متنوعة، دون مراجعة هذه النواحي، ومن ثم فإنه يكشف بسهولة عن كثير من أساليب ونمط تفكيره المميزة له[1].

١ - حالات التقلب الوجداني -

يتضح التقلب الوجداني لدى المرضى الذين يستجيبون انفعالياً بشكل مبالغ فيه للصور (المثير). وهذه المبالغة الوجدانية في الاستجابة قد تأخذ صورة التفسير أو النقد أو التعجب، أو الوصف المشبع انفعالياً، أو الضغط على الجانب الانفعالي أو الوجداني في القصة، أو الإضطرابات الانفعالية، أو الإعاقة نتيجة تداخل الوجدانات المختلفة.

٢ - الإكتئاب -

قد يعبر الإكتئاب عن نفسه في القصص بطرق متعددة. ويتكشف

---

(1) هنا محمود عطية - علم النفس الإكلينيكي - الجزء الأول - التشخيص - دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦ - أنظر فصل: «تفهم الموضوع - ٤٩١- ٤٩٥- ٤٩٦- ٤٩٧».

الإكتئاب عادة في صورة ضيق وتقييد شديد في النشاط الفكري، وهذا ينعكس على إنتاجية المفحوص، في قلة الاستجابات للموضوعات. ومعظم القصص التي تكون من النوع الإكتئابي هي عادة قصصاً محزنة. وقد تحوي القصص أيضاً على بعض الحكايات الخيالية التي تشير إلى بعض الرغبات التي يرغبها المفحوص.

ومن أمثلة حالات الإكتئاب، البطاقة رقم ٣ GF:

«إمرأة شابة تقف محنية الرأس، تغطي وجهها بيدها اليمنى، بينما تمد يدها اليسرى إلى الأمام مستندة إلى باب خشبي».

وكانت الاستجابة: «هذه شابة صغيرة، تقف أمام باب مغلق متروكة لوحدها، لأنها بنت غير مؤدبة. إنها لا تريد أن تقوم بعمل أي شيء، لأنها كسلانة ولا تحب عمل أي شيء. وهي تتسكع في الطرقات من مكان لآخر، ولاتهتم بنفسها.. إنها يائسة، لكن هذه غلطتها. ولا يريد أي إنسان أن يقبلها عنده، إنها ستموت».

وقد يظهر الإكتئاب أيضاً في صورة اتهام الذات وإحساس شديد بالذنب، واليأس، أو في صور الانتحار.

٢ ـ حالات الوساوس والقهر ـ

إن دلالات هذا المرض تظهر من خلال أسلوب الحديث الذي يتميز بالتفاصيل الزائدة غير المباشرة في وصف الصورة. ويكون هذا الأسلوب عادة شاذاً وغريباً. كما يظهر هذا الجمود القهري في عدم تقبل أجزاء الصورة. على حين تتضمن هذه الأدلة، من ناحية الوساوس، التعليل العقلي المبالغ فيه.

وقد يظهر المفحوص، في هذه الحالات، اتجاهات نقدية أو تهكمية نحو البطل.

والقصة التالية تبين لنا التعليل العقلي المبالغ فيه لهذه الحالات:

البطاقة رقم ٥: «إمرأة متوسطة العمر، تطل على غرفة من باب نصف

مفتوح. ويظهر في الغرفة طاولة عليها إناء زهور، وعلى الحائط يوجد رفّ عليه بعض الكتب».

الاستجابة: «أشاهد في هذه الصورة إمرأة تفتح باب الغرفة. ولكنني أتساءل هل تدخل غرفتها أم غرفة شخص آخر غريب. لا يمكن أن تكون غرفتها، لأنها تفتح الباب بحذر؛ لو كانت غرفتها لدخلت إليها مسرعة. وإذا كانت غرفة شخص آخر غريب، فإنها بذلك ترتكب إثماً. ويبدو أنها تعلم ما تفعل لأنها تدخل بهدوء وحذر حتى لا يراها إنسان. وإلى جانب ذلك فإن الغرفة توحي بجو غريب. فإناء الزهور موضوع الى حافة الطاولة والمصباح يبدو مضيئاً، وإن كان الوقت ليس ليلاً. لا أعرف سبب وضع الزهور هناك. ثم هناك كتب ومكتبة صغيرة، وهذا يدل على أن سكان الغرفة من النوع الذي يقرأ. ويبدو أن المرأة عندها الغدة الدرقية، وفي هذه الحالة يبدو أن الغرفة كما لو كانت قاعة انتظار في عيادة أحد الأطباء. لا أظن ذلك لأنه في هذه الحالة لا بد من وجود عدد من الكراسي والجرائد والمجلات. ولكن ليس هذا بالأمر الضروري، ومع ذلك يبدو لي أن هذه الغرفة هي غرفة نوم في بيت».

في هذه القصة تتضح حالات الحصر. فالمفحوص يناقش نفسه مناقشة ذهنية دقيقة. وهو متقلب الرأي، وفي حالة عدم استقرار بين الأفكار التي ترد إلى ذهنه. وهذه تعتبر من سمات حالات الحصر.

٤ - حالات البارانويا

تتضح أدلة البارنويا Paranoïa أو العظام في الموضوعات التي تمتلىء بالشك والتوجس، أو التحريفات الإدراكية التي تشير إلى وجود أفكار هذائية. ومن الأمثلة التي تثير الشك والتوجس، تلك الاستجابة التي وردت في إحدى القصص بالنسبة للبطاقة الخامسة: «هذه تجسس أكثر من اللازم»، أو «هذا منظر يسمح بالقول بأن هناك شيئاً مريباً أو غير مناسب يجري داخل الغرفة».

وإن التحريفات الإدراكية تشير إلى وجود حالة هذاء أو أفكار بارنوية.

ذلك أن الأفكار والعواطف التي تثيرها الصورة تكون من القوة بحيث تؤدي إلى تحريف الحقيقة أو الواقع.

والهذاءات البارانوية تتضح بشكل ظاهر في حالات عدم التعرف أو الإنكار لجنس الأشكال الموجودة في الصورة. ويشير عدم الاعتراف بالجنس أو إنكاره إلى ميل جنسي مثلي كامن أو إلى حالة تماهي أنثوي.

٥ ـ الفصــــام ـ

تظهر الأدلة التي تكشف عن حالات الفصام Schizophrénic في محتوى القصة (موضوعات غريبة وغير مقبولة)، أو في استجابة المفحوص للصور (خلط الأفكار)، أو في تعبيره اللفظي (عدم الإتساق)، أو اتجاهه نحو السيكولوجي أو نحو الموقف الاختياري (المثير).

ومن أمثلة محتوى القصة، بالنسبة للبطاقة رقم ١٠ «إمرأة شابة تستند برأسها إلى كتف رجل، وعيونهما مغلقة». كانت الاستجابة: «هذا يمثل منظراً غرامياً بين شخصين مثلي الجنسية».

وبالنسبة للبطاقة رقم ١٧ BM «رجل عاري الجسم متعلق بحبل». كانت الاستجابة: «تمرين لشاب يريد عبور نهر المانش».

ومن أمثلة التعبير الرمزي، كما في البطاقة رقم ١٧ GF «جسر فوق مجرى ماء، وإمرأة تستند إلى سور الجسر، وتحت الجسر منزل على حافة جدول الماء، وإلى جانب المنزل يوجد مركب ومجموعة من العمال ينقلون أشياء من المركب إلى المنزل. وفي أعلى الصورة بقعة مظلمة مستديرة يخرج منها أشعة».

والاستجابة لهذه البطاقة هي: «هذا الجسر فاصل بين الحياة والموت، والشمس هي الحياة، والماء هو الموت، وهذه الفتاة لم تقرر بعد أيهما تختار. العمال يرمزون إلى العبودية والاستغلال، وقد قامت الفتاة بعمل شاق وهي تعلم أنه إذا لم تجد لنفسها مكاناً تحت الشمس، فسوف تصبح واحدة من هؤلاء العمال أو يكون مصيرها الانتهاء إلى الماء».

كما تكشف قصص الفصاميين عن محتوى هذائي، مثل ما جاء في البطاقة رقم BM ١٨ : «رجل مغلق العينين، تمسك به ثلاث أيادي من الخلف، دون ظهور الأشخاص الممسكين به».

والاستجابة هي: «إنه يهلوس ويبدو ل أن هناك شخصفا يمسكه من الخلف. إنه نزل إلى الشارع، وقوة خفية لفت أصابعها النحيلة حول رقبته وحاولت خنقه، ولقد سقط على الأرض، ووجد نفسه بعد فترة في مركز البوليس. إنه يتصور أن شخصاً قتله هو، عاد إلى الحياة مرة أخرى، وأخذ يقتفي أثره».

إن عدم الإتساق الذي يتجلى سواء في المحتوى أو في التعبير اللغوي، يعتبر دليلاً هاماً على الفصام. كما جاء في البطاقة رقم M ١٢ : «شاب صغير ممدد على كنبة ومغلق العينين، وينحني عليه رجل مسن، وتمتد يده فوق رأس الشاب».

وكانت الاستجابة: «هي عندها مجموعة من الأسلحة، واحدة منها محشوة، وهو أطلق النار عليها من هذه البندقية، لقد كان مغفلاً ثملاً (هل هي مصادفة؟). لا، لقد كان يريد ذلك، والفتاة قد نسي أن تفرغ الطلقة، وهو كان يحبها وقتلها، وهو لايحب مجموعة أسلحتها».

إن عدم الإتساق هذا يرتبط بشكل واضح بما هناك من تناقض في قصص الفصامي. إن تلك الأدلة تكشف عن الإضطراب، في قصص الاختبار، ويتمثل ذلك في المحتوى الغريب الشاذ.

ومن موضحات الإنزواء عن العالم، والبعد عن الآخرين ما يعبّر عنه في البطاقة رقم ١٤ : «الصورة كلها سوداء، فقد هناك شباك مفتوح يدخل من الضوء، وعلى حافة الشباك شخص شاب جالس ينظر ويمسك بيده عارضة الشباك».

الاستجابة: «حارس لقصر مهجور ومظلم، يمضي معظم وقته في التأمل والتفلسف».

ومن الموضوعات الغريبة والغامضة ما تعبر عنه في البطاقة رقم ١٥ : «رجل نحيل الجسم عابس يداه مشتبكتان، يقف وسط المقابر». والاستجابة : «معلم يزور قبور تلاميذه. . .».

٦ ـ الجنسية المثلية ـ

تتميز هذه الحالات بالتهرب من الاستجابة للموضوع الجنسي نتيجة خوف أو كبت للحالة الجنسية، مثال ذلك، للبطاقة رقم ٩ BM «ثلاثة رجال ممددين على الحشيش، وكأنهم نائمون، ويضع كل منهم رأسه على جسد الآخر، وأمامهم ينام رجل آخر لا يظهر إلاّ ظهره».

الاستجابة : «هؤلاء الرجال يستريحون بعد عناء العمل، وبينهم. . .» فالتخوف من التقارب بين أجسام الرجال يشير إلى ميول جنسية مثلية، وقد تؤثر هذه الحالة على توقف المفحوص عن متابعة استجاباته.

٧ ـ الجناح ـ

إن القصص التي يعطيها الجانح كثيراً ما تكشف عن الظروف والعوامل التي أثرت فيه، وجعلته في الوضع المنحرف الذي هو فيه. ولذلك، قد تدور موضوعات المفحوص حول الحرمان وفقدان الحب، أو السرقات، والاختطاف والعدوانية. . . فهي تعكس الظروف النفسية والاجتماعية لحالة الشخص. مثال ذلك، ما تشكفه قصة البطاقة رقم ٣ BM : «ولد يجلس على الأرض ويستند برأسه وذراعه على كنبة، ويوجد بالقرب منه مسدس».

الاستجابة : «هذا الولد في السجن، إنه يؤنب نفسه بشدة. إنه كان ينشل الناس، وقد ارتكب سرقة، وقبض عليه البوليس رغم صغر سنه وأودعوه السجن. إنه يفكر الآن في مصيره، آه لو كنت أعرف لما فعلت ذلك؛ ولكن التفكير يأتي بعد فوات الأوان».

وكذلك ما يعبّر المفحوص عن تمنياته ورغباته، كما في البطاقة رقم ٨ BM : «شاب ينظر بعيداً. وفي الصورة بندقية تظهر فوهتها بوضوح. وخلف البندقية رجل ممدد على نقالة وصدره عارٍ. وهناك رجلان يقفان إلى جانب

الرجل الممدد، ويمسك أحدهما بآلة حادة، كأنه يقوم بعملية جراحية».

الاستجابة: «أب وابن. الأب يبدو أنه يعمل عملية جراحية، والابن يبدو عليه الخوف. ولم تنجح العملية، فمات الأب. وأصبح الابن في هذه الحالة وحيداً وأصبح يتيماً. ولما كان لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فقد نقل لكي يعيش مع عائلة. وهناك تعلّم ودرس، ثم زراه في المنزل شخص وأعجب به وطلب أن يتبناه. ولقد أصبح الولد مسروراً أن يكون له أب بالتبني. وقد شجعه هذا على مواصلة الدراسة. وحصل على الشهادة، ودخل الجامعة، وتخرج محامياً. وكان الذين تبنوه فخورين به كثيراً».

(المفحوص هنا صبي في الخامسة عشرة من عمره. كان يعمل في محل لصناعة الحقائب، وقد اتهم بسرقة حقائب السيدات من المحل الذي يعمل به) وتكشف استجابته في القصة عن الظروف النفسية القاسية التي مرّ بها، والتي انتهت به إلى الإنحراف.

(*) ـ الموضوعـات الشائعـة ـ
في اختبار تفهم الموضوع T.A.T.[1] ـ

البطاقة رقم ١ : «ولد جالس أمام منضدة ورأسه مستند إلى ذراعيه، ويرتكز بمرفقيه على المنضدة؛ وأمامه الكمان والقوس. وتحت الكمان والقوس نوتة موسيقية مفتوحة. وعين الولد اليمنى مغلقة، أما عينه اليسرى فشبه مغلقة».

تمثل هذه الصورة عادة الصراع بين الولد والنماذج الوالدية (السلطة، الإرغام، القهر...)، بينما يرمز الكمان والموسيقى إلى الجنس.

البطاقة رقم ٢ : «منظر ريفي. وفي مقدمة الصورة تظهر فتاة شابة تحمل في يدها كتباً وتنظر إلى البعيد. وسيدة تستند إلى شجرة ترتدي ملابس الفلاحة.

(1) Voir Manuel du T.A.T.- Par Murray- OP. cit. P. 24, 26-

وعن بعد يظهر رجل نصفه العلوي عار، يعمل في الحقول؛ كما يظهر عن بعد حصان، وبيوت قليلة وتلال».

تشير القصة عادة إلى البيئة، والعمل، العلاقات العائلية. وهي تكشف اتجاهات الفرد وطموحاته وعلاقاته بالآخرين.

البطاقة رقم ٣ BM: «ولد يجلس على الأرض، ويستند برأسه إلى ذراعه الممتد على سرير. وعلى الأرض بالقرب منه يوجد مسدس».

تتضمن القصص عادة موضوعات الحزن، أو الشعور بالذنب، أو اليأس، أو فكرة الانتحار. وتكشف الاستجابات عن المواقف المحبطة، والظروف النفسية القاسية. أما تجاهل المسدس في الاستجابة يكشف عن عدوانية كامنة.

البطاقة رقم ٣ GF: «باب مقفل وأمامه شابة تقف محنية الرأس وتغطي وجهها بيدها اليمنى. أما يدها اليسرى فتمتد إلى الأمام وتمسك بحافة الباب».

تتضمن القصص غالباً موضوعات الحزن والتعاسة، أو الانشغال بمشكلات صعبة.

البطاقة رقم ٤: «إمرأة تتعلق بكتفي رجل يدير وجهه عنها. وفي مؤخرة الصورة تظهر صورة معلقة لإمرأة جالسة والساقين متشابكتين وملابسها خفيفة شفافة يمكن رؤية الثديين من خلف الملابس».

تدور معظم القصص حول الصراع بين الرجل والمرأة (التوافق أو سوء التوافق في الحياة الزوجية، العلاقات الجنسية..) وقد تعبر المرأة العارية في الصورة عليها أنها عشيقة، أو رمز لإقامة علاقة جنسية خارج الإطار الزوجي.

البطاقة رقم ٥: «إمرأة متوسطة العمر تبدو أنها فتحت الباب الذي يطل على غرفة في البيت، ويميل جسمها قليلاً إلى الأمام وكأنها تراقب ما يدور في الغرفة. ويوجد داخل الغرفة منضدة وعليها مصباح، وإلى جانبه إناء فيه بعض الزهور، وعلى الحائط رفّ عليه بعض الكتب».

تكشف القصص عن اتجاه الفرد نحو أمه، أو زوجته، أو عن المواقف التي تستثير حب الاستطلاع، ومعرفة المفاجآت.

البطاقة رقم ٦ BM: «إمرأة متقدمة في السن تقف في غرفة إلى جوار النافذة وتنظر من النافذة وعيناها مثبتتان إلى الأمام على شيء بعيد. ويقف خلفها رجل أصغر منها سناً ونظره محوّل إلى الأمام، ويديه ممتدتان إلى أسفل، وتتسم نظرته بالحيرة».

تتضمن القصص عادة حول العلاقة بين الأم والابن، والرغبات المتعارضة، والنزاعات التي تدور داخل البيت.

البطاقة رقم ٦ GF: «إمرأة شابة تجلس في ركن من الكنبة، وتدير رأسها تجاه رجل يقف وراءها إلى اليسار، يدخن «الغليون» ونظره مستقر على المرأة».

تكشف القصص عادة عن المناقشة بين الرجل والمرأة، أو عن المواقف الجنسية الغيرية، أو عن مواقف الشك والريبة.

البطاقة رقم ٧ BM: «رجل متقدم في السن، شعره أبيض ينظر إلى شاب أصغر منه سناً، ويتأمل في شيء بعيد».

تكشف القصص عن المجادلة أو المناقشة تجاه بعض المشكلات. . كما تكشف عن اتجاه الفرد نحو السلطة.

البطاقة رقم ٧ GF: «سيدة متوسطة السن تجلس على كنبة وإلى جانبها فتاة تجلس على حافة الكنبة. وتمسك السيدة في يدها كتاب، تبدو كما لو كانت تقرأ شيئاً للفتاة. والفتاة تمسك في يدها دمية، ويتجه نظرها بعيداً عن السيدة».

تكشف القصص عن العلاقة بين الأم وابنتها، أو تكشف عن الاتجاهات نحو العالم الذات ومشاغله.

البطاقة رقم ٨ BM: «شاب ينظر بعيداً. وفي يسار الصورة بندقية تظهر فوهتها بوضوح. وخلف البندقية رجل ممدد على نقالة وصدره عارٍ. وهناك

رجلان يقفان إلى جانب الرجل ويمسك أحدهما بآلة حادة، كما لو كان يقوم بعملية جراحية، والرجل الآخر يتتبع ذلك».

تكشف القصص عن مشاعر الخوف، والموت.. وعن النزعات العدوانية تجاه الآخرين.

البطاقة رقم GF ٨: «إمرأة متوسطة العمر جالسة على كرسي، وتسند ذقنها بيدها اليمنى؛ وتنظر إلى شيء بعيد».

تتضمن القصص عادة عن التأمل في الحياة، أو التفكير في المشكلات المحيطة، أو التفكير في الوحدة.

البطاقة رقم BM ٩: «ثلاث رجال ممددين على الحشيش وكأنهم نائمون. وتغطي رؤوسهم قبعات، ويضع كل منهم رأسه على جسم الآخر. وأمامهم، على الحشيش، يجلس رجل آخر لا يُرى منه إلاّ ظهره».

تكشف القصص عادة عن القيمة المعنوية للعمل.. أو عن الاسترخاء. كما تكشف عن رغبات جنسية مثلية كامنة.

البطاقة رقم GF ٩: «إمرأة شابة تحمل بيدها اليسرى كتاباً أو دفتراً، وهي تنظر من خلف شجرة إلى إمرأة شابة أخرى في ملابس سهرة، وتجري على شاطيء البحر».

تعكس القصص عادة عن الاتجاهات عند النساء (الطموح، التثقيف، الحفلات والسهرات...)، كما تكشف عن العلاقات الجنسية الغيرية، وكذلك عن المنافسة، والغيرة...

البطاقة رقم ١٠: «شخصين، رجل وإمرأة. يبدو في الصورة رأسيهما فقط. ويسند أحد الشخصين رأسه على الآخر، ويلمس بيده الكتف الآخر. أما عيونهما فمقفلة».

تكشف الموضوعات عن النواحي العاطفية أو الوجدانية.. كما تكشف عن موضوعات الحب، والعلاقات الزوجية.

البطاقة رقم ١١: «منظر خيالي، به صخور وأشجار، وهناك طريق ضيق يشق

الصخور العالية. وفي مؤخرة الصورة صخرة وإلى جانبها حيوان غامض الشكل يمد رأسه. كما يوجد حيوان آخر وعلى مستوى الأرض».

تكشف الاستجابة عن مخاوف الفرد أو قلقه، كما تكشف أيضاً عن مواقفه تجاه هذه المخاوف، والأواليات الدفاعية التي يستخدمها.

البطاقة رقم M: «شاب ممدد على كنبه مغلق العينين. ورجل آخر، أكبر سناً، ينحني عليه ويمد يده فوق رأس النائم».

تكشف الموضوعات عن قوة التأثيرات التي تمارس على الآخرين، أوعن قوة الإيحاء للأفكار.. كما تكشف عن النزعات الجنسية المثلية.

البطاقة رقم F١٢ : «إمرأة متوسطة العمر، يتجه نظرها إلى شيء بعيد، وخلفها سيدة متقدمة في السن تغطي رأسها بشال (إيشارب) وتضع أصابعها على شفتها السفلى، ويبدو شكلها غريب، ويتجه نظرها بعيداً عن المرأة».

تكشف القصص عن الصراع بين الجيلين، أو الصراع بين الذات والضمير.

البطاقة رقم BG١٢ : «منظر أشجار كثيرة عليها أزهار، والأرض مغطاة بالحشيش، ويبدو أن هناك ماء (بحيرة) وقارب صغير».

تكشف الاستجابة عن التأمل والوحدة، وحب الطبيعة.. أو قد تكشف عن اهتمام الفرد بالآخرين إذا أقحم في استجابته بعض الأشخاص.

البطاقة رقمMF١٣ : «سرير عليه إمرأة شابة، صدرها عار، وذراعها الأيمن متدلي إلى جانب السرير (تبدو نائمة أوميتة..). وأمام السرير يقف رجل يغطي وجهه بيده اليمنى ونظره إلى أسفل. وفي زاوية الغرفة منضدة عليها كتابين ومصباح، وخلف المنضدة كرسي، وعلى الحائط صورة».

تتضمن القصص غالباً الموضوعات الجنسية (علاقات جنسية، إغتصاب..).

وتكشف عن الرغبات الجنسية، والنزعات العدوانية، وعن مشاعر

الذنب. أي إنها تكشف عن اتجاهات الفرد نحو الجنس والنساء، وموقفه تجاههم.

البطاقة رقم ١٣ B: «طفل صغير يجلس أمام باب مفتوح لمنزل من الخشب، ويسند مرفقيه إلى ركبتيه، ورأسه مسند إلى راحة اليدين».

تشير القصص إلى موضوعات الوحدة، والحرمان، أو العزلة والإهمال. . كما تشير إلى النزعة الانفعالية لدى الفرد.

البطاقة رقم ١٣ G: «سلالم حلزونية، وفتاة صغيرة تصعد وتمسك بيدها حافة السلم».

تكشف الاستجابات عن مشاعر القلق، والشعور بالوحدة. . .

البطاقة رقم ١٤: «الصورة كلها سوداء مظلمة. فقط هناك شباك مفتوح يدخل منه الضوء، وعلى حافة الشباك شخص شاب جالس ويمسك بيده حافة الشباك، وهو يتأمل».

تكشف الاستجابات عن مشكلات التفكير، والطموح، والتأمل. . .

البطاقة رقم ١٥: «رجل نحيل الجسم، غائر العينين، وذراعاه ممتدتين نحو الأرض، ويداه مضمومتان إحداهما إلى الأخرى؛ يقف وسط مقبرة بها «شواهد وصلبان».

الموضوعات الغالبة هي من النوع الحزين والكئيب، وتمثل المخاوف تجاه الموت والوحشة. . .

البطاقة رقم ١٦: «بطاقة بيضاء».

تكشف الاستجابة لهذه البطاقة البيضاء، عن مشكلات الفرد، رغباته، نزعاته واتجاهاته. . كما تكشف عن قدرة التخيل عنده.

البطاقة رقم ١٧ BM: «رجل عار الجسم متعلق بحبل. .».

تكشف الاستجابة عن النزعات الاستعراضية، والنرجسية،

والمنافسة. . كما تكشف عن مواجهة المشكلات والمواقف المختلفة للفرد.

البطاقة رقم GF ١٧: «جسر فوق مجرى ماء، تقف عليه إمرأة وتسند يديها إلى حافة الجسر. وتحت الجسر منزل على حافة جدول الماء، وإلى جانب المنزل يوجد مركب ومجموعة من الرجال ينقلون أشياء من المركب إلى المنزل، وهناك رجل واقف، كأنه يلاحظ عمل الآخرين. وفي أعلى الصورة بقعة مظلمة يخرج منها أشعة».

تكشف القصص عادة، عن النزعات العدوانية، الانتحار، أو مشكلات تتعلق بالوحدة والمشاغل الكثيرة. . .

البطاقة رقم BM ١٨: «رجل يرتدي معطفاً مفتوحاً، ورسأه متجه نحو اليسار، وعيناه مغلقتين. ومن الخلف تمسك به ثلاثة أيادي، إحداهما على ذراعه اليمنى، والثاني على ذراعه اليسرى، والثالثة على الكتف».

تكشف القصص ع قلق الفرد وخوفه من العدوان، أو من بعض الصراعات الداخلية التي يعاني منها. . .

البطاقة رقم GF ١٨: «سلم يستند إلى حافته شكل شخص (رجل أو إمرأة)، وأمامه سيدة تلف يديها حول رقبة هذا الشخص، وتدفعه نحو السلّم».

تكشف الاستجابات عن النزعة العدوانية، والمخاوف، والقلق. . .

البطاقة رقم ١٩: «صورة غامضة، يمكن أن تمثل كتلة من السحب».

تكشف الاستجابة عن مواجهة الفرد وطريقته في معالجة المواقف المختلفة؛ بالإضافة إلى قدرته على التخيل.

البطاقة رقم ٢٠: «شخص، غير واضح الملامح، يستند إلى عامود عليه مصباح، ويبدو في الصورة ضباب وبعض الأشجار».

تكشف القصص عن مشاغل ومشكلات الفرد، واتجاهاته، ونزعاته الانفعالية أو العدوانية.

(ب) اختبار تفهم الموضوع للأطفال ـ C.A.T. ـ

Tes Aperception pour enfants

١ ـ أبعـاد الاختبـار ـ

اختبار تفهم الموضـوع للأطفـال اختبار أسقـاطي يكشف عن شخصيات الأطفال ممن تقع أعمارهم بين ٣ ـ ١٠ سنوات، وهو لا يلائم البالغين والكبار.

هذا الاختبار من وضع «ليوبولد بلاك، وسونيا سوريل بلاك» عام ١٩٤٨.

ـ قام المؤلفان بتصميم عدد من الصور التي يستجيب لها الطفل بتكوين قصة عن كـل منهـا. وبتحليـل هـذه القصص يمكن الـوقـوف على كثيـر من المشكلات المتعلقة بالطعام خاصة، وبالمشكلات الفمية عامة، والوقوف على كثير من المشكلات النـاجمة عن المنـافسة بين الأخـوة، وإلقـاء الضـوء على اتجاهات الطفل نحو والديـه، وكيفية إدراكـه للأشكـال الوالـدية في الصـورة، ومعرفةعلاقة الطفل بوالديه كزوجين ـ الموقف الأوديبي ـ ومدى قوتها وشدتها في المراحل الأولى، وكذلك خيالات الطفـل حين يرى والـديه في سـرير واحـد، وخيالاته التي تدور حول العدوانية، إما نحو الذات وإما نحو العالم الخارجي، ومدى تقبل الطفل لعالم الكبار ومخاوف الطفل من الوحدة ليلاً، وما يحدث من سلوك الاستمناء الإخراج وموقف الوالدين منها.

ـ ولا شـك في أن هذا كله يلقى الضـوء على تكوين شخصية الـطفـل وآواليانه الدفاعية ودينامية في الاستجابة للمشكلات التي تواجهه في مراحل نموه وأساليب معالجتها.

ـ والاختبـار يعني أسـاسـاً بمحتـوى الاستجـابـة: فهـو يهتم بمـا يـراه المفحوص ويفكر فيه تمييزاً له عن السلوك التعبيري الذي يتعلق بالكيفيـة التي يرى بها الإنسان الأشياء ويفكر فيها والتي تتعلق بناحية الشكل.

ـ ويفيـد الاختبار في الكشف عن دينـامية العـلاقـات بين الأشخـاص، وكيفية مقاومة الإنسان لدوافعه المختلفة. كما يفيد في تحديد العوامل الدينامية التي تتصل بسلوك الطفل داخل الجماعة، وفي المدرسة، وفي البيت.

- كما يفيد في القيام بالدراسة التتبعية لنمو الطفل، حيث يقدم نتائج هامة عن مدى تطور بعض المشكلات النفسية.

ويعتبر الاختبار أداة هامة في يد السيكولوجي، ويمكن استخدامه في العلاج عن طريق اللعب...

٢ - الأسس النظرية للاختبار -

إن موضوعات القصة تدور حول بعض الحيوانات. وقد يجهل الطفل بعض الحيوانات المعروضة أمامه في الصورة، ولكن هذا الجهل بها، لا يبدو أنه يثير مشكلة، ما دام الطفل يمكنه أن يحل محلها الحيوانات المألوفة.

أما الاعتبارات النظرية التي يقوم عليها الاختبار، فحسب نظرية التحليل النفسي، أن من السهل على الطفل أن يتماهى مع الحيوانات. وهذا الإفتراض يقوم على أساس أن علاقات الطفل الوجدانية بالحيوانات أيسر على الفهم من علاقاته بالكائنات الإنسانية، كما أنها تلعب دوراً أساسياً في مخاوف الأطفال، وهي موضوعات يراها الطفل في أحلامه؛ كما تعتبر، على المستوى الشعوري، أصدقاء للطفل.

هذا بالإضافة إلى أن الطفل يعزو مشاعر العدوانية إلى الحيوان، فالطفل يُسقط العدوانية وعواطف الكراهية على (الأسد) من أن يسقطها على صورة الأب. كما أنه يعزو رغباته غير المقبولة إلى الأشكال الحيوانية من أن يعزوها إلى كائنات بشرية.

والاستعمال الشائع للحيوانات - كموضوعات للتماهي - يقوي الاتجاه إلى جعل الحيوانات «مثيرات» ذات قيمة كبيرة بالنسبة للأطفال.

٣ - الفرق بين اختبار .T.A.T و.C.A.T -

لما كان اختبار تفهم الموضوع للأطفال .C.A.T يجري على الأطفال ممن تقع أعمارهم سين ٣ - ١٠ سنوات، فثمة اختلافات جوهرية توجد بين استجابات الأطفال واستجابات الكبار في اختبار .T.A.T. ومن الممكن دراسة

هذه الفروق من ناحية الخصائص الشكلية للغـة، وعمليات التفكيـر، والفروق الدينامية:

- إن قصص اختبار الأطفال تعد عموماً أقصر وأقل تعقيداً. وقـد يصعب في أغلب الأحيان الحصول على قصص ذات موضوع واضح لدى الأطفال بين سن ٣ - ٤. ولكن غالبية الأطفال يمكنهم إعطاء قصص صحيحة لبعض الصور.

- أما من ناحية تركيب القصة، فإنه أضعف عند الطفل منه عند البـالغ. وما هو إضطراب في التفكير عنـد الكبار، نعتبـره عند الـطفل إنعكـاس لعدم الوصول إلى مسـتوى كافٍ من النضـج العقلي. وبناء على ذلـك، ينبغي على السيكولوجي أن يكون على معرفة كبيرة بلغة الطفل وخيالاته...

- قد تكثر الرمزية في قصص الأطفال، وتكون أكثر طلاقة وتحرراً، وهذا يتفق وطبيعة أحلام الأطفال.

- إن قصص اختبار الأطفال قد تعكس الكثير من المشكلات المتغيرة في مرحلة الطفولة: فقد تظهر المراحل النمائية بوضوح، وكذلـك مراحـل التطبيـع الاجتماعي، واستدماج أوامر السلطة، وتكوين الأنا الأعلى؛ وقد يعبر الأطفـال أحيـاناً في قصصهم عن الاتجـاهات الأخـلاقية (ابتـداء من ٦ سنـوات)، حين يصبح استدماج العرف والتقاليد وتكوين الأنا الأعلى بالغ القوة.

٤ - طريقـة إجـراء الاختبـار -

- عند إجراء الاختبار يجب الاهتمام بـالمشكلات العـامة في اختبـارات الأطفال؛ ولذلك يجب إقامة علاقة طيبة مـع الطفـل. فيقدم الاختبـار على أنه مجرد لعبة. أما بالنسبة للأطفال الذين يدركون أنه اختبار، فالأفضل أن نـوضح لهم بأن هذا الاختبار لا يتحدى قدراتهم.

- أمـا من حيث التعليمات فنقـول: «أننا بصـدد القيام بلعبـة وعليك أن تحكي حكاية عن الصورة التي تراها. اذكر ما يحدث وما تفعله الحيوانات التي في الصورة».

ومن الضروري تشجيع الطفل واستثارته، كما أن مقاطعته مسموح بها أحياناً.

بعد أن ينتهي الطفل من ذكر القصص، يقوم السيكولوجي بمراجعتها واستضاح بعض النقاط التي وردت في القصص.

ـ يجب تسجيل جميع الملاحظات وأوجه النشاطات الإضافية التي تتصل بالقصة التي يرويها الطفل.

ـ يجب أن تخفي عن نظر الطفل صور الاختبار، لأن الطفل يميل بطبيعته إلى العبث بالصور، وأن يختار منها عشوائياً.. غير أن صور الاختبار قد رقمت ورتبت بشكل معين، لذا يجب تقديمها للطفل حسب ترتيبها. وإذا كان الطفل من النوع غير المستقر، أو يكشف عن نواحي من القلق والإضطراب، فمن الممكن إعطائه بعض الصور التي تكشف عن هذه المشكلات الخاصة (الصورة الأولى، والرابعة).

ـ يتألف الاختبار من ١٠ صور لحيوانات مختلفة (أليفة، ومفترسة)، وبعض اشياء أو الأغراض الخاصة بغرفة الأطفال[1].

٥ ـ تفسير الاختبار ـ

عند إجراء الاختبار، نتطلب من الطفل المفحوص أن يتفهم موقفاً ما، أي أن يفسر الموقف تفسيراً له معنى. وتفسيره للمثير يكون استجاباته للتعليمات التي توجه للطفل، وهي أن يحكي قصة تتجاوز نطاق المثير الموضوعي وقيمته. والطفل حين يقوم بذلك إنما يفعله على طريقته الخاصة التي لا بد أن تكون وظيفة للقوى (النفسية الموجودة باستمرار والتي تكشف عن نفسها في تلك اللحظة في علاقتها بالمثير.

وتأويل المثير يعتبر عينة مفيدة لتكوين الطفل النفسي أو شخصيته ـ وهذه

---

(1) فهمي مصطفى ـ علم النفس الإكلينكي ـ دار مصر للطباعة ـ ١٩٦٧ ـ اختبار C.A.T. ـ ص ٥٤٣ ـ ٥٥٢.

الشخصية تكون أكثر عرضة للتغيرات في مرحلة الطفولة ـ ومن خلال التفسيرات، يمكننا معرفة القوى الدافعة للطفل من خلال استجاباته التي تعبر عن معنى خاص بالنسبة له.

ويتضمن تفسير الاختبار النقاط التالية:

١ ـ الموضوع الرئيسي ـ

ينصب الاهتمام حول ما يفعله الطفل بهذه الصورة، ومن ثم حول معرفة لماذا أعطى هذه القصة بالذات أو هذا التفسير الخاص. فالتفسير ينصب حول إيجاد عنصر مشترك أو اتجاهات مشتركة في الأنماط السلوكية للفرد؛ أي التحدث عن الاتجاه السائد في القصة أو في عدد من القصص. فقد تحتوي القصة على أكثر من عنصر واحد أو اتجاه.

فمثلاً، أذا كان البطل الرئيسي في عدد من القصص شخص جائع، ويلجأ إلى السرقة من أجل إشباع حاجته إلى الطعام، فمن الممكن في هذه الحالة الاستنتاج بأن الطفل مشغول بالأفكار التي تدور حول عدم الحصول على كفايته ـ من الطعام أو الإشباع ـ وأنه يرغب ـ في الخيال ـ في الحصول عليه من الآخرين.

٢ ـ البطل الرئيسي ـ

إن فرضيتنا الأساسية هي، أن القصة التي يحكيها الطفل تدور في جوهرها حول نفسه. ولذلك ينبغي أن نعيّن الشخصية التي يتماهى الطفل معها ويتوم عن طريقها بدور البطولة.

والبطل هو الشخص الذي تدور حوله القصة أساساً. وهو يشبه المفحوص، ثألى حد بعيد، في الجنس والسن، وفي نظرته إلى الأحداث. وقد تحتوي القصة على أكثر من بطل، وقد يتماهى الطفل شخصياُتهم أو شخصية أحدهم.. وقد يتماهى الطفل شخصية البطل من الجنس الآخر. لذلك، فمن المهم ملاحظة مثل هذا التماهي.

ومن المحتمل أن تكون الميول والرغبات ونواحي النقص والقدرات التي

يبديها البطل تمثل ما يتملكه المفحوص نفسه أو أنه يرغب في تملكه. . ومن المهم أن نلاحظ كفاية البطل وقدرته على التعامل مع الظروف المختلفة التي يوجد فيها بطريقة ملائمة. فدرجة ملاءمة البطل تعتبر مقياس للحكم على قوة الذات، وملاءمة الطفل.

٣ ـ نظرة الطفل للأشخاص ـ

الطريقة التي ينظر بها الطفل إلى الأشخاص من حوله، وكيف يستجيب لهم. وكذلك ما هي الدوافع التي يستجيب الطفل لها نتيجة لضغط معين من البيئة.

٤ ـ التماهي ـ

ينبغي الاهتمام بتماهي الطفل لأفراد الأسرة، سواء أحد الوالدين، أو أحد الأخوة. وما هو الدور الذي يقوم به، من ناحية الملاءمة والكفاية، باعتباره الشخصية التي يتماهى الطفل معها.

٥ ـ الأشخاص، الأشياء، الظروف الخارجية التي تُدخل في القصة ـ

قد تشير القصص إلى دخول أشكال أو موضوعات لم تظهر كلية في الصورة، أو قد تشير إلى وجودها في الصورة. وفي كلا الحالتين، ينبغي أن نشير إلى ذلك، إن إدخال شكل أو موضوع غير موجود في الصورة له مغزى ودلالة خاصة. أما الظروف الخارجية، كالظلم والقسوة، والإهمال، والحرمان والوهم، التي تتضمنها الأشكال والأشخاص التي يقدمها الطفل، فإنها تساعد على معرفة طبيعة العالم الذي يعتقد الطفل أنه يعيش فيه.

٦ ـ الموضوعات والأشكال المحذوفة ـ

إذ أغفل الطفل أو حذف شخصية أو أكثر من الشخصيات التي تحتويها الصورة، فينبغي البحث عن الدلالة الدينامية التي تكمن وراء هذا الفعل. هذه الدلالات تعبّر عن رغبة الطفل في عدم وجود الشيء، أو الشخص، أو الموضوع. . وقد يعني ذلك نزعة عدوانية صريحة، أو أن الشخص أو الموضوع يثير صراعاً في نفس الطفل.

٧ ـ طبيعة القلق ـ

قد يكون الطفل قلقاً فيما يتصل بصحته، أو من إنزال العقاب عليه، أو الخوف من فقدان الحب (عدم التقبل)، أو الهجر (الوحدة). لذلك ينبغي الاهتمام، بمحتوى القصة، من آواليات الطفل الدفاعية ضد هذه المخاوف التي تعترضه. وبالتالي، معرفة الصورة أو الوسيلة التي تأخذها هذه الأواليات الدفاعية: هل هي هروب من الواقع، أو سلبية تجاه المواقف، أو عدوانية، أو رغبة في التملك، أو النبذ، أو النكوص إلى حالة معينة. . .

٨ ـ الصراعات ـ

لا بد من معرفة أهم الصراعات التي تدور في قصة الطفل، وما هي طبيعة هذه الصراعات. . وما هي الوسائل الدفاعية التي يستخدمها الطفل ضد أنواع القلق التي تحدثها هذه الصراعات. . وبذلك نكوّن فكرة عن سير الصعوبات والمشكلات عند الطفل.

٩ ـ العقاب ـ

إذا كان هناك، في القصة، بعض العقوبات على عمل مشين أو سيء أرتكب، فهذا دليل على نمو الذات لدى الطفل، لأنه يعبّر عن الشعور بالذنب.

١٠ ـ النتيجة ـ

لا بد من الاهتمام بالنهاية التي تنتهي إليها القصة، هل هي نهاية سعيدة، أم حزينة. . لأن هذا المتغير يكشف لنا عن طبيعة الحالة الانفعالية لدى الطفل. هل هو من النوع المرح، المتفائل، أم هو من النوع اليائس؟ ونهاية القصة كمقياس لقوة الأنا، ترتبط جيداً بمدى تلاؤم البطل مع نفسه ومع البيئة التي يعيش فيها.

١١ ـ مستوى النضج ـ

من أهم المعلومات التي يمكن استنتاجها من الاختبار هي معرفة حالة نمو الطفل من القصص التي يحكيها ومدى تناسبها مع عمره الزمني والعقلي. وذلك

من أجل معرفة ما إذا كان الطفل يتصرف ما هو متوقع من طفل عادي، أو فوق أو دون مستواه.

ويمكن معرفة مستوى نمو الذات، والأنا الأعلى عند الطفل. فقد تكشف لنا المشاعر الحادة، التي تتولد عن الشعور بالذنب أو التزمت الأخلاقي، عن نمط ناشىء عن الوساوس والقهر، أو عن التقاليد الاجتماعية السائدة، أو نتيجة للخوف من العقاب المتوقع...

(*)صفحة التحليل -

- بطاقة تحليل اختبار تفهم الموضوع للأطفال - C.A.T. -

الاسم . . .　　　السن . . .　　　الجنس . . .　　　القصة رقم . . .

---

١ - الموضوع الرئيسي　　: تفسيري . . أخلاقي . .

٢ - البطل الرئيسي　　: السن . . . الجنس . . . المهنة . . . الميول . . .

السمات . . . القدرات . . . الحاجات . . . صورته

عن ذاته . . . الملاءمة . . .

٣ - الأشخاص . . .　　　يستجاب إليهم . . .

يروا مثل :

أبوي		أنداد		أصغر سناً	
ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى

منجز للعمل　　　معادي

محب للتملك　　　مهذب

عدواني　　　غير جدير بالثقة

استقلالي　　　وخذي

محب للمنافسة　　　زائد النشاط

مسالم　　　سلبي

لجوج　　　معاقب للغير

معتمد على الغير　　　قوي

مكرس نفسه　　　ضعيف

مسيطر　　　نابذ

ميول استعراضية　　　معارض

مخيف　　　مؤيد

ودي　　　إنعزالي

٤ - البطل يتماهى شخصيته :

الأب . . .　　　الأم . . .　　　الأخ . . .　　　شخص آخر . . .

٥ ـ الأشخاص، الأشياء، الظروف التي وردت في القصة ـ

معاقب،	متبع،	خيِّر،	أخوة،	قسوة،
صديق،	مصلح،	مدرس،	أسلحة،	عدة مبالاة،
عدو،	طعام،	مساعد،	ظلم،	حرمان.

٦ ـ الأشياء، الأشخاص غير المتضمنة في الصورة ـ

٧ ـ طبيعة القلق ـ

ألم أو عقاب بدني . . .	مرض أو إصابة . . . عدم موافقة . . .
حرمان . . .	فقدان الحب . . . مظلوم . . .
منبوذ . . .	يائس، مقهور . . .

٨ ـ الصراعات الهامة ـ

بين الذات و	صراعات بين . . .
العدوانية يقابها بـ	حب الإقتناء ويقابله بـ . . .
الرغبات الجنسية ويقابلها بـ . . .	تحقيق الهدف ـ اللذة . . . .

٩ ـ العقـــاب ـ

مناسب . . . قاس جداً . . مقبول . . . مباشر . . . مؤجل . . . لا عقاب . . .

١٠ ـ النتيجـــة ـ

سعيد . . . واقعي . . . شديد الرغبة . . . حزين . . . خيالي . . . شاذ . . .

١١ ـ مستوى النضج ـ   أعلى   يتناسب   أدنى   العمر العقلي

ـ من الناحية الخلقية :

(تكوين الأنا الأعلى)

ـ من الناحية الانفعالية :

ـ من الناحية العقلية :

(**) موضوعات الاختبار الشائعة ونموذج الإجابات ـ
بطاقـات .C.A.T ـ

الصورة رقم ١ ـ بعض «الصيصان» تلتف حول مائدة موضوع عليها إناء كبير من الطعام. وبعيداً في أحد جوانب الصورة توجد دجاجة غير واضحة المعالم.

الاستجابة ـ تدور حول الطعام، وما إذا كان يحصل منه بشكل كاف أم لا، وتدور موضوعات التنافس بين الأخوة حول من يحصل على طعام أكثر، ومن يسلك أفضل. . وقد ينظر إلى الطعام كثواب أو عقاب. . كما تظهر أيضاً المشكلات الفمية، من إشباع أو إحباط. . .

الصورة رقم ٢ ـ دب يجذب حبلاً من أحد طرفيه، بينما يقوم دب آخر ومعه دب صغير يجذب الحبل من الطرف الآخر.

الاستجابة ـ ينبغي ملاحظة تعاون الطفل مع الأب والأم. وقد ينظر إلى الصورة على أنها صراع مصحوب بالخوف من الإعتداء ـ أو تحقيق نزعات الطفل العدوانية أو نزعته إلى الاستقلال. . وقد تمثل الصورة لعبة شد الحبل. . والخوف من العقاب المترتب عل ذلك ـ أو قد يعتبر الحبل رمزاً يتصل بالعادة السرية ـ قطع الحبل يمثل الخوف من الخصاء.

الصورة رقم ٣ ـ أسد يمسك «غليون» وعصا، ويجلس على كرسي، وفي أسفل الصورة يظهر فأر صغير يطل من فتحة.

الاستجابة ـ تمثل هذه الصورة عادة الأب ورموزه (الغليون، العصا) وهي تمثل القوة أو الإعتداء. . ولكن هل هذا الأب قاس أم عطوف؟ وقد ينظر إلى الأب ضعيف الحيلة لا يخشى منه: وهذه وسيلة دفاعية. وقد يتحول الفأر، في أسفل الصورة، إلى الشخصية الأكثر قوة، أو قد يكون خاضعاً لسلطة الأسد. وأحياناً يتماه الطفل مع الأسد والفأر، وهذا يشير إلى الصراع بين الخضوع والإستقلال.

الصورة رقم ٤ ـ «كنجارو» يرتدي قبعة، ويحمل سلة بها زجاجة حليب، وتحمل كنجارو صغير معه بالون. وهناك كنجارو أكبر منه يركب دراجة.

الاستجابة ـ تثير هذه الصورة التنافس بين اخوة، أو قد تثير مشكلة أصل الأطفال، والسمة الهامة هي العلاقة بالأم. وقد يتماه الطفل الأكبر شخصية الطفل الصغير، وهذه رغبة في النكوص للتقرب من الأم، وقد

يأخذ الأصغر شخصية الطفل الأكبر، وهذه رغبة في الاستقلال والسيطرة - وقد توحي السلة موضعات الطعام . . .

الصورة رقم ٥ - غرفة مظلمة في آخرها سرير كبير. وفي مقدمة الغرفة سرير أطفال بداخله دبّين صغيرين.

الاستجابة - اهتمام الطفل بما يحدث لعلاقة الأب والأم (السرير)، وهي تعكس ملاحظات الأطفال واستجاباتهم الانفعالية.

أما الطفلان الصغيران فيثيران موضوعات اللعب وملاحظة للأعضاء الجنسية.

الصورة رقم ٦ - كهف مظلم في آخرهدبّان لونهما قاتم. وفي مقدمة الصورة دب صغير ملقى على الأرض.

الاستجابة - هذه الصورة عادة تثير في ذهن الطفل موضوعات تدور حول الجنسية. وقد تنعكس الغيرة الصريحة في هذا الموقف الأوديبي (الابن، الأم، الأب)، كما تظهر مشكلات العادة السرية. وهي تستخدم مع البطاقة رقم ٥، للكشف عن هذه النواحي.

الصورة رقم ٧ - نمر ذو مخالب وأنياب يقفز على قرد، يقفز بدوره في الهواء.

الاستجابة - تظهر هنا مخاوف الإعتداء، ودرجة القلق، وأسلوب الطفل في مواجهتها. وقد تشير «ذيول الحيوانات» إلى إسقاط مشاعر الخوف من الخصاء.

الصورة رقم ٨ - قردان كبيران يجلسان على كنبة، ويشربان فنجانين من الشاي، وفي المقدمة، يجلس قرد كبير آخر على كرسي صغير ويتكلم مع قرد صغير.

الاستجابة - الدور الذي يضع الطفل نفسه فيه بين أفراد الأسرة، وتفسيره للقرد المسيطر (الموجود في المقدمة) على أنه الأب أو الأم. أما فنجانا الشاي يثيران أحياناً الموضوعات الفمية.

الصورة رقم ٩ - غرفة مظلمة ترى من خلال باب مفتوح لغرفة مضيئة. وفي

الغرفة المظلمة يوجد سرير لطفل يجلس فيه أرنب ينظر من خلال الباب.

الاستجابة - تمثل موضوعات الخوف من الظلام، والخوف من الوحدة أو الهجر.. كما أنها تثير نوعاً من حب الاستطلاع لما يجري في الجوار.

الصورة رقم ١٠ - كلب صغير يجلس على ركبتي كلب كبير. وكلا الشكلين يكشف عن قدر بسيط من الملامح المعبرة. ويجلس الشخصان في صدر الصورة وخلفهما حمام.

الاستجابة - هذه الصورة قد توحي للطفل بقصص عن «الجريمة والعقاب»، التي تكشف عن عادة الإخراج والعادة السرية...

أما النزعات النكوصية فتظهر أكثر في هذه الصورة.

٦ - نموذج تحليلي لاختبار
تفهم الموضوع للصغار - C.A.T.[1] -

الحالة: طفل في الثامنة من عمره، تبدو عليه مظاهر الإضطراب وسوء المعاملة في الأسرة، وتفضيل أخوته الصغار عليه.

ويلجأ الأب، في كثير من الأحيان، إلى توقيع العقاب بالطفل لتأديبه. أما سلوك الطفل في المدرسة، فهو عدواني، يشتم الآخرين ويضربهم ويسرق نقودهم، كثير الضوضاء والشغب داخل الصف. وهو لا يزال يتبول لا إرادياً بالليل وأحياناً بالنهار.

* أعطي الطفل الاختبار، وكانت استجاباته كما يلي:

الصورة رقم ١ - «هي رايحة تأكل الأكل كله، ولا تترك شيئاً للصغار. والصغار بدأت تبكي وهي بدأت تعمل لهم أكل مرة ثانية. وأمه ستعطيه أكل لما يستوي. وهم كلهم تناولوا طعامهم».

(1) سيد محمد غنيم - هدى عبد الحميد برادة - الاختبارات الإسقاطية - مرجع سابق انظر ص ٢٠٢ وما بعد.

(هـذه القصة تـوحي بأن الجـو الذي يعيش فيـه الـطفـل يسـوده الحرمان وعدم الإحساس بالسعادة، كما أنه يشعر بأنه مهمل ومنبوذ).

الصورة رقم ٢ ـ «الـدب الأب يحاول أن يجر الحبـل بعيـداً عن الأم والـدب الصغير. والأب يريد أن يكسب، والدب الصغير يريـد أن يكسب هو الأخر. الأب يشد ولكن مش قادر. وفي النهاية الدب الصغير يستسلم والدب الصغير سيقع والأم ستقع هي الأخرى».

الصورة رقم ٣ ـ «الأسد مستنى الفار لما يخرج من حجره ليأكله ويتغـدى به. وهـو جالس يستريح، الفـار طلع، لكن الأسـد مش عـارف أن الفـار خارج. الأسد حيطارد الفار، والفار حيدخل الحجر. والأسـد حيرجع يصـطدم بـالحـائط ورأسـه ينجـرح» ـ (إبتسـامـة عـريضـة على شفتي الطفل) ـ.

(هذه القصة توضح الصراع بين الأب والابن. والابن هنا يتماهى شخصيـة الفار، والفـار في القصة يميـل إلى العدوان، كمـا أنـه أكثـر خطورة).

الصورة رقم ٤ ـ «يبدو أنه يندفع ويصطدم بالأم. والأب سوف يشعر بالألم، هو حيدوسها. والبالون حينفجر والحليب والأكل ينـدلق ويغرق المكـان، والأم ستقوم وتجري. وتصطدم بالشجرة لأن «البرنيطة» على عينها ولا يمكن أن ترى شيئاً، وتجرح رأسها مرة أخرى».

(الطفل يشعر بالسعادة والارتياح للتخلص من العدوان وانطلاقه، والطريقة التي يحطم بها أوعية الطعام هنا توحي بأن الطعام نفسه مصدر إحباط في كثير من الأحيان).

الصورة رقم ٥ ـ «الأم الدبة نائمة ومتغطية وخـائفة من أن يكـون فيه عفـريت. والدب الصغير يطل برأسه ويبكي. والفئان طلعت تحت السرير قـرب الشبـاك. والعفـريت مـد يـده وخـطف الأم ووضعهـا في «الســطل»، «القمامة» ودخّل رأسها الأول، ثم خطف الدبة الصغيرة وأخـذهم بيته

وأكلهم، وثم نام العفريت شبعان».

(هذه قصة غريبة خيالية بالنسبة للطفل. وربما يكون التماهي هنا مع العفريت).

الصورة رقم ٦ ـ «الدب الصغير ينام في كهف. والأسد حيدخل الكهف ويقضي عليه. الأسد دخل الكهف وأخذ الدب الصغير بعيداً في الغابة وأكله وترك عظامه في الغابة. ثم رجع وأخذ الدب الثاني وراح به الغابة وأكله وترك عظامه هناك أيضاً. وفيه هناك واحد كمان، نايم وسمين. الأب إستيقظ من نومه ووجد أن الدبّين الصغيرين اختفوا وشاف عظامهم بتمشي، وهو قفز فوق العظام (وهم ماتوا) لأنها عظام سامة. والأب والأم قفزوا «العظام». والعظام قربت من الصغير ومات هو الآخر لأن العظام سامة، ثم ماتت العظام هي الأخرى».

(هذه قصة غريبة بالنسبة لمستوى سن الطفل. وفي القصة صور كثيرة من العدوان الموجه نحو الأب والأم والأخوة وأحياناً نحو الذات).

الصورة رقم ٧ ـ «أسد يطارد قرد. والقرد يتسلق الشجرة. والأسد وقعُ الشجرة. القرد قفز إلى الشجرة الثانية، والأسد قفز وراه وضربه بذيله ووقعه وأكله ولم يترك منه سوى عظامه. والأسد راح لأحد البيوت وأكل الناس وأخذ الملابس وقال: «أنا ملك الغابة كلها».

الصورة رقم ٨ ـ «فيه حفلة. الجدة الكبيرة قالت له روح كل وهو مش عايز. لكن الأم قالت سرّ للدب الأب عن الدب الصغير، وهو لا يحبها. وهو بعدما فطر واتغدى واتعشى خرج ليجيب شمع من أجل كعكة عيد الميلاد، فقد كان اليوم هو يوم عيد ميلاده، وراح جاب أعواد الثقاب وولع الشمع وطفاه. ثم قطع الكعكة وأعطى جدته وأمه وأبوه، ثم أكل هو كمان وراح ينام. وجدته راحت تنام هي الأخرى».

(إن إدخال أعواد الثقاب لإنارة الشمع يوحي باحتمال وجود حالة البوال عند الطفل).







(*) ـ تحليـــل الحـــالة .C.A.T ـ

١ ـ تبدو الأم كما لو كانت تحرم أطفالها من الحاجات الأساسية وهي الطعام والحب. ويشعر الطفل بأنه غير سعيد، كما يشعر بالحرمان من حيث علاقته بالأخوة والأخوات. ومن الواضح أن الطفل يتماهى شخصية الصغير المحروم، في الصورة.

٢ ـ الطفل وأمه يتفقان معاً ضد الوالد. المعارضة شديدة بين الأب وابنه وجده، (الأم لا تساعد في النزاع). يشعر المفحوص في النهاية بأنه انهزم (دون الاعتراف أبداً بأن الأب ينتصر، دور الأم في القصة سلبي تماماً).

٣ ـ يشعر المفحوص بالضعف وأنه في خطر، وهو ينسحب بسرعة إلى الأماكن المظلمة ويستخدم الحيل لإيقاع الأذى بالأب بطريق غير مباشر.

٤ ـ في صورة تحطيم الأشياء بما في ذلك الطعام.

٥ ـ الخوف من رغباته العدوانية، ومن العدوان الموجه ضده في الليل. مخاوف من العفريت، تشير إلى الأب. يوحّد بين الأم والنفايات (السطل).

٦ ـ يكرر خوفه وعدوانه. العدوان موجه نحو الأخوة أو الذات. الرغبة في التخلص من الأم والأب، فهو يريد قتلهما، والأخوة يلقون نفس المصير، الموت.

٧ ـ تكرار للعدوان الفمي ـ التماهي للبطل غير واضح.

٨ ـ الجدّة هي الشخص المسيطر؛ أعواد الثقاب تشير إلى البوال.

٩ ـ العدوانية موجهة إلى الأم والأخ الأصغر والأب. وعدوان داخلي شديد. يغفل المثير كلية في استمراره على إعطاء المثيرات النفسية الداخلية للعدوانية.

١٠ـ يرى الأم موقعة للعقاب. مقاومة نكوصية، وخوف من الحمّام.

(**) ـ التقرير السيكولوجي .C.A.T ـ

هذه حالة طفل في غاية الإضطراب على نحو ما يتجلى في قصصه. وتتصل هذه القصص بالحرمان، كما أنها تتسم بالغرابة، والغموض، والخلط. . وهي تدور حول العدوان، والتدمير، والتخريب (خصوصاً في القصة ٤ ـ ٥).

الأب قـرى كشخص عدواني بـاستمرار، والأم تُـرى كمصدر للحـرمـان والعقاب.

والمفحوص يوجّه عدوانيته نحو الأم (خاصة عنـدما يضعهـا في صندوق القمامة ورأسها إلى أسفل). كما يكرر توقيع العقاب عليها.

الأنا الأعلى، عند الطفل، من النوع الحاقـد في عدوانيتـه، إلاّ أنه غيـر متماسك. على الرغم من تفكيره الخيالي (العظام المسمومة التي تقتل الأبوين بمجرد لمسها)، إلاّ أن الطفل يتجاوز حدود ما هو متوقع من الأناس. فالقـدرة على إلحاق الأذى بالغير والتي يعزوها الطفل إلى نفسه هي من النوع المرضي.

هناك احتمال أن يكون الطفل، من النوع الذي يتبول لا إرادياً، وذلك من خلال الرمز (أعواد الثقاب) في القصة ٨ ـ (والماء الجاري) في القصة ١٠.

وعلى ضـوء النقص العـام في تكـوين القصص والافتقـار إلى عـوامـل الضبط، والميل إلى الغرابة، فحتمل أن يصبح هذا الطفل فيما بعد، سيكوباتياً، مع وجود بعض السمات الفصامية أو التي تتصف بالهوس والإكتئاب.

الفصل الرابع -

اختبار بقع الحبر
روشاخ Le test de Rorshach -

١ - التعريـف بالاختبـار -

وصل روشاخ Rorschach إلى كثير من الأفكار والمبادىء والتي من أهمها اكتشاف العلاقة بين الجوانب الشكلية للمدرك (في بقع الحبر) والسمات المتميزة في الشخصية. وكان هذا الاكتشاف يعتبر جريئاً وهاماً ويميز بالإبداع. وقد ضمن روشاخ خلاصة تجاربه وأبحاثه ودراساته في كتابه المعروف «التشخيص النفسي» - اختبار في التشخيص قائم على عملية الإدراك Psychodignostic ١٩٢١ -.

ويعتبر اختبار روشاخ من أدوات التشخيص الأساسية في العيادات النفسية، ووسيلة من وسائل دراسة الشخصية. وقد ظهرت أهمية الاختبار في الكشف عن النواحي المرضية والمعاونة على القيام بعملية التشخيص. وأصبح هو واختبار تفهم الموضوع من أوسع الاختبارات النفسية انتشاراً وأكثرها استخداماً في العيادات النفسية(*).

يتألف الاختبار من عشر صور تتكون كل صورة منها من أشكال متماثلة.

(*) اعتمدنا في هذا الفصل على المراجع الآتية:

M. Loosli- Usteri- «Manuel pratique du test de Rorschach»- Ed. Hermann- Paris- 1976-

برنو كلو بفر وهيلين دافيد سون - «تكنيك الروشاخ» - ترجمة سعد جلال وآخرون - المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة - ١٩٦٥.

وهـذه الصـور تثيـر أكبـر قـدر ممكن من الاستجـابـات المختلفـة لـدى الأشخاص المختلفين.

إن خمسة صور من الاختبار تتكون من درجات مختلفة الظلال، وصورتين من اللونين الأسود والأحمر، وثلاثة تتكون من ألوان متعددة غير الأسود.

البـطاقة الأولى بـاللون الأسود، البـطاقة الثـانية والثـالثة بـاللونين الأسود والأحمـر، البطاقـات الرابعـة والخامسـة والسادسـة والسابعـة باللون الأسـود، البـطاقات الثـامنة والتـاسعة والعـاشرة بـالألوان المختلفـة (الأصفـر، الأزرق، الوردي، القرنفلي أو البرتقالي...).

١ - إجـراء الاختبـار -

يجب إجراء الاختبار في غرفة خاصة حتى لا ينحرج المفحوص من وجود شخص آخـر غير السيكـولوجي، ومن حيث أن يكـون المفحـوص مستـريحاً ي جلسته، ومن حيث العلاقة بين السيكولوجي والمفحوص.

أما من حيث جلسة المفحوص فمن الأفضل أن تكـون وجهاً لـوجه حتى يتمكن السيكولوجي من متابعة ما يطرأ على المفحوص من تغيرات انفعالات. ويجب أن يمسك المفحوص البطاقة بوضع طبيعي من حيث تقدر المسافة، وأن يطبق الاختبار في ضوء النهار للمحافظة على اللون الطبيعي للبطاقة.

ويبـدأ الاختبار عـادة، أن نأخـذ البطاقـة الأولى ونلقي على المفحـوص التعليمات الآتية: «أنظر في البطاقة وقلي لي ماذا ترى فيها أو ماذا تتصور فيها. أنظر في البطاقة بالطريقة التي تريدها، لكن كل ما يهمني هو أن تقول عى كل الذي تراه، وعندما تنتهي تقول إنك انتهيت، حتى أعطيك البطاقة التالية».

ثم نعطي البطاقة الأولى إلى المفحوص في وضعها الطبيعي. ويجب أن نعطيه كـل فرصـة ممكنة لـلاستجابـة. ويسجل السيكـولوجي كـل مـا يقـولـه المفحـوص وسرعـة استجـابتـه، والتغيـر في النغم الـذي يـطرأ على صـوتـه،

وحركاته، ولفتاته، والمواقف التي يتوقف فيها. . . أي أنه يسجل كل ما يلاحظ من تغير على المفحوص.

يكفي أن نقول للمفحوص عن الاختبار بأنه اختبار في التخيل، وأنه من الممكن أن نعطيه معلومات ونتائج عامة، وأن نعرفه أن النتائج الدقيقة لا يمكن الكشف عنها إلاّ بعد عملية تحليل الاختبار.

١ ـ الزمن وتسجيل الاستجابات ـ

يلزم استخدام ساعة لحساب الزمن: أي تسجيل زمن الرجع لكل بطاقة، وهذا يعني الزمن المنقضي من وقت تسلم المفحوص البطاقة إلى أعطاء الاستجابة الأولى التي تقبل التقدير أي الاستجابة ذات المحتوى.

كما يلزم أيضاً تسجيل الزمن الكلي الذي استغرقته الاستجابات في كل بطاقة؛ كما يمكن أيضاً تسجيل الزمن الكلي الذي استغرقه المفحوص في التداعي للاختبار كله. ويستغرق الإجراء للاختبار كاملاً حوالي ٩٠ دقيقة. أما مع الأطفال ومعظم حالات المرض العقلي فقد يستغرق وقتاً أقل، نظراً لقلة عدد الاستجابات التي يعطيها المفحوص.

وقد تحدث وقفات طويلة بين الاستجابات، وهذه يمكن الإشارة إليها بإشارات مثل: + وقدرها حوالي عشر ثواني. أما إذا طالت الوقفات بشكل ملحوظ فيمن الممكن أن نسأل المفحوص، إذا كان هناك حاجات أخرى يريد أن يقولها، فإذا كان ليس من استجابات جديدة، ففي هذه الحالة، نطلب منه أن يضع البطاقة مقلوبة، ثم نقدم له البطاقة التي تليها ـ يجب أن نلتزم بترتيب البطاقات، وألاّ نقدم بطاقة على أخرى.

وقد يتطلب الأمر عند التسجيل بيان موضع البطاقة، وفي هذه الحالة، نضع علامة ∧ التي تشير إلى الوضع الطبيعي للبطاقة، ∨ وتشير إلى وضع البطاقة مقلوب، <> وتشير إلى الوضع الجانبي الذي تأخذه البطاقة أثناء الاستجابة. وقد يدير المفحوص البطاقة عدة دورات متتابعة، وهذه يمكن الإشارة إليها برسم دوائر متداخلة.

٢ ـ الهـدف مـن التحقيـق ـ

يبدأ التحقيق عادة بعد الانتهاء من البطاقة العاشرة، ثم ننتقل منها إلى البطاقة التاسعة، وهكذا حتى ننتهي إلى البطاقة الأولى.

١ ـ توضيح مكان الاختيار: هل استجاب المفحوص إلى الشكل ككل، أم اختار أجزاء من البطاقة واتخذها موضوعاً لاستجابته. وهل هذا الجزء الذي اختاره جزء كبير أم صغير.

٢ ـ توضيح العوامل المحددة لعملية الإدراك: هل هو عامل الشكل أم اللون أم الظلّ أم الحركة أم هذه العوامل مجتمعة.

٣ ـ معرفة محتوى الاستجابة: قد يعطي المفحوص استجابات عامة مثل شخص أو رأس أو رجل.. وفي مثل هذه الحالة يجب معرفة ما إذا كان الشخص رجل أو إمرأة، وهل الرأس أو الرجل لإنسان أم لحيوان.

وعند التحقيق قد ترد استجابات إضافية، وهي على أنواع ثلاثة:

١ ـ إما أنها مدركات ظهرت خلال عملية إجراء الاختبار وفشل المفحوص في نقلها إلى السيكولوجي.

٢ ـ أو مدركات جديدة أنتجها المفحوص أثناء التحقيق ـ وهنا ينبغي أن نميّزها عن الاستجابات الأصيلة التي وردت في الإجراء.

٣ ـ مادة توضح الاستجابات الأصلية والتي يرى السيكولوجي أن من الصعب تفسيرها إلّا بالحصول على إيضاح من المفحوص. فقد يعطي المفحوص في بعض الأحيان استجابات مختصرة للغاية مثل (رجال)، وهنا يلزم أن نعرف هل هم في حالة حركة أم في حالة سكون، وإذا كان هناك حركة فهل العلاقة بينهم علاقة ودّ وصداقة أم علاقة عداء وهجوم.

إن الغرض من التحقيق هو توضيح الاستجابات التي وردت في التداعي الحر للمفحوص.

٢ ـ التقـديـر ـ

التقدير هو ترجمة الاستجابات التي نحصل عليها من المفحوص في رموز

ووضع ما يقوله في صورة مختصرة. والتقدير نظام من نظم تصنيف الاستجابات في مجموعات أو وضعها على مستويات مختلفة. والنظام المثالي للتقدير هو الذي يشتمل على جميع العناصر والمكوّنات التي نحتاج إليها في عملية تحليل الشخصية؛ ويكون من البساطة بحيث يمكننا من القيام باستنتاجات عن دلالة نظام التقدير كله.

ويرمز روشاخ لكل نمط من أنماط الاستجابة برمز خاص. ومعظم هذه الرموز تمثل الحرف الأولى من الكلمة التي تصف نمط الاستجابة والتي تمثل مكوناً من مكونات الاختبار؛ والمكون هو الجانب الخاص للاستجابة. ولكل مكون معنى يحدد السمة أو السمات النفسية الخاصة. ولا يظهر أي مكوّن بمفرده بل يوجد مع مجموعة من المكونات الأخرى.

فالاستجابة الحركية مثلاً يجب أن تكون في نفس الوقت استجابة كلية أو جزئية، كما يجب أن يكون لها محتوى.

والمكونات التي يتألف منها اختبار روشاخ تختلف فيما بينها من حيث قوتها الدافعة وسمات الشخصية التي تكشف عنها. فالاستجابات الحركية الإنسانية مثلاً تكشف عن سمات أعمق أثراً في سلوك الفرد من تلك التي تكشف عنها مكونات الشكل. ودلالة الاستجابة الكلية أكثر أهمية من دلالة الأجزاء الدقيقة. وعلى ذلك، فإذا كانت هناك استجابة مركب أي يدخل في تحديدها أكثر من مكون، فيجب أن نعطي الأهمية لأكثر هذه المكونات قيمة ودلالة.

والقاعدة العامة التي نسير عليها هي أن كل مدرك ذكره المفحوص في عملية التداعي الحر يعتبر هو المادة الأساسية التي يسير عليها التقدير بصرف النظر عما ينكره الفرد في استجابة أعطاها أثناء الاختبار. لأن هذا الإنكار يعبر عن استجابات ذات دلالة إنفعالية كبيرة بالنسبة للمفحوص.

وقد نظر روشاخ إلى الاستجابة من نواحي أربعة:

١ ـ التحليل المكاني Location ذلك أن الاستجابة التي يعطيها المفحوص إما أن تشمل البطاقة كلها أو جزءاً منها. وهذا الجزء إما أن يكون جزءاً كبيراً

عادياً، أو أن يكون جزءاً صغيراً دقيقاً. وقد تحتوي الاستجابة كذلك، سواء كانت كلية أو جزئية، على مسافات بيضاء داخل البقعة التي استجاب إليها الفرد.

٢ ـ العوامل المحددة للاستجابة Déterminant وهذه تشير إلى العوامل التي تدخلت في تحديد الاستجابة: هل هو عامل الشكل، أم الحركة، أم اللون، أم مجموعة عوامل مجتمعة مع بعضها.

٣ ـ المحتوى Contenu هل مضمون الاستجابة شكل إنساني، أم حيوانات، أم جمادات، أم استجابات تشريحية أم مناظر طبيعية.

٤ ـ الاستجابة المألوفة أو الفريد Général و Unique ذلك أن مضمون الاستجابة قد يتفق مع ما هو شائع ومألوف عند معظم الناس، أو قد يكون محتوى الاستجابة أصيلاً وفيه إبداع.

سوف نتعرض بشيء من التفصيل لهذه النواحي الأربعة لنتعرف على عملية التقدير لتلك الأبعاد، وكيفية تحديد اتجاه الاستجابات للمدركات المختلفة من قبل الفرد المفحوص.

أولاً ـ التحديد المكاني ـ

قد يقع اختيار الفرد على البطاقة كلها، وفي هذه الحالة يرمز إلى الاستجابة من ناحية التحديد المكاني (W) أو (G).

أو قد يقع الاختيار على جزء كبير، ويرمز إليه (D) ـ أو قد يقع الاختيار على أجزاء صغيرة دقيقة ويرمز إليه (Dd) ـ أو قد ينظر الفرد إلى الأرضية، باعتبارها شكلاً، وفي هذه لحالة يرمز إليه (S)، أو (Dbl) أو أن يدخل المسافات البيضاء ضمن استجابات الكلية أو الجزئية، وفي هذه الحال يكون لدينا استجابات كلية يتخللها مسافات بيضاء، ويرمز إليها (Ws) ـ أو استجابات جزئية عادية يتخللها مسافات بيضاء (Ds) ـ أو استجابات جزئية دقيقة يتخللها مسافات بيضاء Dds (Dd Dbl).

١ ـ الاستجابة الكلية W، G ـ

تقدر الاستجابة على أنها استجابة كلية إذا كانت تشمل البطاقة كلها، ونعني بالبطاقة كلها «الشكل الذي هو على أرضية البطاقة. وهناك نوع آخر من الكليات: وجوهر الاستجابة هنا هو أن جزءاً من البطاقة هو الذي أثار الاستجابة وأوحى بها. فيفسر المفحوص البطاقة كلها على أساس رؤيته لهذا الجزء. فإن كان الجزء الذي أثار عملية الإدراك جزءاً كبيراً، قدرت الاستجابة على أنها (جزئية كلية DG) ـ البطاقة الأولى، مثلاً طائر ـ أما إذا كان الجزء الذي أثار عملية الإدراك جزءاً صغيراً دقيقاً، قدرت الاستجابة على أنا (جزئية صغيرة كلية Dd) ـ البطاقة السادسة، مثلاً قطة.

ولما كانت الاستجابة قد بنيت على أساس جزء بسيط من الشكل، وقد أغفل المفحوص بقية الأجزاء الأخرى، لذلك فإن الاستجابات DG أو Dd تكون عادة استجابات ذات شكل غير جيد.

وقد تتضمن الاستجابة الكلية الإشارة إلى المساحات البيضاء (الفراغ)، وفي هذه الحالة تقدر الاستجابة بأنها (كلية) ـ G Ddl.

١ ـ الاستجابة الجزئية الكبيرة D ـ

والجزء الكبير هو القطعة الكبيرة من البطاقة، وهي تسمى أجزاء عادية. وهي تلك الأجزاء التي يكون تكوينها مستقلاً إما بسبب شكلها أو بسبب توزيعها المكاني. إنها الأجزاء التي بسبب موقعها من الشكل تكون أكثر لفتاً للنظر، كما أنها أكثر تواتراً.

٢ ـ الاستجابة الجزئية الصغيرة Dd ـ

إن الأجزاء الدقيقة هي التي ينصرف إليها الانتباه كثيراً، كما لا يتواتر حدوثها بكثرة. فهي في أغلب الأحيان أجزاءٌ صغيرة الحجم، مثال ذلك: الإمتدادات الطويلة ترى على أنها شوارب ـ البطاقة ٦.

وهناك نوع من الاستجابات الدقيقة النادرة الحدوث نسبياً ويرمز إليها D^{o}، وفي هذه الحالة يرى المفحوص جزءاً فقط من الشكل، فمثلاً تفسر البطاقة ٣ ـ

على أنها رأس إنسان، بينما يرى الشخص العادي الشكل على أنه إنسان كامل وليس على أنه رأس. وهذه الاستجابات تظهر في حالات الكفّ العقلي الذي يحول بين الفرد ورؤية الشكل بأكمله، والذي كان من الممكن له أن يراه كذلك، لو لم تكن لديه هذه الحالة من الكفّ. إذن هذا النوع من الاستجابات يشير إلى حالة القلق.

٣ ـ الاستجابة للمسافات البيضاء ـ الفراغ S ـ Ddl ـ

قد يستجيب الفرد للأجزاء البيضاء في البطاقة. وقد ينظر إلى هذه المسافات البيضاء على أنها أجزاء كبيرة عادية، وهي تنحصر في ثلاثة أنواع فقط: D. Ddl، في البطاقة ٢ D. Ddl، في البطاقة ٧ ـ D. Dds، في البطاقة ٩.

ويمكن أن تكون الاستجابات التي تدخل فيها المسافات البيضاء: إما أن يستجيب الفرد فقط لإحدى المسافات البيضاء الكبيرة ويعطيها مدركات معينة، أو يستجيب إلى المسافات البيضاء الصغيرة، أو يستجيب إلى منطقة كبيرة تتخللها أجزاء كبيرة أو صغيرة، وتقدر أو أن يختار الفرد قطعة صغيرة ويراها كوحدة ويتصور وجود مساحة بيضاء صغيرة فيها.

٢ ـ أسلوب المعالجة ـ

ويندرج تحت التحديد المكاني عوامل ثلاثة هي: منوال الإدراك، عامل التتابع، وعامل التنظيم.

١ ـ منوال الإدراك ـ ويقصد به الأسلوب الذي اتخذه المفحوص في النظر إلى البطاقة: هل كان اهتمامه موجهاً أكثر إلى الاستجابات الجزئية، هل هي الأجزاء الدقيقة أم الأجزاء الكبيرة.

ويمكن أن نعرف أسلوب المعالجة عن طريق دراسة نسب الاستجابات الكلية إلى الأجزاء الكبيرة إلى الأجزاء الدقيقة. ومعرفة النسب المتوقعة من كل منها ومدى إنحراف الشخص عنها، لها أهمية كبيرة في التفسير والحكم على نوع ذكاء الفرد.

والنسب المتوقعة العادية عند روشاخ ـ على افتراض أن عدد استجابات الشخص العادي يكون في المتوسط ٣٤ استجابة هي : ٨ استجابات كلية ، و٢٣ استجابة جزئية كبيرة عادية ، و٣ جزئيات دقيقة .

وقد أدخل «بيك» تعديلاً على هذه النسب المنتظرة من الشخص العادي ، فكان توزيع عدد الاستجابات التي قدرها ٣٢ استجابة على النحو التالي : G٦ ، D٢٣ ، Dd٣ .

وعلى هذا الأساس إذا أعطي أحد الأشخاص ٣٠ استجابة وكان توزيعها كالتالي : G٦ ، D٢٠ ، Dd٤ ، فإن طريقة المعالجة عنده تعتبر عادية .

أما إذا كان التوزيع على النحو التالي : G٨ ، D١٦ ، D٦ ، فإن طريقة المعالجة عنده تشير إلى المبالغة في النظر إلى الكليات وإلى الأجزاء الدقيقة ، على حين يغفل إلى حد ما الجزئيات العادية .

وقد نقابل توزيعاً من النوع التالي : G١٠ ، D١٠ ، Dd١٠ . وهذا يدل على سوء توزيع اهتمامات الفرد بشكل واضح ، مع إهمال أو إغفال للجزئيات الكبيرة الواضحة .

وقد يحدث أحياناً مبالغة كبيرة في إعطاء الاستجابات الجزئية الكبيرة أو الاستجابات الدقيقة لدرجة تغفل معها بقية النواحي الأخرى . وفي هذه الحالة يكون لدينا نمطاً جزئياً خالصاً . كما قد يبالغ الشخص في نظرته إلى الاستجابات الكلية وذلك على حساب الأجزاء الدقيقة ؛ وعلى ذلك يكون نمط الإدراك عنده من النوع الكلي .

٢ ـ التتابع أو الترتيب ـ وهو يدل على النظام الذي سار عليه الفرد في إعطاء الاستجابات بالنسبة للبطاقات العشر .

ويقسم «بيك» التتابع إلى :

١ ـ التتابع المنهجي الذي يتخذ أسلوباً ثابتاً في النظر لا يتغير ، ويتجلى فيه الجمود إلى حد بعيد . فينتقل الفرد من الكليات إلى الجزئيات الدقيقة . .

ويسير الفرد على هذا النمط من التتابع في البطاقات كلها أو معظمها ـ وهذا دليل على الجمود العقلي.

٢ ـ التتابع المضطرب والخلط، وفي هذا النوع من التتابع يكون من العسير علينا التنبؤ بترتيب معين. هل سيبدأ الفرد باستجابات كلية، أم جزئية كبيرة أم دقيقة ـ وهذا النوع من الترتيب المضطرب يتضح عادة في تفكير حالات المرضى بالفصام.

٣ ـ التتابع غير المنتظم، أي التتابع غير الجامد وغير المضطرب في الوقت نفسه. وغالباً ما يكون ترتيب الأسوياء من هذا النوع.

وقد قدم «مونز» صورة كمية يمكن بها تقدير نوع التتابع:

- لو اتبع الفرد أسلوباً محدداً في ٣ بطاقات أو ٤، سمي التتابع عنده من النوع المتفكك.
- اتخاذ أسلوب محدد في عدد من البطاقات بين ٥ ـ ٧، سمي التتابع من النوع المنتظم.
- اتخاذ أسلوب محدد في عدد من البطاقات بين ٨ ـ ٩، سمي التتابع من النوع المنهجي.
- اتخاذ أسلوب محدد في البطاقات العشر، سمي التتابع من النوع الجامد.
- أما إذا لم يمكن التعرف على نوع من التتابع، سمي التتابع في هذه الحالة من النوع المضطرب.

ويرى «مونز» أن أكثر الأنواع شيوعاً عند العاديين هو النوع المنتظم. إن التتابع يساعدنا على معرفة منوال الإدراك ونواحي الاهتمام لدى الفرد.

٣ ـ التنظيم Z ـ ومعناه قيام الفرد بنشاط تنظيمي تجمع فيه الوحدات الصغرى في وحدات أكبر منها. وبعض هذه الوحدات الكبرى يكون كليات، أما معظمها فهي أجزاء كبيرة.

وقد وجد «بيك» أربعة أنواع من النشاط التنظيمي الذي يقوم به الفرد:

أ ـ الكليات. ب ـ الأجزاء المتقاربة التي تُرى متصلة الواحدة بالأخرى.

جـ ـ الأجزاء اللمتباعدة والتي يُرى فيما بينها شيء من التنظيم. د ـ المسافات البيضاء التي تنتظم مع أجزاء أخرى في البطاقة.

«إن عدد الكليات هـو دليل على قدرة الفرد على القيام بعملية التنظيم»؛ وفكرة التنظيم لا تقتصر على الكليات فحسب، بل ربما شملت أيضاً الجزئيات، على نحو ما يتضح في البطاقة ٣ التي تظهر فيها الرجلان في حالة حركة وعلاقة تنظيمية دون أن تشتمل الاستجابة على جميع عناصر البطاقة.

في علاقة أحدهما بالآخر، وإذا كان المعنى المدرك من هذا الارتباط أو من أي جزء من الأجزاء المكونة له، ناتجاً فقط عن طريق هذا التنظيم.

كمايوجد النشاط التنظيمي في الاستجابات التي يحددها ـ على الأقل في جزء منها ـ عامل الشكل.

ويعتقد «بيك» أن الدرجة الكبيـرة التي يحصل عليها الفرد من التنـظيم تعتبر ذات قيمة كبيرة في تقدير عامل المستوى العقلي أو الذكاء.

G: خفاش، طائر، حشرة. أجزاء متقاربة: رجلين ماسكين دب. أجزاء متباعدة: جزر وسواحل غير منتظمة. مساحات بيضاء وأجزاء جامدة من الشكل: مثل الخريطة: وذلك على اعتبار أن الأجزاء الدقيقة التي تقع أسفل الجزء الكبير هي الميناء، وأن الجزء الأسود الملاصق هو «أرض الخريطة».

ـ هذا نموذج من استجابات البطاقة رقم ١ ـ

ثانياً ـ العـوامـل المحـــددة Les Déterminants ـ

المحددات هي البعد الثاني والذي على أساسه يتم تقدير الاستجابات.

وهي تعتبر من أهم الأبعاد الأربعة جميعها؛ وهذه العوامل المحددة هي: الشكل، اللون، الظلال، والحركة، أو أية مجموعة من هذه العوامل مجتمعة. وهي ذات قيمة بالغة في تحديد سمات شخصية الفرد، وعن طريق تلك المحددات يمكن التغلغل في أعماق شخصية الفرد.

١ ـ الشــــكل F ـ

عندما نقول إن الشكل هو العامل المحدد للاستجابة، فإننا نعني بذلك أن شكل البطاقة هو المثير الأول للاستجابة المعينة.

لقد ميز روشاخ بين نوعين من الشكل: الشكل الجيد (+F)، والشكل غير الجيد (−F).

ويمكن القول، لتحديد الشكل الجيد من الرديء، بأن الاستجابة التي يتوافر ظهورها عند عدد كبير من العاديين يمكن أن تعتبر شكلاً جيداً.

إذا كانت الاستجابة ذات شكل محدد تحديداً واضحاً تعتبر ذات شكل جيد؛ أما الاستجابة ذات الشكل غير المعقول والتي تبعد كثيراً عن واقع البطاقة فإنها تعتبر شكلاً رديئاً.

أما نسبة الشكل الجيد هي التي تعطينا فكرة عن درجة التحكم الشعوري للفرد في عملياته العقلية، كما تكشف عن نوع تفكيره ودرجة إحساسه بالواقع.

٢ ـ الحركــة M Mouvements ـ

تعتبر الاستجابات الحركية من أهم المكونات الإدراكية، نظراً لأهمية هذه الاستجابات في فهم الدوافع المحددة لسلوك الفرد شعورياً ولا شعورياً، وكذلك الطرق المفضلة في معالجة العلاقات الإنسانية المتبادلة. فالاستجابة الحركية تعكس، في نظر روشاخ كل ما هو إنساني.

ويعرف روشاخ الاستجابات الحركية بأنها استجابات يحددها الشكل والإضافة الحركية. فالفرد لا بد أن يتصور الشيء في حالة حركة. وقد أعطى روشاخ اهتماماً كبيراً لناحية معينة وهي أن الحركة في المدرك لا بد أن تُحس باعتبارها تغيراً في التوتر العضلي. فالحركة التي نحسها ـ وليست الحركة التي نستدل عليها عقلياً أو التي نستنتجها عن طريق التداعي ـ هي التي تحول الاستجابة من استجابة يحددها عامل الشكل إلى استجابة حركية.

وعند تقدير الاستجابات الحركية، يرى روشاخ: تعتبر الاستجابة محددة تحديداً حركياً إذا كانت الأشكال المرئية في البطاقة كائنات إنسانية أو حيوانية

تقدر على الحركة حركة شبيهة بحركة الإنسان كالقردة والدببة. ولذلك يجب عدم الخلط بين الاستجابات الحركية الحقيقية والاستجابات الحركية الخادعة التي لا يحددها في الواقع سوى عامل الشكل: لأن الحركة التي يحددها عامل الشكل ليست إلّا من خلال الاستدلال العقلي أو من خلال التداعي.

فليست كل حركة يصفها المفحوص دليلاً على أن الاستجابة محددة تحديداً حركياً مثل: «بطة نازلة في المياه»، «طائر يطير» «بركان ثائر».

وقد قسم روشاخ الاستجابات الحركية الحقيقية إلى أوّلية وثانوية.

والفرق بينهما يرجع إلى السرعة التي يمتزج بها «الشكل مع الصورة الحركية». فإن كانت السرعة التي يتم بها المزج قوية للغاية بحيث يدرك الشكل والحركة معاً، فإن الاستجابة الحركية تعد في هذه الحالة استجابة أولية. أما إن ظهرت الحركة بعد تفهم شكل الاستجابة بفترة فإن الحركة تكون في هذه الحالة ثانوية. وقد فسر روشاخ الفرق بين النوع الأولي والثانوي على أساس بطء عملية التداعي.

وطبيعي فكلما كانت الاستجابة تلقائية كانت أصدق في الكشف عن سمات شخصية الفرد، أما إن كانت نتيجة جهد شعوري من جانب المفحوص، فإنها لا تكون في هذه الحالة استجابة حركية حقيقية.

وقد ميّز روشاخ بين نوعين من الاستجابات الحركية:

فالحركة التي فيها امتداد واتساع تختلف عن الحركة التي فيها إنحناء وخنوع وإستكانة. فالنوع الأول، مثل: «شخص يرفع شيء إلى أعلى»، يشير إلى القوة والسيطرة والاستمتاع بالحياة والنشاط. والنوع الثاني، مثل: «شخص يركع على ركبتيه»، يشير إلى السلبية والاستكانة واليأس والإعياء.

* صدمة الحركة -

لما كانت البطاقة ٣ هي أكثر البطاقات استدعاء للاستجابة الحركية، فإن من الممكن استخدامها من الناحية العملية في تحديد صدمة الحركة.

ويمكن أن نستدل على وجود صدمة الحركة من النواحي الآتية:

- حين يعجز المفحوص عن تقديم أية استجابة، في البطاقة الثالثة، تقبل التقدير على أنها استجابة حركية.
- أو حين يأخذ أطول وقت ممكن قبل أن يعطي استجابة تقبل التقدير على أنها استجابة حركية.
- حين يكون زمن الرجع أطول من متوسط زمن الرجع في غيرها من البطاقات.
- حين يسبق الاستجابة ظهور اتجاهات إنفعالية ذات دلالة خاصة بالنسبة للمفحوص تشير إلى هناك شيئاً من الصعوبة بالنسبة له.
- حين يسبق إعطاء الاستجابة عبارات توحي بزيادة التوتر الداخلي لدى الفرد.

وصدمة الحركة تشير إلى وجود حالة من القلق العصابي والتناقض الوجداني لدى الفرد؛ وهي كثيرة في حالات الذهانيين.

٣ - اللـــون - C couleur -

اللون مكوّن هام من مكونات الاختبار لارتباطه الوثيق بالجانب الانفعالي، ولما له علاقة وثيقة بالاستجابات الحركية والتي تكشف عنها نسبة مجموع الاستجابات اللونية إلى الحركية (ΣC /M).

١ - تقدير الاستجابة اللونية -

تتحدد الاستجابات اللونية بالقيم اللونية في البطاقة. ولكي تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية، يلزم أن يتأثر الفرد بصورة مباشرة وإيجابية باللون - الأحمر، الأخضر، الأزرق، الأصفر، وهي الألوان الأربعة الأساسية في البطاقات - ولا يكفي أن يكون الجزء المثير ملوناً حتى تقدر الاستجابة على أنها استجابة لونية، بل يجب أن تتضمن الاستجابة شيئاً يشير إلى تأثر الفرد باللون.

ومعظم استجابات اللون يثيرها اللون الأحمر غالباً مثل الدم، أو بقية الألوان مثل سماء أو ماء بالنسبة للون الأزرق، زهرة بالنسبة للون الأصفر، حشيش بالنسبة للون الأخضر.

وعند تقدير الاستجابة على أنها استجابة لونية يلزم أن نعرف ما إذا كان المفحوص مدركاً أو غير مدرك للون، وهل تأثر به فعلاً في استجابته أم لم يتأثر. وهذا الأمر ضروري لأن كثيراً من المفحوصين ينظرون إلى البطاقة ويفسرونها على أنها «فراشة» مثلاً أو على أنها «زهرة» أو «سحاب» سواء كانت البطاقة ملونة أو غير ملونة. وإذا أعطى المفحوص هذه الاستجابات للأجزاء الملونة من البطاقة دون أن يتأثر شعورياً بهذا العامل، فإن الاستجابة تقدر في هذه الحالة على أنها شكل وليست على أنها استجابة لونية.

٢ ـ أنواع استجابات اللون ـ

قسم روشاخ استجابات اللون إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وذلك على أساس العامل المحدد للاستجابة.

فإن كان العامل المحدد لوناً خالصاً مثل «دم» لأنه أحمر، قدرت الاستجابة بأنها لون خالص ويرمز إليه C ـ أما إذا دخل عامل الشكل مع عامل اللون وكان لعامل اللون الغلبة في تحديد الاستجابة، قدرت الاستجابة على أنها CF، مثل «اللهب».

وإذا دخل عامل الشكل مع اللون، وكان لعامل الشكل الغلبة على عامل اللون قدرت الاستجابة بأنها FC، مثل «رباط رقبة أحمر اللون».

وللتمييز بين الاستجابات اللونية يوضح روشاخ بأن:

«بقعة الدم» بالنسبة للجزء العلوي من البطاقة الثانية (٢) تعتبر استجابة لونية ومن النوع CF، لأن بقعة الدم يمكن أن تأخذ أشكالاً كثيرة، مختلفة دون أن يغير ذلك من تقبلنا للاستجابة على أنها بقعة دم. فاللون الأحمر هو الغالب في هذه الحالة على شكل البقعة التي يمكن أن تتخذ أشكالاً متعددة.

أما استجابة مثل «فراشة» بالنسبة للجزء الأحمر المتوسط والجزء البرتقالي في البطاقة (٨) مقلوبة، فإنه لا يمكن تغيير شكل المنطقة تغييراً ملحوظاً دون أن يؤدي ذلك إلى جعل الملاءمة بين الاستجابة وهذا الجزء من البطاقة ضعيفاً، ومن ثم تصبح الاستجابة غير مقبولة. فتغيير الشكل تغيراً ملحوظاً يؤدي إلى تغير

درجة الملاءمة بين الاستجابة والبطاقة. وهذا يعني أن عامل الشكل في الاستجابة يحتل مكان الصدارة، وهنا تقدر الاستجابة بأنها FC.

وقد ذهب روشاخ إلى أن الأنواع الثلاثة من الاستجابات اللونية تمثل درجات ثلاثة من الانفعالية:

فكلما ضعف عنصر الشكل قوي جانب الانفعال، والعكس كلما ضعف جانب الانفعال قوي عنصر الشكل. ولذلك أعطى استجابات اللون الخالص درجة ونصف، واستجابات اللون المتغلب على الشكل درجة واحدة. واستجابات الشكل المتغلب على اللون نصف درجة.

ويسمى المجموع الكلي لهذه القيم والدرجات باسم مجموع استجابات اللون ويرمز اللون C بـ ΣC، وهذا يُعَد مقياساً لانفعالية الفرد.

ويرى روشاخ أنه كلما زادت مجموع استجابات اللون كان ذلك دليلاً على زيادة القابلية للاستثارة الانفعالية والنشاط الحركي عن الفرد وأصبحت الانفعالات والعاطفة عنده أقل ثباتاً واستقراراً.

ومن الممكن حسب روشاخ أن نكشف عن اتجاه الفرد بدراسة العلاقة بين مجموع الاستجابات اللونية ومجموع استجابات الحركة:

فغلبة الاستجابات اللونية على الحركة يشير إلى أن الفرد أميل إلى الانبساط. على حين أنه كلما زادت الاستجابات الحركية على الاستجابات اللونية، كان الفرد من النوع الإنطوائي.

وإذا كانت المسافات البيضاء (الفراغ) تشير إلى نزعة المعارضة عند الفرد، فإن معنى هذه الاستجابات بالمسافات البيضاء يتغير حسب نسبة مجموع الاستجابات اللونية إلى الحركية (M/ ΣC).

فحين يغلب عند الاستجابات الحركية على اللونية كان معنى ذلك اتجاه المعارضة نحو الذات، وإلى افتقار الفرد إلى الثقة بالنفس والإحساس بعدم الكفاية الشخصية. أما إذا غلبت استجابات اللون على استجابات الحركة، فهنا

يعني إلى اتجاه المعارضة نحو العالم الخارجي، وقد تأخذ أحياناً صورة عناد.

أما في حالة تساوي مجموع استجابات اللون واستجابات الحركة، كان معنى ذلك عدم قدرة الفرد على الأخذ برأي قاطع تجاه ما يجب القيام به.

وقد يلجأ البعض إلى تسمية الألوان أو الإشارة إلى اللون دون ذكر اسمه، أو التعبير عنه في حالة الارتياح إلى الأجزاء الملونة. هذا النوع يدخل في الاعتبار عند كتابة التقرير النهائي، حيث يكشف عن بعض الجوانب الانفعالية لدى الفرد، ومدى تقبله أو عدم تقبله لبعض الألوان، كما يساعد على معرفة صدمة اللون.

* صدمة اللون - Le choc - couleur -

تدل صدمة اللون على أي إضطراب إنفعالي يحدث نتيجة تقديم البطاقات الملونة. ويمكن الكشف عن صدمة اللون بالشكل التالي:

- تأخر زمن الرجع في الاستجابة: ذلك أن الفرد حين يواجه ببطاقة ملونة لا يستجيب بنفس السرعة التي يستجيب بها للبطاقات غير الملونة. فقد يستغرق زمناً أطول في الاستجابة إلى البطاقة الملونة. وقد يشير هذا التأخر إلى أن الفرد يواجه موقفاً إنفعالياً يصعب عليه، مؤقتاً، التعامل معه بسبب ما هناك من إضطراب داخلي، وأنه محتاج إلى بعض الوقت حتى يستطيع أن يعيد تنظيم نفسه لمواجهة الموقف مرة أخرى.

وقد يدرك الفرد أن هناك إضطراباً، ولذلك فإنه قد يلجأ إلى اتخاذ بعض الحيل لتغطية هذا الإضطراب. كأن يبدي بعض الملاحظات على البطاقة أو على نوعها، وهذه الحيل هي عادة لاواعية.

وقد يظل الإضطراب موجوداً لدى الفرد تحت تأثير صدمة اللون، ومن ثم يأخذ الفرد زمناً أطول دون أن يقدم أية استجابة أو أي تفسير.

- تجنب الألوان: قد يلجأ الفرد أيضاً، من أجل التخلص من الإضطراب الإنفعالي، إلى تجنب مصدره وأسبابه. فهو يرى في الألوان نذير

خطر، فيهرب منها نحو اللون الأسود أو الرمادي أو الأبيض.

وقد يستجيب إلى اللون الأصفر والأزرق، باعتبارها ألواناً أقل إحداثاً لضطراب، ولا يستجيب للون الأحمر والبرتقالي.

والفرد الذي يتجنب اللون قد يعطي عدداً من الاستجابات قبل أن يعطي استجابة لونية واحدة؛ وهذه الاستجابة اللونية غالباً ما تكون من الشكل غير الجيد.

- ردود الفعل: قد يكون عدد الاستجابات في البطاقات الملونة أقل منه في البطاقات غير الملونة، وذلك بسبب رغبة الفرد في عدم التعامل مع تلك النواحي التي تسبب له الإضطراب الإنفعالي، أو بسبب قوة الإضطراب بحيث لا يستطيع أن يعطي تفسيرات كثيرة، لأن الموقف صعب بالنسبة إليه ولا يستطيع السيطرة عليه.

ويمكن أن نفسر وجود الأشكال غير الجيدة تحت تأثير صدمة اللون بافتقار الفرد إلى الموضوعية والارتباط بالواقع، كما أن هناك تداخل بين النواحي الانفعالية والوظائف العقلية، لا يمكّن الفرد من الوصول إلى أقصى قدراته وإماناته تحت تأثير هذا الضغط الانفعالي.

وإذا كانت معظم صدمات اللون تتجلى في محاولة تجنب اللون والهرب منه، فإن هناك صورة أخرى تظهر في الاتجاه نحو اللون: فتزداد عدد الاستجابات اللونية بشكل ملحوظ في البطاقات الملونة، وتكون عادة في صورة استجابات لونية خالصة أو استجابات لونية يغلب فيها عامل اللون على الشكل.

ومن صدمات اللون، يمكن أن نعتبر نواحي أخرى كتعبيرات الوجه، أو التغيرات التي تطرأ على نغمة الحديث، أو الضحكة المفتعلة التي يبدو فيها الارتباك واضحاً.

والشخص العادي يمكنه أن يتكيف وبصورة مناسبة مع الموقف بعد حدوث صدمة اللون.

إذن يجب أن نقدّر صدمة اللون على ضوء شدتها ومدتها، والحيل اللاواعية التي يلجأ إليها الفرد لمواجهة الموقف. . .

٤ ـ الظـلال (K) - Les interprétations Kinesthésique -

يرمز روشاخ لجميع استجابات الظلال برمز واحد فقط F(C). وقد حدد هذا النوع من الاستجابات بقوله: «إنها تفسيرات التي لا يكون فيها للقيم اللونية أثر، بل يرجع هذا الأثر إلى الضوء والظلال». ويبدو أن هذه التفسيرات تتصل بقدرة الفرد على التكيف الانفعالي، وأن هذا التكيف يتسم بالحذر والإعاقة؛ كما أنها تشير إلى ضبط النفس أمام الآخرين، واتجاه واضح نحو الإكتئاب يحاول الفرد السيطرة عليه في حضرة الآخرين.

إن استجابات الظلال، تؤكد عمق الصورة كبعد، أكثر مما تؤكد تفسيرات أخرى. وتحدث روشاخ عن معنى البياض والسواد كألوان: فاللون الأسود في البطاقة يخلق في النفس آثار إكتئاب شديد، كما أنه يذّكر الفرد بالأسى والموت. فالأسود يشير إلى نوع من القلق الدفين في نفس الفرد. فالإلتجاء إلى الألوان السوداء والبيضاء يكثر في حالات الصرع وعند العاديين الذين يدركون ما يعنونه من حالات مزاجية إكتئابية. واستجابات الظلال التي يثيرها اللون الرمادي أقل إكتئاباً من تلك التي يثيرها اللون الأسود. وكان روشاخ يعتبر استجابات الظلال نوعاً من استجابة اللون المكبوتة جزئياً على الأقل. وهو يضع استجابات الظلال تحت استجابات الشكل المتجهة نحو اللون، ويرمز إليها SC.

ولقد ميز «بندر» من حيث المبدأ نوعين من التفسيرات: التفسيرات F(C) التي تشير إلى التفسيرات «الفاتحة ـ القاتمة المفصلة»، والتفسيرات Clob والتي تشير إلى التفسيرات «الفاتحة ـ القاتمة غير المفصلة».

وسوف نوضح هذين النوعين من استجابات الظلال عند بندر(*):

(*) Voir: Loosli- Usteri- OP. cit. Voir P. 79.

١ ـ التفسيرات الفاتحة ـ القاتمة المفصلة : F(C) ـ

معظم استجابات هذا النوع تكون أجزاء كبيرة D، أو أجزاء دقيقة Dd.

ويتميز هذا النوع من الاستجابات بأن المفحوص يكشف عن كل نوع من الظلال على حدة، وبشكل يوحي أن الفرد قد أخذ في اعتباره حدود الأنواع المختلفة والدقائق المختلفة من الظلال؛ أي إن المفحوص يفسر أشكالاً ظلالية كثيرة ومحددة، ولكل واحدة منها صورة معينة مختلفة ومتميزة عن الأشكال الأخرى.

مثال ذلك: البطاقة الثانية (٢) «ممشى في وضح النهار تحفّه أشجار مورقة ومظلمة، والممشى يضيق حتى يبدو من بعيد طريقاً ضيقاً للغاية في الظلام لأن على الجانبين توجد أشجار كثيفة».

وفي البطاقة العاشرة (١٠) الملونة: «الساحل النرويجي»، مع أشكال ودقائق لونية وجبال، بالنسبة للجزء البنيّ المتوسط من البطاقة.

٢ ـ التفسيرات الفاتحة ـ القاتمة غير المفصلة: (Clob) ـ

غالباً ما تكون استجابات كلية G، أو أجزاء كبيرة D ويتميز هذا النوع من الاستجابات بأن المفحوص لا يكشف عن أي دقائق خاصة في الظلال. أي تعطي الاستجابة إنطباعاً كلياً مبهماً صحدثه قيم الظلال القاتمة والفاتحة للبطاقة كلها.

ويميز «بندر» داخل هذا النوع الثاني الاستجابات التالي:

أ ـ إستجابات يلعب الشكل فيها دوراً هاماً، ويرمز إليها Fclob. فإن كان الشكل جيداً وضعت علامة + إى جانب الرمز، وإن كان رديئاً وضعت علامة -:

مثال ذلك: البطاقة (٤): خيال قصر متهدم فوق صخرة (+ Fclob) مثل غراب كبير طائر (- Fclob).

ب ـ استجابات يدخل فيها عامل الشكل، ولكن الدور الرئيسي للظلال.

مثال: البطاقة (٧): صور لعاصفة، أو البطاقة (٤) صورة أشعة لحيوان.

جـ ـ استجابات خالصة، حيث لا يلعب الشكل دوراً ما، أو حيث يظهر فقط الانطباع الخالص والغامض المستمد من خاصية اللون الفاتح ـ القاتم للبطاقة.

مثل: البطاقة (٤) جو عاصف؛ البطاقة (١) الكابوس.

(*) صدمة الظلال ـ Le choc Kinesthésique ـ

تتميز صدمة الظلال: هبوط مستوى التفسيرات، وعدم وجود التفسيرات العادية.

إلتجاء المفحوص إلى الجزئيات الدقيقة أو رفض التفسير والاستجابة. وتشير صدمة الظلال إلى الكبت. ولكن هذا الكبت يتصل بالاستجابات الانفعالية والوجدانية المركزية، أي الأولية. فالفرد يصارع في هذه الحالة ضد استجابات شاذة.

(**) نمط الخبرة ـ

تحت عامل المحددات تتدرج العلاقة بين عامل الاستجابات الحركية واللونية، والتي يرمز إليها M:C. ونسبة الاستجابات الحركية إلى الاستجابات اللونية تعد في نظر روشاخ أكثر أهمية من الأعداد التي نحصل عليها. لأن السيكولوجي يهمه معرفة ما إذا كان لأحد العاملين: الانبساط والانطواء، الغلبة على الآخر أم أنهما في حالة تساوي.

وحساب نمط الخبرة يتم: بأن كل استجابة حركية تقدر بدرجة واحدة، أما الاستجابات اللونية فتقدّر: (FC بنصف درجة)، (CF بدرجة واحدة)، استجابة اللون الخالص (C بدرجة ونصف). ثم نجمع الاستجابات الحركية، وكذلك اللونية، ونستخرج النسبة لمجموع استجابات الحركة إلى مجموع استجابات اللون.

ويمكن أن نميّز ٦ أنواع من نمط الخبرة:

١ ـ نمط الخبرة الذي يحوي تفسيرات لونية، ويخلو من التفسيرات الحركية. وهذا ما يمسى بالنمط الانبساطي الخالص.
٢ ـ نمط الخبرة الذي يزيد فيه مجموع الاستجابات اللونية على الاستجابات الحركية، وهذا ما يسمى بالنمط الانبساطي المختلط.
٣ ـ نمط الخبرة الذي يحوي تفسيرات حركية ويخلو من التفسيرات اللونية، وهذا ما يسمى بالنمط الانطوائي الخالص.
٤ ـ نمط الخبرة الذي يزيد فيه مجموع الاستجابات الحركية على مجموع الاستجابات اللونية، ويسمى بالنمط الانطوائي المختلط.
٥ ـ نمط الخبرة الذي يخل من كل التفسيرات الحركية واللونية ويسمى Coarté.
٦ ـ نمط الخبرة المتساوي بين مجموع استجابات الحركة مع استجابات اللون.

المهم أن نعرف العوامل المكونة لمجموع استجابات اللون: هل تغلب كفة الاستجابات الشكل على اللون، أو استجابات اللون على الشكل، أو الاستجابات اللونية الخالصة. ذلك أن دخول الشكل مع اللون وغلبته عليه يؤدي إلى شيء من الاستقرار والثبات الانفعالي عند الفرد؛ بينما تعبر الاستجابات اللونية الخالصة عن إنطلاق في العاطفة.

وهناك أيضاً مقارنة مجموع استجابات الفرد في البطاقات الخمسة الملونة بمجموع الاستجابات في البطاقات الخمسة الأخرى غير الملونة:

$$\frac{\text{مجموع استجابات البطاقات ٢، ٨، ٩، ١٠}}{\text{مجموع استجابات البطاقات ١، ٤، ٥، ٦، ٧}}$$

ثالثاً ـ المحتــوى ـ Le Contenu ـ

المضمون أو المحتوى هو البعد الثالث في تقدير الاستجابات. ويقصد بالمحتوى الصورة أو الملامح الأساسية التي أثارتها البطاقة في ذهن

المفحوص. ويصنف المحتوى وفق قوائم، وتعتبر هذه القوائم أكثر أهمية من المحتوى الخاص بالاستجابة ذاتها.

فمثلا إذا استجاب الفرد بالنسبة للبطاقة (١) على أنها «فراشة»، المهم في هذه الحالة ليست الفراشة، بل المجموعة العامة التي تندرج تحتها، أي المجال العقلي الذي كان يسير فيه تفكير المفحوص، أي المدرك الحيواني.

وأهم القوائم عند تقدير المحتوى: المدركات الإنسانية H، والمدركات الحيوانية A، جزء الإنسان الظاهر Hd، ثم جزء الحيوان Ad، بالإضافة إلى المحتويات الجغرافية، والتشريحية، والأشياء المادية...

١ - الاستجابات الإنسانية - H -

تقسم الاستجابات الإنسانية إلى قسمين: استجابات إنسانية كاملة، ثم أجزاء إنسان. وجميع الاستجابات ذات المحتوى الإنساني تعتبر استجابات إنسانية، باستثناء الاستجابات التشريحية والجنسية.

وهناك فرق بين معنى الاستجابة الحركية الإنسانية، والاستجابة الإنسانية بغض النظر عن كونها حركية أو غير حركية.

وتشير الاستجابات الإنسانية عادة إلى اهتمام الفرد بالآخرين، ولذلك فإن خلو التقرير من الاستجابات الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس.

وتتضمن القائمة الإنسانية الإشارة إلى: الرجل، المرأة، الطفل كاملاً، كما يدخل أيضاً استجابات مثل: ملاك، شيطان، عفريت، والدمى.

وتتراوح نسبة الاستجابات الإنسانية ما بين ١٠ - ٢٠٪.

٢ - الاستجابات الحيوانية - A -

تعتبر الاستجابات الحيوانية أكثر تواتراً، لأن طبيعة البطاقات ذاتها توحي بذلك. وهي تشير إلى النوع الحيواني، كالقردة، الأسماك، الطيور، الخفاش، والحشرات...

وتقسم الاستجابات الحيوانية إلى قسمين: استجابات حيوانية كاملة،

وأجزاء حيوان. فالنسب العالية من الاستجابات الحيوانية تشير إلى النمطية والافتقار إلى الخيال.

ويرى روشاخ أن الأذكياء يعطون في المتوسط ما بين ٢٥ ـ ٥٠٪ من مجموع استجاباتهم استجابة حيوانية؛ ويعني بها رؤية حيوانات كاملة أو أجزاء منها. والانحراف عن هذه النسب يشير إلى وجود مشكلات عقلية أو انفعالية عند الفرد.

وتشير النسبة العالية من الاستجابات الحيوانية إلى التفكير النمطي.

٣ ـ الاستجابات التشريحية ـ Les int. Anatomique ـ

وهي ترمز An، وتشير إلى أجزاء من جسم الإنسان أو الحيوان، مثل أمعاء الإنسان، ضلوع الإنسان، أشعة إكس لحيوان...

٤ ـ الاستجابات المختلفة ـ

١ ـ الاستجابات الجنسية ـ Les int. Sex ـ

وهي الاستجابات التي تتصل بالأعضاء الجنسية Sex، سواء البشرية أو الحيوانية. وهي تشير إلى الاهتمام بالأعمال الشهوية بصورة أولية، وإلى النشاط الجنسي العادي، والوظائف الجنسية.

٢ ـ الاستجابات الطبيعية ـ Les int. Naturelles ـ

وهي تتضمن استجابات مثل: جبال، بحار، ماء، مناظر طبيعية، شلالات، سحب، نار، جزر، شمس.. وكل الموضوعات أو المفاهيم الطبيعية والبيئية.

٣ ـ الاستجابات النباتية ـ Les int. Botaniques ـ

وهي تشمل الأشجار، والحشائش، والأزهار والفواكه...

٤ ـ الاستجابات الجغرافية ـ Les int. Géographies ـ

وهي تشمل الخرائط، الجزر، الخلجان، الأنهار، البحيرات...

هذا بالإضافة إلى الاستجابات العديدة التي تتصل بالفن، الفلك،

الملابس، الطعام، والأشياء المادية المصنّعة . . .

رابعاً ـ الاستجابات الشائعة والمبتكرة ـ

وهي البعد الرابع من تقدير الاستجابات. فلا بد من معرفة ما إذا كانت الاستجابة شائعة ومألوفة أم إنها استجابة مبتكرة، أصيلة.

والاستجابات المألوفة (P) تكون دائماً ذات شكل جيد. وهي تشير إلى قدرة الفرد على التفكير ومشاركة الآخرين. كما أنها تتضمن تكيفاً عقلياً وانفعالياً مع الحياة المحيطة به، وتقبلاً لأفكار الآخرين. . ويتوقف عدد الاستجابات المألوفة التي يعطيهاا لمفحوص على الذكاء، والثبات الانفعالي، والسن. ومتوسط الذكاء يعطي حوالي ٢٠٪ من استجاباته.

أما الاستجابات الأصيلة (٥) تشير إلى قدرة الفرد على إدراك علاقات جديدة، كما تمثل التفكير الذاتي للفرد وطريقته في معالجة الأمور.

*** التقدير ـ**

بعد الانتهاء من عملية التقدير للأبعاد الأربعة، نبدأ في تلخيص النتائج واستخراج النسب: الشكل الجيد، نسبة الأشكال الحيوانية.

نسبة الشكل الجيد

$$+F : \frac{F+}{-F + +F} \times ١٠٠$$

نسبة الأشكال الحيوانية

$$: \frac{\text{مجموع الاستجابات الحيوانية } (Ad + A)}{\text{المجموع الكلي للاستجابات}} \times ١٠٠$$

٣ ـ تفسير ودلالة الأبعاد المختلفة ـ

سوف نتعرض بشكل موجز لأهم مبادىء وأسس التفسير، والدلالات المختلفة لأبعاد الروشاخ. والمهم في التفسير ليس ما أجاب به المفحوص فحسب، بل والطريقة التي ساتجاب بها للبطاقة. وتكتسب كل استجابة معناها لا بمفردها، وإنما بالنسبة لمجموع الاستجابات الأخرى.

١ ـ البعـد المكـانـي ـ

١ ـ تشير الاستجابات الكلية إلى قدرة الفرد على إدراك العلاقات الكبيرة والتأليف بين العناصر، وهي ترتبط بالتفكير المنهجي المنظم. ومن ثم فهي تشير إلى الأسلوب العام الذي يعالج به الفرد مواقف الحياة.

وعند تقدير الاستجابة الكلية يجب أن ندخل في الاعتبار الشكل الجيد أو الشكل غير الجيد. كما يجب أن ندخل في الاعتبار ما إذا كانت الكليات مألوفة أو مبتكرة.

فاستجابة الكليات الأصيلة ذات الشكل الجيد هي التي توحي بوجود قدرة عقلية فائقة لدى الفرد، وقدرة عقلية على التنظيم والتجريد.

وقد لاحظ روشاخ أن المزاج المنشرح يزيد من عدد الاستجابات الكلية، على حين يؤدي الإكتئاب إلى التقليل من إعطاء هذه الاستجابات الكلية.

ولقد رأى «بيتروفسكي» أن الأهمية لهذه الاستجابات تكمن في علاقتها بقدرة الفرد على التخطيط الوظيفي والقيام بالنشاط الحركي: فكلما زاد عدد الاستجابات الكلية وعظم تمايزها من ناحية التكوين، كلما زاد ميل الفرد إلى بذل الجهد للتخطيط والتنظيم. ولكن الزيادة في عدد الاستجابات الكلية وتمايزها، قد تدل على حساسية الفرد للتقدير والنقد والطموح.

وتدل كثرة عدد الاستجابات الكلية غير المتمايزة على مستوى منخفض من القدرة العقلية أو على وجود عامل معوق للوظيفة العقلية.

كما أن الاستجابات الكلية، إذا كانت قليلة، تشير إلى الافتقار إلى المبادأة، والميل إلى البلادة والخمول، ونزعة إلى التعميم.

٢ ـ استجابات جزئية كلية (DG) ـ يدل هذا النوع على ضعف إدراك الواقع والنزعة إلى التعميم، والانتقال السريع إلى نتائج غير سلمية. كما تشير إلى افتقار الفرد إلى الصبر، أي إلى تفكير غير دقيق وغير واضح.

وتكثر هذه الاستجابات عادة عند الحالات السيكوباتية والذهانية.

وإذا دخلت المسافة (الفراغ) مع الاستجابات الجزئية العادية، اتخذت دليلاً على وجود حالة توتر نفسي بين الفرد وبيئته، كما اعتبرت دليلاً على عدم ارتياح الفرد، وميله إلى المعارضة.

٣ ـ وإذا كان روشاخ قد حدّد الاستجابات الكلية على أنها مقياس الذكاء النظري، فإنه اعتبر الاستجابات الجزئية مقياساً للذكاء العملي: تدل زيادة الاهتمام بالتفاصيل الكبيرة (D) على الاهتمام بالمشكلات العملية الواضحة العامة في الحياة اليومية.

٤ ـ ن الاستجابات الدقيقة تشير إلى ميل الفرد إلى تقصّي الأشياء الغريبة وإدراك دقائق الأمور، كما تشير إلى الدقة البالغة في الملاحظة.

إن زيادة نسبة الاستجابات الجزئية الدقيقة تدل على زيادة اهتمام الفرد بالتفاصيل التافهة واهتمامه بالأجزاء من حيث هي أجزاء.

والمعنى النفسي لكثرة الاستجابات الدقيقة هو القلق المصحوب برغبة الفرد في التخفف من حدة القلق عن طريق استمراره وانشغاله بأعمال صغيرة تافهة. أو قد تكون نتيجة نزعة وسواسية ـ قهرية ـ أو نزعة للنقد المبالغ فيه أو نتيجة الشعور بالنقص. وتشير استجابة الجزء في طرف البطاقة إلى حالة قلق يصاحبها عزوف عن التعمق في الأمور خوفاً من التورط.

٥ ـ الفراغ ـ يفسر روشاخ استجابات المسافات البيضاء بنزعة الفرد إلى المعارضة: فبدلاً من استجابة المفحوص إلى الشكل يستجيب إلى الأرضية. وقد تعني، من ناحية ثانية، الكشف عن بعض نواحي القوة في شخصية الفرد، وتمكنه من الإبقاء على معارضته القوية، ومحاولة لإثبات استقلال الذات وتأييد وجهة نظره في المواقف التي اختارها.

ويرى روشاخ أن معنى الاستجابات للفراغ يختلف تبعاً لتغير نسبة الاستجابات الحركية إلى اللونية: فحين يغلب عدد الاستجابات الحركية على اللونية فإن المعارضة تتجه نحو الذات وتشير إلى افتقار الفرد إلى الثقة بنفسه.

أما إذا زادت نسبة استجابات اللون على الحركة دلّ على اتجاه نزعة المعارضة إلى العالم الخارجي، وتأخذ صورة عناد.

٢ ـ المحـــددات ـ

١ ـ الشـــكل ـ

يعطينا الشكل فكرة عن الضبط العقلي أو السيطرة العقلية التي تتوفر لدى الفرد، على نواحي شخصيته، وقد يكون مؤشراً على قوة الأنا.

ويشير عامل الشكل إلى تلك السمات التي يشارك فيها الفرد الآخـرين، والتي تعتمد كثيراً عى التحكم الذاتي الشعوري للفرد.

ولما كانت السمات التي يشكف عنها الشكـل تتصل بـالواقـع الخارجي الموضوعي المدرك، فلذلك يتأثر عامل الشكل بالبيئة المباشرة التي يعيش فيها الفرد، كما يتأثر بتربية الفرد وتعليمه. فالسمات التي يكشف عنها الشكل تقيس قدرة الفرد على معرفة العالم الموضوعي وقدرته على الإدراك الحسيّ للأشيـاء والتحليل العقلي للمدركات. فمن ناحيـة، فالشخص الـذي تقل نسبـة الشكل عنده عن ٢٠٪ فإنه يعاني من إضـطراب عقلي يتسم بعدم القـدرة على الانتباه بدرجة كافية للعالم المادي والبيئة المحيطة به؛ ومن ناحي أخرى، فالاستجابات التي لا يوجد فيها سوى الشكل، يفتقر صاحبها إلى سمات الشخصية المميزة، ويكون اتجاهه نحو العالم خالٍ من الخيال والإبداع تسيطر عليه مطالب الواقع والبيئة الاجتماعية.

١ ـ الشكل الجيـد: تعطينا نسـبة الشكل الجيد + فكرة عن درجة التحكم الشعوري للفرد في عملياته العقلية، كما تكشف عن نوع تفكيره ودرجة إحساسه بالواقع.

ويرتبط الشكل الجيد بقوة الأنا: فالنسبة العاليـة من الشكل الجيـد تعتبر مقياساً لقوة تنظيم الشخصيـة وتماسكهـا تجاه أي إضـطراب. ولذلـك، فكلما كانت الأنا قوية، كلما زادت ظهور المدركات للشكل الجيد عند الفرد.

٢ ـ الشكل الرديء: إن استجابات الشكل الرديء دليلاً على الضعف. هذا الضعف إما أن يكون كامن في تكوين شخصية الفرد، أو إنه يرجع إلى تلف بأنسجة المخ بسبب مرض أو إصابة. أو أنه المرحلة الطبيعية لتطور الفرد ونموه (الطفل)، أو أنه نمط تكييف الفرد، كأن يستجيب بأول فكرة ترد إلى ذهنه أو لهوى في نفسه.

٢ ـ الحركة ـ

تدل استجابات الحركة على ثراء الحياة الداخلية للفرد وقواه الابتكارية وتقبله للحوافز الداخلية. وتعتبر الاستجابات الحركية من حيث هي نشاط تخيّلي أهم ما وصل إليه روشاخ في اختباره.

ومن الغريب أن هناك عدم ارتباط بين السلوك الحركي الظاهر للفدر وبين خياله أو حياته الداخلية، كما تكشف عن استجابات الحركة.

فالشخص الذي يعطي استجابات حركية كثيرة ليس ممن يميل إلى الحركة والنشاط، بل هو من النوع المستقر حركياً والذي يحيا حياة داخلية أقرب إلى الانطواء. ولذلك إذا كانت الحركة الصريحة الظاهرية تتعارض وحياة الخيال والتأمل، فكبت الحركة يقوي من الميل إلى إنتاج هذه الاستجابات.

وبتعبير روشاخ: أنه كلما قلت حياة الفرد واتجاهه نحو العالم الخارجي، زاد اتجاهه نحو عالمه الداخلي وحياته الداخلية، تلك الحياة الداخلية التي تعتبر مرادفة للخيال أو أحلام اليقظة.

ولذلك فإن الاستجابات الحركية تكشف عن النزعات اللاواعية أو الاتجاهات الأساسية في الشخصية. إن الاستجابات الحركية تعتبر دليلاً على وجود نزعة إلى الانسحاب إلى حياة الخيال وإلى الإبداع العقلي والتعامل مع الواقع على مستوى الخيال من الناحية العقلية أو العاطفية.

والمبدأ الذي تقوم عليه فكرة روشاخ في الاستجابات الحركية هو: «جميع نزعات الفرد إلى الفعل والتي لا تجد لها منفذاً نحو الخارج تتحول إلى الداخل».

* ويميز روشاخ بين نوعين من الحركة:

الحركة الممتدة التي تشير إلى الاتجاه نحو العالم والتي توحي بالقوة والنشاط، والحركة المستكينة التي تميل إلى السلبية.

فالشخص الذي يعطي الاستجابات الحركية الممتدة (مثل شخص يرفع يديه إلى أعلى) لديه الدافع القوي لأن يصبح في حالة نشاط، رغم ما قد يعانيه من كبت. أما الشخص الذي يدرك الأشكال منحنية، راكعة، فيميل إلى السلبية، وهو من النوع الذي يترك الأمور تجري حسب المقادير.

وإذا كان روشاخ قد ذهب إلى أن هناك ارتباطاً سالباً بين الاستجابات الحركية والسلوك الحركي الصريح للفرد، فإن بتروفسكي يؤكد وجود علاقة موجبة بينهما. فالاستجابات الحركية تشير إلى فكرة المرء عن دوره في الحياة والتي على أساسها يحاول أن يتكيف مع الواقع. فهي تمثل معظم الدوافع الشخصية التي تسيطر على حياة الفرد، أي إنها تمثل السمات التي تؤدي إلى استقرار وثبات العلاقة بين الفرد والبيئة.

وتشير استجابة الحركة البشرية إلى مستوى وظيفي مرتفع للأنا يتضمن تقبل الفرد لذاته، ولحوافزه الداخلية مع القدرة على الإبداع والاحتفاظ في نفس الوقت بعلاقات جيدة بالموضوع. وتشير استجابات الحركة الحيوانية إلى اندفاع الشخص البدائية. ولذلك فإن من الضروري الحكم على دلالاتها في ضوء محتواها وفي ضوء استجابات الحركة الإنسانية. بينما تشير الحركة المجردة غير الحيّة إلى وعي بالقوى الداخلية التي تهدد الذات؛ ولذلك فإن عدم وجود هذه الاستجابات مع وجود الصراع يكونعلامة تنبؤية منذرة بالخطر.

٣ ـ اللـــون ـ

الاستجابة إلى اللون مؤشر عام على استجابة الشخص الانفعالية لبيئته. فاللون يستخدم كمثير إنفعالي. والاستجابات اللوينة تعتبر، في اختبار روشاخ مقياساً للاتزان بين قوة الانفعالات المستثارة والتحكم العقلي للفرد في هذه الانفعالات.

وقسم روشاخ هذه الاستجابات إلى ثلاثة مستويات :

* FC ـ وتشير إلى الاستجابات اللونية التي يتدخل فيها الشكل، وتكون الغلبة فيها للشكل على اللون: فالفرد يتأثر بانفعالاته وعواطفه، ولكنه يحكّم العقل، ويسيطر على الانفعالاته، ويراعي الآخرين.

وهي تشير إلى سمة التكيف ما دامت ترتفع إلى مستوى ترحيب الفرد بالإتساق مع العالم الخارجي، وهذه دلالة إلى نضج الفرد من الناحية الانفعالية وارتباطه بالواقع.

* CF ـ وهي تشير إلى استجابات اللون التي يدخل فيها الشكل، لكن الغلبة فيها للون على الشكل: فهي تمثل سيطرة الإنفعال مع وجود درجة من التحكم والضبط. فالفرد لديه الرغبة في التكيف مع البيئة والواقع، ولكن قوة الضبط غير كافية لإحداث هذا التكيف الناجح.

وما دام الفرد لا يستطيع القيام بالتكيف اللازم، فإنه يتطلب من الآخرين إحداث هذا التكيف. وهو يرغب أن يتفهمه الآخرون، وأن يقدروه. أي تشير هذه الاستجابات إلى شخص ذاتي النزعة، يميل إلى الاندفاع والتقائية.

* C ـ استجابات اللون الخالص تشير إلى إنطلاق النواحي الإنفعالية، دون وجود عوامل مخففة لحدة الانفعال. فهي تشير إلى الاندفاع الذي لا يهدف إلى التكيف. وفي مثل هذه الحالة، يكون الفرد تحت سيطرة إنفعالاته وثورات غضبه التي لا يستطيع السيطرة عليها.

٤ ـ التظليـــل ـ

الاستجابة للتظليل دلالة عامة على طريقة الفرد في مواجهته الحاجة إلى الحب والارتباط المشبع بالآخرين.

وقد ذهب «موهر» إلى أن الفرد الذي يقع في صراع مع الأب ويشعر بالذنب بسبب التمرد على سلطة الأب، يشعر بخبرة غير سارة ومزاج قلق حين تظهر البطاقات السوداء في الاختبار (١ ، ٤ ، ٦). أما الشخص الذي يعاني من

مثل هذا الصراع، فإنه يستجيب لهذه البطاقات (بما فيها البطاقة ٤ الأشد سواداً) دون أي إضطراب ذاتي من جانب الفرد.

فالإضطراب الشديد عند رؤية البطاقات السوداء يكشف ليس فقط عن صراع مع الأب، بل وأيضاً - في حالة الأناث - إلى صراع مع أي رجل، طالما يرمز اللون الأسود إلى النواحي الشريرة في الرجل، مثلما ترمز إلى سلطة الأب أو إلى القوة والحزم.

وتشير استجابات الظلال إلى عنصر الخوف والقلق، وأن هذه الاستجابات تختلف في بيان شدة القلق ودرجة عدم تكامل الشخصية تحت تأثير هذا العامل.

٣ - المحتــوى -

العلاقة التي تربط المحتوى اللفظ للاستجابة، بالجوانب الشكلية والمكونات المحددة، علاقة وثيقة من الناحية المنطقية والنفسية.

ويشير المحتوى بوجه عام إلى أفق الشخص ونواحي اهتماماته الخاصة.

١ - الاستجابات الإنسانية: تشير عامة إلى دور الميول الاجتماعية والإنسانية في حياة الفرد، وإلى درجة اهتمام الفرد بالآخرين. لذلك فخلو التقرير من الاستجابات الإنسانية يشير إلى عدم الاهتمام بالناس.

وترجع أسباب عدم الاهتمام إلى العدوانية أو الخوف من الناس، أو إلى أسباب مرضية.

٢ - الاستجابات الحيوانية: إن النسبة الحيوانية العالية تشير إلى النمطية، أي الافتقار إلى الخيال. كما أن الحالة المزاجية للفرد، وما قد يكون لديه من كبت يؤثران في نسبة الاستجابات الحيوانية، فتزداد النسبة مع الحالة الإكتئابية، وتقل مع الانبساط.

ويمكن النظر أيضاً إلى الحيوانات التي تتضمنها هذه الاستجابات من ناحية درجة توحشها وميلها إلى العدوان، أو من ناحية كونها أليفة. فالحيوانات

التي تظهر، تعكس اتجاه الفرد نحو النظام الأسري:

١ - فالحيوانات الصغيرة غير العدوانية تشير إلى الخضوع للوالدين، دون أية نزعة إلى المعارضة أو الثورة ضد سلطتها.

أما الحيوانات الصغيرة العدوانية فتشير إلى الثورة غير المجدية، والتي تعبر عن نفسها في صورة نشاط مقنّع، غير مباشر. ولذلك فإن إنتاج الحيوانات الصغيرة يشير إلى أن الفرد قد قبل سيطرة الوالدين عليه من الناحية العقلية أو المادية.

٢ - الحيوانات الكبيرة، تشير إلى أن الفرد يشعر بالمساواة مع الكبار والوالدين ولا يقبل سيطرتهما عليه. وتشير الحيوانات الكبيرة غير العدوانية إلى أن الفرد يريد معاملة الوالدين على قدم المساواة؛ بينما تشير الحيوانات الكبيرة العدوانية إلى الميل إلى النقد وعدم الثقة، وعدم ارتياح الفرد لمعاملة الكبار له.

٣ - الاستجابات التشريحية: وهي ترتبط مع عقدة الذكاء، خصوصاً إذا وردت هذه الاستجابات من غير المختصين في التشريح.

ويرجع ذلك، إلى رغبة الفرد في أن يظهر نفسه أمام السيكولوجي بأنه ليس غبياً، أو قد ترجع إلى التعويض عن الشعور بعدم الكفاية العقلية..

كما ترتبط هذه الاستجابات بتوهم المرض: فإن وردت بكثرة في استجابات الأطباء والممرضين، وكانت رديئة الشكل، دلت على ميل عصابي لتوهم المرض والإنشغال بالصحة.

٤ - الاستجابات الجنسية: وهي التي تتصل بأعضاء الجنس، وقد ترد معظم الاستجابات الجنسية العادية في مواضع معينة من البطاقات (٢، ٤، ٦، ٧، ٩) التي تحوي أشياء شبيهة إلى حد ما بأعضاء الجنس.

إن تكرار إدراك أجزاء من الجسم ذات دلالة جنسية قد يكون محاولة لإظهار النضج أو لتغطية إضطراب في العلاقات الجنسية. وتتعدد الاستجابات

الجنسية، فقد تكون رمزية، مثل رؤية ثعبان، أو مسلة، وقد تدرك مساحات معينة، ترتبط عادة بالجنس، وذلك في بعض البطاقات (٢، ٦، ٧).

٥ ـ الاستجابات المعمارية: وهي تتضمن المباني، الأبراج، الأقبية الجسور، النافورات المدافن... ويرى روشاخ أن استجابات الظلال التي تنعكس من المناظر الطبيعية كالحصون والمعابد والأبراج والأقبية، قد تكشف عن إحساس بعدم التكامل الداخلي يحاول الفرد التعويض عنه بالاتجاه إلى الخيال المرغوب فيه والذي عن طريقه يقيم مثل هذه الأبنية؛ أو الاتجاه إلى الهرب للوقاية والاحتماء.

* قد تفسر أنواع النشاطات البشرية المدركة على أنها إسقاط لمشاعر الفرد: فالقتال والهجوم والجدال قد يكون تعبيراً عن مشاعر عدوانية... والقبح والجمال قد يكون إسقاطاً لمشاعر مكبوتة نحو الناس.

ورؤية البشر في هيئة وحوش وأشباح أو نماذج أسطورية.. قد يكون مؤشراً على عجز عن التوحد الوثيق بالناس في عالم الواقع.. وتدل الساحرة على العلاقة بالأم. كما يدل إدراك «بروفيل» لوجه الشخص على عدم الشعور بالارتياح تجاه الذات والآخرين.

الأقنعة تشير إلى محاولة تجنب الفرد لكشف الذات.
العنكبوت رمز الأم الشريرة، أو إشارة إلى الاتجاه نحو نموذج الأم.
الرموز والشعارات تدل على اتجاهات نحو السلطة.
الخرائط تدل على الحذر والتهرب.

٤ ـ الاستجابات الشائعة والفريدة للبطاقات ـ

تشير الاستجابات المألوفة إلى درجة مشاركة الفرد الأفكار الشائعة للجماعة. ويكون إعطاء ثمان استجابات شائعة أو أكثر دليل على الخوف من الانحراف عن الحدود المألوفة للتفكير، أو الحاجة القوية للتفكير في حدود المألوف.

كما أن إعطاء عدد قليل من الاستجابات الشائعة قد يدل على عدم إكتراث بالمألوف أو عجز عن رؤيته، وكان ذلك مؤشراً على ضعف الارتباط بالواقع.

والعدد المتوقع الحصول عليه من الاستجابات الشائعة هو حوالي ثلاث استجابات.

ومن الناحية الأخرى، فإن إعطاء استجابات مبتكرة (خمس استجابات) تدل على التفوق والإبداع؛ كما تدل على التفوق مع الاحتفاظ بالاتصال بالواقع أن يكون عدد الاستجابات المبتكرة الإضافية ضعف عددها الأساسي.

لكن إذا ارتفعت نسبة الاستجابات المبتكرة عن ٥٠٪ قد تكون أحياناً دلالة على تردد شديد في التفكير. كما تدل الاستجابات المبتكرة الغريبة على إضطراب شديد في الوظيفة العقلية.

١ ـ استجابات شائعة للبطاقات التالية ـ

البطاقة I : أي كائن له جسم في الوسط وجناحان على الجانبين كلية.

البطاقة II : المنطقة السوداء كلية أو جزء كبير أي حيوان أو جزء من حيوان (كلب، دب، أرنب، ثور...) بالإضافة إلى جزء صغير في الوسط.

البطاقة III : كل المنطقة السوداء، كائنان بشريان أو حيوانان بملابس البشر، وساقان في المنطقة السفلى الجانبية يدركان في حركة. الجزء الكبير الأحمر في الوسط: رباط عنق، شريط للشعر، فراشة مع استخدام اللون أو بدونه.

البطاقة V : كلية أي كائن له أجنحة وجناحان على الجانبان في سكون، أو في حركة.

البطاقة VI : كلية بدون الجزء العلوي أو الجزء السفلي، جلد حيوان مع استخدام التظليل.

البطاقة VIII : المنطقة القرنفلية الخارجية، أي حيوان من ذوات الأربع في حركة.

البطاقة X : الجزء الأزرق الخارجي، أي حيوان متعدد الأرجل، مثل العنكبوت، الأخطبوط.

- الجزء الأخضر الأوسط مع استخدام الجزء الأخضر الفاتح، أو بدونه؛ أي حيوان مستطيل يميل إلى الاخضرار، مثل الدودة أو ثعبان الحديقة، شرط استخدام اللون.
- المنطقة الخضراء الفاتحة، رأس حيوان له أذنان أو قرنان طويلان.

(وأن أي إضافة مثل تلك التي يدرك فيها الجزء الأخضر الغامق بوصفه شيئاً خارجاً من العينين أو يدرك فيها الفراغ الأبيض بوصفه الجسم تقدر بوصفها استجابة مبتكرة إضافية).

٢ - الاستجابات المبتكرة -

البطاقة II : قردة في حديقة الحيوان، نظراً للمؤخرة الحمراء، وهي شيء قبيح.

البطاقة VIII : قد يكون رجلاً يسبح تحت الماء والضفادع تصافحه. يبدو كما لو كان يسبح تحت الماء، لم ألاحظ وجود أي رأس.

تلك دلالة الأبعاد المختلفة التي يتم على أساسها تقدير الاختبار. وهذه النظرة الكلية الشاملة التي يتم على أساسها تفسير لختبار روشاخ.

٤ - التفسير الدينامي للبطاقات -

تقتضي هذه الخطوة تفحص الاستجابات التي أعطاها المفحوص للبطاقات، لكي ندرس تسلسليا في ضوء الصحة النفسية.

بمعنى اخر، يقوم السيكولوجي بتقدير كل استجابة قدمها المفحوص من حيث خصائص: التحديد المكاني، والعوامل المحددة، والمحتوى التي تضمنته الاستجابات؛ ثم يقدر السيكولوجي عدد الاستجابات، وزمن الرجع لكل استجابة، ومن ثم نمط الاستجابات وتتابعها.

وعادة تمثل الاستجابات في البطاقات الدلالات التالية:

البطاقة الأولى ـ «أي كائن له جسم في الوسط، وجناحان على الجانبين».

الكل: رأس قطة أو أي حيوان آخر، أو عصفور يخفق بجناحية.

الجزء الجانبي: وجه شخص (بروفيل)، يعني موقف للنقد المنظم،

الجزء المركزي (في الوسط)، رؤية تمثال إنسان يعني جنسية مثلية كامنة؛ رؤية ملابس شفافة تعني اتجاه لكشف ما هو وراء وجوه الناس،

الجزء العلوي: رؤية أيادي تعني إما النجدة أو التهديد؛ رؤية فاه مفتوح تعني اعتداء أو تهديد كلامي.

والدلالات العامة للبطاقة كلها تعني الافتراضات التالية:

إذا كانت رؤية البقعة كلها على شكل سفينة، فهي إشارة للحياة داخل الرحم، أو لتبعية كلية للأم.

البطاقة الثانية ـ «حيوانان أو رجلان في حركة تفاعلية».

تكشف الاستجابات الأولى عن الصراعات الأساسية في الطفولة.

فإذا أصيب المفحوص بصدمة اللون، فتكون الاستجابة إما إضطراب إنفعالي أو هيجان عدواني.

الجزء الوسط: يكشف عن تمثلات جنسية.

الجزء المركزي في الأعلى: (اللون الرمادي)، يمثل العضو التناسلي للرجل؛ بينما يمثل، الجزء الأحمر في الأسفل، العضو التناسلي للمرأة.

إن أسلوب ومحتوى الاستجابة تبين درجة إضطراب (المفحوص)

من المشاكل الجنسية، ويظهر هذا الإضطراب جلياً إذا ظهرت الاستجابة في الأجزاء الدقيقة المركزية، أو إذا ظهرت له الصورة ملطخة بالوحل، أو الدم، أو الحيض. . .

البطاقة الثالثة ـ «كائنان بشريان، وساقان يدركان في حركة».

إن غياب إدراك هذه الكائنات البشرية المذكورة يبين عجزاً مرضياً للتطابق مع الكائنات البشرية الأخرى.

فالوجه الإنساني المدرك بدون تظليل أو التشكيك في نوع الجنس، إشارة للكبت المتعلق بالرجولة: فالرجل يخاف من رجولته، والمرأة تخاف من المعاشرة الجنسية مع الآخر. وهنا تعبير عن العلاقة الأوديبية. إذا كانت الاستجابة الكلية تشير إلى «دمى متحركة» فهذا يعني تأثير الأفكار الفصامية.

وإذا كانت رؤية الأجزاء الدقيقة المركزية السفلى تشير إلى «فك» في حالة انكماش، فهي تعني اتجاهات بارانوية، أو الخوف ممن يحيطون به.

البطاقة الرابعة ـ «كائن إنساني أو حيواني، ورؤية «جزمتان» للجزءان الجانبيان».

والافتراض المقترح يقوم على المعنى الرمزي للأبوة: فتخارج الموضوعات في استجابة الفرد تمثل سلطة الأبوين، والقلق الطفلي، والشعور بالإثم تجاه الأنا الأعلى، ومركب عقدة الخصاء، واحتمال توارد أفكار الانتحار. إن هذه البطاقة تكشف الموضوعات الانتحارية أو أفكار الموت والقتل؛ خاصة إذا كانت رؤية البقعة كلها تشير إلى: قطعة خشب محترقة، وأصبحت فحمة، أو كتلة من الدخان الأسود.

ويمكن أن تعطي لهذه الاستجابات رموز جنسية: عضو التناسل في الجزء الواضح المركزي من الجهة السفلى، إذ يدرك كرأس حيوان أو جزع شجرة. أو إذا كانت الأجزاء المتطرفة تدرك على هيئة: ثعابين، راقصات، أوراق ذابلة.

رموز أنثوية: في الجزء المركزي من الجهة العليا: نبات، رأس.

فإذا عكس المفحوص رموز الذكورة والأنوثة، تكون إشارة للإضطراب الجنسي، وإذا كانت الاستجابة الجنسية مصحوبة بتظليل، فهذه دلالة على أن المفحوص يعيش علاقات جنسية متبادلة.

وعادة ما تحصل «صدمة التظليل» في هذه البطاقة. لهذا ينبغي تسجيل ردة فعل المفحوص تجاه التظليل. كما ينبغي متابعة ردة الفعل هذه في البطاقات الخامسة، والسادسة، والسابعة. إذ تكشف مجموع هذه البطاقات ردة فعل قلق المفحوص.

البطاقة الخامسة ـ «الاستجابة الشائعة خفاش أو فراشة أو أي كائن له جناحان».

إن الهدف من هذه البطاقة هو الكشف عن مدى تكيف الفرد مع الواقع؛ كما تبين لنا طبيعة الكبت الذي يعانيه الفرد.

وفي حال خلو المدرك من هذه الاستجابة الشائعة فهي إشارة إلى ضعف مرضي في ارتباط الفرد بالواقع. إن رؤية التظليل في هيئة حيوان تبين شعور الفرد تجاه العالم الخارجي.

وتبين هذه البطاقة تمثل الذات (الأنا المثالي)، فالفرد يتجنب هذا التمثل في استجابات غير شخصية، أو يعبر باستجابة رمزية: مثل شابة في رداء رسمي خاص للسهرة.

البطاقة السادسة ـ «المعنى الكلي الشامل هو المعنى الجنسي».

الجزء العلوي: دلالة لرمز قضيبي، الجزء الوسط السفلي دلالة لرمز العضو الأنثوي.

التفسيرات الكافية للتقطيعات الظاهرة في البقعة تبين عن جنسية متضمنة في شخصية الفرد، فالجزء النصفي الداخلي قد يبدو كوادي محاط بتلال مستديرة، إشارة إلى مشاكل الفرد الجنسية. أو كاستجابة قلقة مثل رؤية حيوان منفرج في الوسط.

الجزء الجانبي السفلي: إدراك الرأس يعني مشاكل مع السلطة.

الخط في الوسط: مثل قذيفة، أو سفينة تشق الأرض أو الماء أو الهواء تعني جنسية مثلية أو اتجاهات بارانوية.

الأجـزاء الصغيرة في الـوسط: مثل وكـر، بيضـة، تعني نكـوص طفلي أو إنشغال بالولادة.

البطاقة السابعة ـ «تمثل عادة الأمومة».

إن خلو الاستجابة من التظليل العادي المؤنث إشارة إلى إضطراب في العلاقات مع الأم. فالحفرة في الوسط تمثل حضن الأم.

وهناك علامات عديدة لأنواع الإضطراب: رؤية حيوانات أو أطفال أو رؤية امرأة واحدة بوضع مقلوب.

كما أن كثرة استجابات اللعب أو الحيوانات تدل إلى عدم نضـج النمو الاجتماعي، وصعوبة الوصول إلى علاقات مع الجنس الآخر.

إدراك البقعة كلها: على أنها غيوم إشارة إلى القلق وعدم الأمن؛ رؤية الثلج أو كتلة من الجليد، إشارة إلى نقص الاحتكاك مع الأم أو إلى برودة في العلاقة.

الجزء الوسط السفلي: رمز للعضو الجنسي الأنثوي.

الجـزء الصغير المـركزي في الأسفـل: كمنزل صغيـر إشارة إلى حاجة طفلية للاحتماء.

إدراك الأجزاء الصغيرة: على أنهـا بحيرة من الجليـد تعني نقص الاحتكاك مع الآخر.

إدراك الجزء الأعلى: كمجادلـة أو منازعـة، دلالة لـلاتجاه نحـو العدوانية.

البطاقة الثـامنة ـ الاستجـابـة الكليـة: شجـرة الميـلاد، شعـارات مستنـدة إلى حيوانات، لوحة تشريحية. أو حيوانات، دب، ذئب، ضبـاع، كلاب، فئـران، خـراف، خنـازيـر. . (القسم الـوردي) اللون الأزرق: علم، فـراشـة، مشـدّ، نـظارات شمسـية، لـوح ثلج، بحيرة، تمثـال رخـام (استجـابات للجـزء الكبير) ـ أمـا الجزء العلوي الـرمادي: جسم كلب ممتد، قرون الأيل، جذع شجـرة، إكليل (استجـابات الجـزء الكبير) ـ اللون الـوردي ـ البرتقـالي: فراشـة، رئة، اللون الـوردي فقط: رؤوس

عجول. اللون البرتقالي فقط: قبعات (الجزء السفلي).

البطاقة التاسعة - «هي أكثر البطاقات غموضاً، ويرجع ذلك إلى الأشكال المتعددة المبهمة، والتقاطيع العديدة غير المنتظمة، والألوان المتقطعة.. والاستجابة الشائعة لها عادة ما تكون استجابة تشريحية».

الجزء الكبير البرتقالي: سحرة، أو مهرجين أو أشياء غريبة.

الجزء الكبير الوردي: رأس بشري، رأس طفل أو سمكة، وهذه دلالة للتعلق بموضوعات الحب الطفلي.

الجزء الأخضر: رأس على شكل غبيّ.

وغالباً ما تكون الاستجابات مصحوبة بخصائص شخصية.

البطاقة العاشرة - «هذه البطاقة هي أكثر البطاقات تشتتاً من حيث الشكل». هناك تفسيرات للتقطيعات الخاصة بالألوان: دودة قزّ خضراء، عصافير زرقاء، غزلان (الأيل)، كلاب صفراء...

تفسيرات خاصة بالتظليل: ثيران تقفز على الجزء الأخضر، حشرات تتقاتل، عناكب تزحف على خيوطها في الجزء الأزرق الخارجي، أو أشخاص في حالة مصّ في الجزء الوردي.

وهناك بعض الاستجابات التي تظهر الإضطراب من هذه البطاقة، إما بسبب اللون أو بسبب تشتت البقع في أطراف متعددة من البطاقة.

وعادة تشير إلى صدمة إنفعالية قاسية، أو إلى حالة إنفصامية غير متكيفة مع الحياة الاجتماعية أو العمل.

بشكل مختصر: إن التفسير الدينامي لهذه البطاقات يكشف لنا عن العلاقات المتبادلة للعمليات المختلفة التي تدور في العالم الذاتي - الداخلي للفرد؛ كما تكشف عن العلاقة المبتادلة للفرد مع الآخرين في الوسط الاجتماعي: مثل الكفاية العقلية، طريقة مواجهة المشاكل الحياتية، الإحساس بالواقع، القدرة على التكيف...

كما تكشف لنا عن دوافع الفرد وآوالياته الدفاعية والصراعات التي يعاني منها: قوة الدوافع ودرجة تقبلها، الصراعات المرتبطة بهذه

الدوافع، الأواليات الدفاعية المستخدمة في هذا الصراع، طبيعة القلق، الضبط الإنفعالي في الأوضاع أو المواقف الصعبة، ردة الفعل تجاه الانفعالات، موقف الذات تجاه النقد والتأمل، النضج العاطفي . . .

وتكشف لنا، بالإضافة إلى ذلك، طموح الفرد وطبيعته، خيالية أم متصلة بالواقع، الاهتمامات الجنسية: طبيعية أم مضطربة . . .

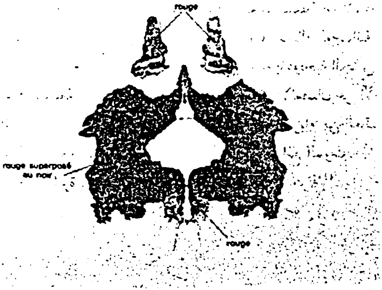
(*) منظور التحليل النفسي للبطاقـات:

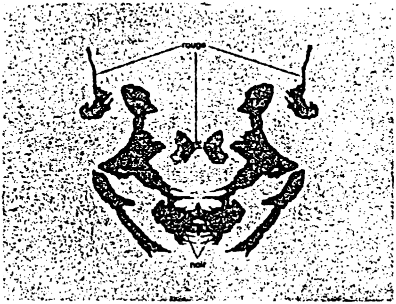
هناك بعض الافتراضات التي تتعلق بالمحتوى الرمزي لكل بطاقة:

البطاقة الأولى	: القلق من فقدان الموضوع.
البطاقة الثانية	: القلق تجاه الأحداث البدائية.
البطاقة الثالثة	: القلق تجاه الموقف الأوديبي.
البطاقة الرابعة	: القلق تجاه السلطة أو الأنا الأعلى.
البطاقة الخامسة	: القلق تجاه الحالة الوجدانية للأم.
البطاقة السادسة	: القلق تجاه إزدواجية الجنس.
البطاقة السابعة	: القلق تجاه الانفصال عن الأم.
البطاقة الثامنة	: القلق تجاه الغرباء عن العائلة.
البطاقة التاسعة	: القلق تجاه دافع الموت.
البطاقة العاشرة	: القلق تجاه التجزئة[1].

(1) ANZIEU- Les Méthodes Projectives- OP. c.t. P. 118-



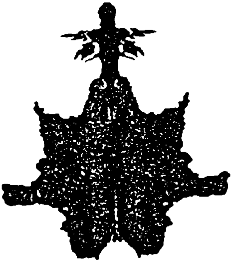

rouge
rouge superposé au noir
rouge

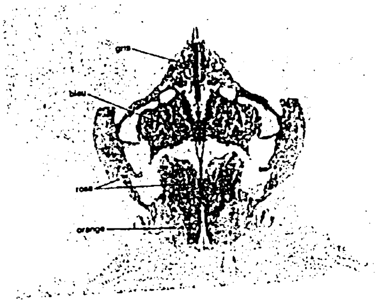

rouge
noir



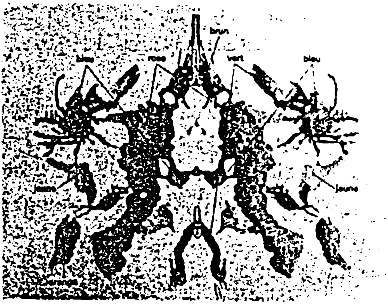







gris
bleu
rose
orange


orange
vert
rose


brun
bleu
rose
vert
bleu
jaune

٥ ـ التشخيص النفسي لاختبار روشاخ ـ

اعتمد روشاخ في تفسيره للأمراض النفسية والعقلية على «التقرير النفسي، الشكلي» الذي يعتمد على دراسة العوامل الشكلية، بغض النظر عن محتوى الاستجابات ومضمونها، والتشخيص الشكلي يقوم على دراسة العوامل الشكلية المختلفة التي يسميها روشاخ باسم «السيكودغرام الشكلي»[1].

وقبل التعرض للحالات المرضية، نود هنا أن نشير إلى الحالة السوّية.

١ ـ الحالات السوّية ـ

الاستجابات الكلية للأفراد العاديين تقع بين ٢٥ـ ٣٠٪. والاستجابات الجزئية الكبيرة تقع بين ٦٥ـ ٧٥٪، أما الاستجابات الجزئية الدقيقة فتكون حوالي ١٠٪. أي إن نسبة الاستجابات الكلية إلى الجزئية الكبيرة إلى الجزئية الدقيقة هي النسبة العادية.

أما من حيث نسبة استجابات الشكل الجيد في المائة فهي نسبة عالية، إذ تشير إلى ارتباط الفرد بالواقع وقدرته على التوافق العقلي مع المدركات الشكلية. ولذلك فإن نسبة استجابات الشكل الجيد قد تكون بين ٨٠ـ ١٠٠٪.

فالفرد السوّي يتصف بالتوافق العقلي مع الواقع، كما يتصف كذلك بالخيال. ولذلك تحتوي استجاباته على عدد من الاستجابات الحركية ما بين ١ـ ٣ استجابات. كما يتصف السوّي بالثبات الانفعالي، لذا تكون الاستجابات اللونية التي يدخل معها عامل الشكل مع غلبة الشكل على اللون. وتكون نسبة الاستجابات اللونية بعضها إلى بعض على النحو التالي: ٣ FC، ١ CF، صفر C.

أما الاستجابات الحيوانية، والتي تشير إلى نمط التفكير وجموده، فهي

(1) سيد محمد غنيم وهدى عبد الحميد برادة ـ التشخيص النفسي، دراسات في اختبار الروشاخ ـ الجزء الأول ـ دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦١.

تكون عادة قليلة، من ٣٥ـ ٥٠٪. كذلك تكون معظم الاستجابات مألوفة، كما تحوي على استجابات أصيلة تقع بين ١٠ـ ٢٠٪.

٢ ـ الحالات المرضيـــة ـ

يعطي روشاخ أهمية كبيرة للتمييز بين السمات العصابية التي توجد عن كل فرد، والعصاب الحقيقي.

فليس هناك من فرد لا تظهر في سلوكه سمات عصابية في بعض المواقف. فإذا لم يتصف السلوك بسوء التكيف وعدم القدرة على التلاؤم فليس ما يدعو إلى اعتبار الفرد عصابياً. إن الشخص العادي حين يواجه بموقف من مواقف الإحباط يلجأ إلى أساليب متنوعة إيجابياً غالباً، لإحداث التكيف، كما أن سلوكه لا يتصف بالجمود.

أما للعصابي فإنه عادة يلتزم بأسلوب واحد من أساليب التكيف، وغالباً ما يكون أسلوباً هروبياً من مواجهة الموقف والتلخص منه.

أ ـ العصـــاب ـ

إن العصابي، في اختبار روشاخ، يتصف بنواحي عديدة أهمها: صدمة اللون، وكبت الاستجابات الحركية، وإعطاء الاستجابات اللونية الخالصة، أو التي يغلب عليها عامل اللون على الشكل، والتي تشير في الوقت نفسه إلى مستوى إنفعالي طفلي، وكذلك ظهور أعراض القلق، سواء الكامن والصريح في النواحي التالية:

عدد الاستجابات الدقيقة تكون فوق المتوسط، كثرة ظهور الاستجابات الفاتح ـ الغامق والتي تشير إلى قلق مكبوت.

وجود عدد كبير من الاستجابات التشريحية ذات الشكل الرديء، زيادة كبيرة في الاستجابات التشريحية ذات الشكل الرديء، زيادة كبيرة في الاستجابات الشخصية وغير المألوفة، والتي تكون في العادة رديئة الشكل.

أما التتابع فيكون جامداً بشكل ملحوظ لدى الأشخاص الذين يعطون نسبة

مرتفعة من الشكل، ويكون منطلقاً عند من تظهر لديهم صدمة اللون. نمط الإدراك، يكون من النوع: Dd، مع وجود صدمة اللون، وقلة عدد الاستجابات الحركية، كما أن عدد الاستجابات الإنسانية الكاملة أقل من عدد الاستجابات التي تشير إلى أجزاء الإنسان، وكذلك قلة عدد الاستجابات غير المألوفة.

بالإضافة إلى هذه الأعراض الخاصة التي تشير إلى فقدان الثقة وعدم الإطمئنان، هناك نواحي أخرى يلجأ إليها الفرد وتكشف عن نواحي القلق عنده، مثل: نقد البطاقة، أو إعطاء إجابات في صيغة الاستفهام، كما يظهر في المحتوى الاستجابات التي تشير إلى الدم أو إلى الأعضاء المبتورة. وقد تتجمع هذه الأعراض في مجموعات خاصة تبعاً لنوع العصاب لدى الفرد.

ب ـ الهستيريا ـ

إن العوامل التي تكشف عن الهستيريا هي: تكون الشخصية من النوع الانبساطي الذي يعطي نسبة منخفضة من استجابات الشكل. وتأخذ عنده صدمة اللون شكل الاهتمام الزائد مع إعطاء استجابات اللون الخالص أو اللون والشكل مع غلبة اللون على الشكل. هذا التناقض الظاهر بين الاتجاه نحو اللون والابتعاد عنه على نحو ما تعبر عنه صدمة اللون، يعتبر مظهراً من مظاهر التناقض الوجداني الذي تتسم به حالات الهستيريا.

وتشير حالة الهستيريا إلى أن الفرد غير قادر على إحداث التكيف السوّي بطريقة طبيعية. والشخص الهستيري غير ناضج انفعالياً ووجدانياً، ويظهر ذلك في كثرة الاستجابات الحركية الحيوانية على الاستجابات الحركية الإنسانية. كما تكثر عنده استجابات الشكل الرديء (خطأ في تفسير الواقع والحقيقة).

ومن هنا نجد الهستيري يرفض الاستجابة للبطاقة بحجة أنها لا تتفق والواقع.

جـ ـ الوساوس المتسلطة ـ والقهر ـ

عصاب الوساوس هو التي يكون فيها التناقض الوجداني قوياً. ويكشف

الاختبار عن هذه الخاصة في كثرة الاستجابات اللونية الطليقة القوية الخالصة. وصدمة اللون.

والشخص الذي لديه حالات وساوس منطوية يكون اتجاهه نحو الخيالات المتسلطة، بينما يكون لدى حالات الوساوس المنبسطة اتجاهاً نحو الأفعال القهرية. أما حالات الوساوس من النمط المتعادل فيغلب عليها الشك والحيرة.

في حالات الوساوس تظهر صدمة اللون الأحمر، وأحياناً تظهر معها صدمة اللون الأسود.

أما العدوان والسادية فيكشف عنهما العدد الكبير من الاستجابات البيضاء، وكثرة الاستجابات للأجزاء الدقيقة.

أما كبت التناقض الوجداني فيعبر عنه عادة النسبة العالية من استجابات الشكل الجيد، كما يقل عدد الاستجابات الكلية، وأن عدد الاستجابات الحركية لا يكون كبيراً.

أما التتابع فيكون عادة من النوع الجامد أو المنطلق، ونادرفا ما يكون من النوع المنتظم.

أماعصاب القهر: يتميز بحالة الضيق الانفعالي مع زيادة نسبة الشكل؛ ويكون التتابع من النوع الجامد. وقد يدفع عدم الإطمئنان المفحوص إلى أن يغطي باستجاباته كل جزء من أجزاء البطاقة، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج في الاستجابات، وخاصة الاستجابات الجزئية الكبيرة والدقيقة.

وقد يركز المفحوص اهتمامه حول جزء من البطاقة ويفسره تكراراً، نظراً لحالة المفحوص وما يعانيه من حصر وقهر، وبسبب إحساسه بعدم القدرة على التكيف. ولذلك فهو يعيد التفسير مراراً. ويتجلى ضيق مجال الفرد في النسبة العالية من الاستجابات الحيوانية.

د - الإكتئاب -

تتميز حالات الإكتئاب بوجود مجموعة من العوامل أهمها: الأشكال

الجيدة، كما أن التتابع يكون من النوع الجامد. أما عدد الكليات فهو قليل بين صفر ـ ٣ استجابات.

أما نمط الإدراك فيتميز بالضعف، وغالباً ما تكون الاستجابة من النوع D. ويكون المحتوى ضعيفاً وقليل التنوع.

كما أن الاستجابات غير المألوفة قليلة، ويكون نمط الشخصية من النوع الضيق الذي يتميز بالنقص في عدد الاستجابات الحركية؛ كما تختفي الاستجابات اللونية؛ ويكون زمن الرجع طويلاً:

وفي حالات الإكتئاب الشديد ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية بين ٧٠ـ ٩٠٪، ويطول زمن الرجع بشكل ظاهر، كما تقل عدد الاستجابات الإنسانية.

ومن الملاحظ أيضاً تفضيل المفحوص للاستجابة إلى الأجزاء المتوسطة من البطاقة والتأكيد على ناحية التماثيل في الشكل. كما يبدو على المفحوص الضيق أثناء تفسير الاختبار، وطول فترة الإجراء والتحقيق.

هـ ـ الفصام ـ

تتميز الحالات الفصامية بمجموعة من الخصائص. فعادة تكون عدد الاستجابات متغيرة، ويقل زمن الرجع. وبسبب الإعاقة والسلبية اللتين تتميز بها حالات الفصام، يكثر رفض المفحوص للبطاقة وعدم الاستجابة لها، حتى بالنسبة لأبسط البطاقات المألوفة (الخفاش رقم ٥).

ويخضع إنتاج الفصامي إلى ذبذبات كبيرة في الاستجابة: فهناك استجابات للشكل الجيد وأخرى رديئة وغريبة؛ ومن هنا تزداد النسبة المئوية للاستجابات الأصيلة والغريبة منها.

وقد تكثر الاستجابات الكلية، ولكن معظمها من الشكل الرديء، فقد تظهر الاستجابات من النوع (GD) أو (GDd) وتكون عادة سيئة بشكل يشير إلى ما لدى هذه الحالات من خلط عقلي وإضطراب في التفكير.

ويميل الفصامي إلى إعطاء استجابات جزئية دقيقة غريبة. أما الاستجابات الحركية فقليلة العدد.

وتكون قيم اللون من النوع الطليق، فتكثر الاستجابات اللونية الخالصة، والاستجابات التي يغلب فيها عامل اللون على الشكل.

أما حالات الفصام البسيط فتكون القيم اللونية منخفضة جداً، وقد تكثر التفسيرات الخاصة بالظلال الفاتح ـ الغامق والتي ترتبط بالقلق، كما تكثر الاستجابات التشريحية . . .

ويظهر عند الفصاميين المداومة والاستمرار على إعطاء استجابات معينة، وخاصة في البطاقات (٨، ٩، ١٠). وسبب ذلك يرجع إلى عدم القدرة على التعامل مع البيئة بشيء جديد، وسبب ذلك يرجع إلى عدم القدرة على التعامل مع البيئة بشيء جديد، لذلك يستمر الفصامي على إعطاء الاستجابات السابقة: كأن يقول مثلاً فراشة بالنسبة للبطاقة ٤ ـ ٥، وفراشات ملتصقة ببعضها بالنسبة للبطاقة (٧)، كما نجد فراشات في البطاقتين ٩، ١٠.

١ ـ الفصام البسيط ـ وهي تشير إلى حالة تدهور علقي وانفعالي. ويكون نمط الشخصية من النوضع الضيق، ونسبة الشكل الجيد ضعيفة، بينما ترتفع نسبة الاستجابات الحيوانية.

أما نمط الإدراك فهو ضعيف يخلو من النظرة الكلية. والتتابع غير منتظم، وتكثر استجابات أجزاء الإنسان.

٢ ـ البارانويا ـ نمط الشخصية يكون من النوع المنطوي، باستثناء بعض الحالات التي تميل إلى المشاكل، فيكون نمط الشخصية من النوع المنبسط. وتكثر الاستجابات ش ل عند هذه الحالات، وتتحسن نسبة الشكل الجيد؛ وتكون نسبة الحيوانية متوسطة.

أما نمط الإدراك فيكون عادة من النوع (GD) أو (G, D, Dd)، مع ظهور استجابات (GD) أو (Dd) غريبة الشكل. كما تشير الاستجابات الكلية الزائدة

إلى ميل تلك الحالات إلى تنظيم الأفكار الهذائية.

٣ ـ التقدير العام ـ

- المجموع الكلي لعدد الاستجابات: يتراوح المتوسط العادي بين ٢٠ـ ٤٠ استجابة. فإذا قل العدد عن ١٠ فقد يدل ذلك على صدمة لون أو تظليل أو حركة أو جنس.
- الزمن الكلي للأداء، البحث بالدقائق والثواني.
- متوسط زمن الاستجابة: وذلك بقسمة الزمن الكلي على العدد الكلي للاستجابات. ويتراوح متوسط زمن الاستجابة بين نصف دقيقة ودقيقة واحدة. وأكثر من دقيقة قد يكون دلالة على حالات باتولوجية عضوية أو وظيفية.
- متوسط زمن الرجع للبطاقات السوداء (VII، VI، V، IV، I) وذلك بقسمة مجموع زمن الرجع لها على عددها.
- متوسط زمن الرجع للبطاقات الملونة، وذلك بقسمة مجموع زمن الرجع لها على عددها. إن زيادة المتوسط عن البطاقات اللالونية قد تدل على وجود صدمة لون.

الفصل الخامس ـ

الأساليب الاسقاطية الأخرى ـ

نقدم في هذا الفصل بعضاً من الأساليب الإسقاطية الأخرى لدراسة الشخصية. وسوف نقتصر على عرض موجز لأهم المبادىء العامة لهذه الأساليب.

١ ـ اختبارات من نوع تداعي الكلمات:

وهي اختبارات أعدت الأغراض محددة أو لفئات خاصة، ومن أهم هذه الاختبارات:

١ ـ «اختبار القصة» La Méthode des fables الذي وضعته «لويزا ديس» عام ١٩٤٠.

لقد وضعت «لويزا» عدداً من القصص الصغيرة (١٠ قصص)، التي يقوم بالبطولة فيها طفل يجد نفسه في مواقف معينة تتفق مع مرحلة من مراحل تكوين تطوره العاطفي. ويقوم اختبار القصة على الفروض الآتية:

من الطبيعي أن يتماهى الطفل مع البطل؛ فإذا تأثر الطفل بقصة معينة وأجاب عنها إجابة رمزية Symbolique، أو على العكس من هذا إذا أشارت استجاباته إلى إشارة معينة، كان معنى ذلك أن موقف البطل في القصة أثار لدى الطفل سلسلة من الارتباطات أيقظت العقد التي ثبت عندها.

فحينما يقوم الطفل بتكملة القصة، إنما يكشف من خلال محتوى

استجاباته عما قد يكون لديه من عقد. والقصص التي يقدمها الطفل تعتبر أداة هامة لتشخيص جانب هام له تأثيره في شخصية الطفل وهو «العقدة النفسية Complexe»، وتحديد شدتها.

ويجري الاختبار بالطريقة التالية: «نقول للطفل أننا نريد أن نحكي له قصصاً صغيرة، على أن يؤلف هو نهاية لكل قصة. وله الحرية في أن يقوم كل ما يخطر له أو يفكر فيه». ويمكن تطبيق هذا الاختبار على الكبار المراهقين، كاختبار للخيال، ويستطيع أن يجيب بكل ما يخطر له.

والقصص التي يتكون منها الاختبار تدور حول مناطق الصراعات التالية:

١ - قصة العصفور: للتأكد من تعلق الطفل بأحد والديه أو استقلاله عنهما.
٢ - قصة حفلة عيد زفاف الوالدين: معرفة معاناة غيرة الطفل من علاقة الوالدين، ومعاناته من صدمة غرفة نوم الوالدين.
٣ - قصة الحمل الصغير: الكشف عن عقدة الفطام والغيرة من الأخوة.
٤ - قصة الجنازة: الكشف عن الشعور العدائي، ورغبة الموت، والشعور بالذنب، ومعاقبة الذات.
٥ - قصة الخوف: للتعرف على قلق الطفل ومعاقبة الذات.
٦ - قصة الفيل: الكشف عن عقدة الخصاء.
٧ - قصة شيء صنعه الطفل: الكشف عن العقدة الشرجية، وطبع التملك والعناد.
٨ - قصة النزعة مع الأب أو الأم: لتوضيح عقدة أوديب.
٩ - قصة الخبر: توضيح رغبات ومخاوف الطفل.
١٠- قصة الحلم المفزع: لضبط القصص السابقة.

وتورد «لويزا» مثال للقصة الأولى: العصفور الكبير والعصفورة الكبيرة، «بابا» و«ماما» والعصفو الصغير كانوا نائمين في عشهم على غصن الشجرة. ثم أتى ريح شديد وهزَّ الشجرة، ووقع العش على الأرض. وفجأة استيقظ العصافير الثلاثة. وطار الـ باب بسرعة على شجرة الصنوبر، وطارت الـ ماما على شجرة

صنوبر أخرى. ماذا فعل العصفور الصغير؟ هو كان يعرف يطير قليلاً؟.

وفيما يلي استجابات الأسوياء:

- يطير العصفور على فرع شجرة بجانب عشه الصغير؛
- ينضم العصفور إلى أمه أو أبيه؛
- هو يصرخ حتى يأتي والديه لأخذه.

أما استجابات الحالات العصابية فهي: أنه سيقع على الأرض ويموت. وقد أشارت «لويزا» إلى بعض العوامل باعتبارها أدلة على العقد أو الإضطراب النفسي:

- الاستجابة العاجلة وغير المتوقعة.
- تكرار ظهور الاستجابات في أكثر من قصة.
- الاستجابة الهامسة والسريعة.
- رفض الاستجابة لقصة من القصص.
- التوقف عن الكلام ومقاومة الاستجابة.
- المطالبة بإعادة تطبيق الاختبار[1].

ويمكن القول إن قصص هذا الاختبار تؤدي إلى كشف آواليات الإسقاط والتماهي عند المفحوص، كما تكشف عن العقد النفسية أنواع الصراع التي يعاني منها الطفل (الغيرة، العدوان، الشعور بالذنب، المخاوف وعقدة أوديب...)، كما تؤدي إلى تشخيص حالة الإضطراب وسمات الشخصية.

٢ - «اختبار تكميل الحوار» Complétement de dialogue أو «اختبار صورة الإحباط» Test des figures de la frustration.

وهو من الاختبارات التي تجمع بين الصورة والجملة من أعداد «روزنفيج» Le test de Rosenzweig (١٩٤٨)، وهو يتألف من ٢٤ صورة تمثل مواقف إحباط؛ وقد وضع في صورتين الأولى للأطفال من سن ٤ - ١٣، والثانية

(1) ANZIEU- Les Méth. Projec. OP. cit. P. 173- 174.

للراشدين من سن ١٤ وما فوق. وتشتمل كل صورة على سلسلة من الرسوم تحتوي على شخصيتين رئيسيتين، أحدهما يواجه موقف إحباط والثاني يذكر شيئاً يستثير هذا الإحباط أو يلفت النظر إلى الموقف المحبط. ويطلب من الشخص (المفحوص) أن يسجل كتابة ما الذي يمكن أن يجيب به الشخص المحبط على ما يذكره الشخص الثاني في الصورة، على أن يكتب أول إجابة تخطر إلى ذهنه، وبأسرع وقت ممكن.

والمثال التالي مأخوذ من صورة للبالغين:

الصورة العاشرة: «يقول رجل لشخص آخر: أنت كذّاب، وتعرف ذلك»! أكتب استجابة الآخر.

الصورة الواحدة والعشرون: «إن المرأة التي قد تكلمت عنها بسوء نية، قد تعرضت لحادث، وهي الآن في المستشفى!» اكتب استجابة المرأة الأخرى.

ويرتكز الاختبار على فرضية الاحباط ـ العدوان. وتشتمل المواقف المحبطة على نوعين: موقف «عائق للأنا»، وفيه يؤدي عائق شخصي أو غير شخصي إلى الشعور بالإحباط والحرمان أو التهديد للفرد؛ وموقف «عائق للأنا الأعلى»، وفيه يوجه اتهام أو أذى إلى الشخص من شخص آخر.

ويفترض في هذا الاختبار أن الشخص يتماهى مع الشخصية المحبطة في الصورة ومن ثم يسقط نزعاته في الاستجابة للاختبار.

ويوضّح الاختبار في كل استجابة، اتجاه اعلدوان ونمط ردة الفعل. وتصنف الاستجابات إلى ثلاثة أنواع: يسود في النوع الأول منها التركيز على العائق، وفي الثاني الدفاع عن الأنا، وفي الثالث حلّ الموقف المحبط. ولذلك يصنف توجيه العدوان إلى ثلاث فئات:

١ ـ إلى البيئة extra- punitive، أو عدوان موجه إلى الخارج، وبخاصة نحو الفرد الذي يكون السبب أو الذي يعتقد أنه مسبب للإحباط.

٢ ـ إلى الشخص intra- punitive، عندما تعذر الذات نفسها (أنا آسف لحماقتي).

٣ ـ التجنب impunitive عندما يكون الموقف المحبط قليلاً، وتكون كل مسؤولية الشخص مبعدة أو متجاهلة[1].

بمعنى آخر، تصنف الاستجابات تبعاً لكونها خارجية العقاب، أو داخلية العقاب، أو غير عقابية، وتبعاً لسيطرة العائق، والدفاع عن الذات، وإلحاح الحاجة..

فنماذج ردات الفعل تكون كالتالي:

- سيطرة العائق، عندما يلح الشخص على الموقف الإحباطي.
- الدفاع عن الذات عندما يلح الشخص على ما يشعر به.
- إلحاح الحاجة في حل المشكلة.

ويكشف الاختبار عن نزعة المفحوص في إعطاء استجاباته إلى أي هذه الفئات ينتمي.

٢ ـ اختبارات من نوع تفهم الموضوع:

وهي اختبارات أعدت لأغراض أو لفئات خاصة، وهي تتفاوت في درجة تشابهها باختبار تفهم الموضوع. ومن هذه الاختبارات «اختبار سيموندس» الصورة ـ القصة، للمراهقين ـ اختبار صور بلاكي من إعداد «بلوم»، اختبار جاكسون لتحليل الاتجاهات العائلية .F.A.T، واختبار القصة المصورة من إعداد شنايدمان.

١ ـ «اختبار الاتجاهات العائلية» من إعداد «ليديا جاكسون» (١٩٥٢)، وهو صورة أخرى من اختبار تفهم الموضوع للأطفال .C.A.T حيث حلّ الأبوين والأولاد محل الحيوانات. ويستعمل الاختبار للكشف عما يعانيه الأطفال من صراعات داخلية تنشأ بسبب العلاقات الأسرية سواء كانت بين الأبوين أوب ين

(1) Ibid- P. 182, 183-

الأبناء، أو بينهما معاً. ويتكون الاختبار من ٧ بطاقات مصورة تمثل كل منها موقفاً عائلياً من المواقف التالية:

١ - حماية الأم للطفل واعتماده عليها (الصورة رقم صفر).
٢ - إنفراد الأبوين بالمودة بينهما دون الطفل، وما يترتب على ذلك من تهديد لشعوره بالأمن (الصورة رقم ١).
٣ - الغيرة التي تنشأ في نفس الطفل الأكبر بسبب اهتمام الوالدين بأخيه الصغير (الصورةرقم ٢، تتكون من نموذجين أحدهما للأولاد والآخر للبنات).
٤ - ارتكاب الذنب وما يتبع ذلك من شعور بالوحدة وميل إلى الانفراد (الصورة رقم ٣).
٥ - احتمال عدوان الوالدين (الصورة رقم ٤).
٦ - إغراء المحرم والممنوع واحتمال العقوبة (الصورة رقم ٥).
٧ - استجابة الطفل للنزاع بين الأبوين (الصورة رقم ٦)[1].

وتوجد خلق كل صورة مجموعة من الأسئلة يلجأ إليها السيكولوجي لفهم دينامية الاستجابة؛ ومن أمثلة الصورة رقم ٢: بماذا يفكر الولد (أو البنت) الصغير؟، الأب والأم يحبوا أكثر الطفل الرضيع أو الولد الصغير؟ أو يحبوا الأثنين سوياً؟.

ويطبق الاختبار فردياً على الأطفال بين سن ٦ـ ١٢، وتعرض الصور بالتتابع على الطفل، ويطلب منه أن يكوّن قصة من الموقف الذي تمثله الصورة. وقد صممت المواقف المختلفة التي تعبر عنها كل بطاقة على نحو يجعل من الممكن تفسيرها تفسيرات مختلفة، يتخذ الطفل ما يناسبه وما يطابق حالته النفسية ويعبر عما يعانيه من إضطرابات ومشكلات. وبذلك يسقط الطفل مشاعره وإحساساته على لسان الأفراد الذين يتكون منهم الموقف الماثل في الصورة.

---

(1) عطوف ياسين ـ علم النفس العيادي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨١ ص ٦٣٥.

٢ ـ اختبار القصة المصورة (M.A.P.S.) من إعداد «شنايدمان» (١٩٤٨)

وهو صورة مطورة من «اختبار الانتاج الدرامي» الذي كان قد أعده موراي بالاشتراك مع إريكسون. ويهدف اختبار شنايدمان إلى دراسة الجوانب النفسية للانتاج التخييلي. ويتكون الاختبار من ٢٢ خلفية مصورة تتفاوت في تحديد درجة بنيانها: مثل غرفة استقبال، حمام، مسرح، مغارة. . وهناك ٦٨ نموذجاً من الكرتون تشتمل على نماذج للراشدين، ونماذج لمختلف الأعمال والأفراد، ولشخصيات خيالية وحيوانات. ويقدم الاختبار إلى الشخص بوصفه اختباراً للتخيل والإبداع، ويطلب منه خلق موقف درامي يختار فيه النماذج الملائمة للخلفية المعطاة؛ ثم يطلب من الشخص ذكر قصة تدور حول شخصيات الموقف: ماذا يفعلون، وما الذي يشغل فكرهم، وما هي مشاعرهم وما هي نهاية القصة.

ويقوم تأويل الاختبار على أساس الأشكال المستخدمة، وعددها، وتكرارها، ومواضعها، وانتقائها، والصلات بينها، ودلالاتها، واستخدام الأرضية الخلفية، والوقت الذي تستغرقه الاستجابة. وهناك ٦٤ علامة مصنفة للتمييز بين الأسوياء والذهانيين.

٣ ـ الأساليب التعبيرية ـ

ومن الاختبارات الإسقاطية الأخرى الهامة الأساليب التعبيرية بوصفها إسقاطاً للشخصية؛ ويمكن أن تصنف هذه الأساليب إلى فئتين: الأولى تشتمل على الرسم بوصفه أسلوباً للتعبير، والثانية تشمل أساليب اللعب والسيكودراما.

إن أساليب الرسم الإسقاطية متعددة ومتنوعة، وهي تساعد السيكولوجي في استكمال صورة دينامية للشخصية موضوع الدراسة، بالإضافة إلى تشخيص الذكاء. وكما يقول «فالون» Wallon: إن حركة الخط والرسم عند الطفل، تمثل إحدى الوسائل الهامة لمراقبة نمو الإدراك عند الطفل ولتطوره العقلي، وفي نفس الوقت التعرف على عالمه الذي يعيش فيه، وفهم شخصيته»[1]. وقد

(1) ANZIEU- Les Méthodes Projectives- OP. cit. P. 217-

تنبّهت «فلورانس جودانف» إلى الجوانب الإسقاطية في «اختبار رسم الرجل»؛ كما استعملت «كارين ماكوفر» «اختبار رسم الشخص» كاختبار إسقاطي، وابتكر «بـاك» اختبار «رسم المنـزل والشجرة والشخص» (Les test de dessin d'une maison, de l'arbre, d'une personne). ويكشف هـذا الاختبـار عن دلالات دينامية هامة في الشخص، من حيث: القوى الأساسية في الشخصية، الحاجات الأسـاسية، الإتـزان الشخصي الداخلي، الحـالة الانفعـالية، وتقـدير مستـوى الوظيفة العقلية. وبشكل عام، يعكس رسم المنزل انطباع الشخص عن توافقه في حياته العائلية، ومع من يشاركـونه في المنـزل؛ بينما يعكس رسم الشجـرة تقييم الشخص لمستوى توافقـه في بيئته بشكـل عام؛ أمـا الشخص فهو يمثـل صورة الذات أو نظرة الفرد إلى توافقه الاجتماعي العام[1].

(*) أساليب اللعب والسيكودراما: Les tests du jeu dramatique

نشـأت هذه الأسـاليب ـ مثـل الـدمى والعـرائس، ونمـاذج لـلأشجـار، والحيـوانات، وخصـوصاً اللعب الصغيـرة التي تمثـل الأشخـاص في المحيط الطفلي ـ في مجال تشخيص حالات الأطفال وعلاجهم.

في مـواد اللعب مـع الأطفـال، تتكشف دلالات هـامـة عن اتجـاهـاتهم العائلية، وكـذلك عن المخـاوف والعدوان والصـراع.. ويسجل السيكـولوجي المواد التي يختارها الطفل وطريقة تناوله لها وما يصدر عنه من تعبيرات لفـظية وإنفعالية وحركات سلوكية ظاهرة...

ومن اختبارات الدمى الإسقاطية الهامة «اختبار العالم» Test du Monde التي صممته «مارغريت لونفيلد» Loewenfels (١٩٣٩)، وهناك وسائل مشابهة استخدمتها «بوهلر» Bohler. ويعتبر «اختبار العالم» كأداة لتسهيل الاتصال مع الأطفال؛ وهو يتكون من عدد من النماذج الصغيرة المتنوعة كالبيوت والأشجـار والعربات والأشخاص والحيوانـات... ويطلب من الـطفل أن يشكّـل منها مـا

(1) مليكه ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠٥ـ ٥٠٦.

يشاء؛ أي أن عليه أن يجمع هذه النماذج بطريقة لها معنى بالنسبة له. وبناء على ذلك، فإن كل فرد عادة يصنع (عالماً فريداً).

والفكرة التي يرتكز عليها الاختبار هو أن اللعب نشاط عاكس لانفعالات الفرد وخبراته في صورة غير لفظية. وعندما يعالج الفرد هذه الموضوعات المختلفة بطريقته الخاصة، ويشكل منها عالماً خاصاً، فإنها تصبح تركيبات ذات معنى ودلالة، مما يسمح بعد ذلك بالحديث عنها في مستوى لفظي؛ أي يناقش السيكولوجي ما قام به الشخص ببنائه، ويستفسر عن أحداثه ودلالاته. وهكذا فإن السلسلة المتتابعة من العوالم تكشف لنا عن خطأ متواصلاً من التفكير.

وقد قامت «شارلوت بوهلر» بتقنين الاختبار ووضعت نماذج ومعايير للفئات الإكلينيكية المختلفة، وخاصة للأطفال.

وترى بوهلر أن هناك ستة أنواع من العوالم تعكس الإضطراب الداخلي للفرد واتجاهاته المرضية نحو الحياة:

١ - عالم عدواني مليء بالقتل والحوادث. ٢ - عالم غير مسكون. ٣ - عالم فارغ. ٤ - عالم نغلق محاط بالأسوار. ٥ - عالم مضطرب فوضوي. ٦ - عالم جامد[1].

ويتم تأويل اللعبة في اختبار العالم بافتراض أن الطفل يسقط تجاربه ومشاكله الخاصة في طريقة استخدامه لمواد اللعب؛ إذ يظهر الأطفال ميلاً شديداً في ألعابهم لأن يمثلوا المواقف التي تبدو لهم مكلة أو مثيرة للقلق. فقد يسقط الطفل الكثير من اتجاهاته الأساسية في اللعب؛ أي أنه يستطيع التعبير عن الرغبات، والمخاوف، والدفاعات خلال اللعب، أكثر مما يفعل خلال الأعمال اللفظية.

أما أهم اختبارات التخيل الإبداعي الدرامي هو «اختبار السيكودراما»

---

(1) عطوف ياسين - مرجع سابق ص ٦٤١- ٦٤٣.

الذي قدمه «مورينو» Le test du Psychodrame, de Moreno.

وفيه يقوم الشخص بأداء مختلف الأدوار على المسرح، تحت إشراف مدير (المعالج) ويلاحظ سلوك الشخص في عدد من المواقف المختارة، فمثلاً قد يطلب من الشخص أن يتخيل أنه على المسرح مع شخص آخر وهمي، وأن عليه أن يقيم معه علاقة، وأن يحدد الشخص نوع النشاط، ثم تترك الحرية للشخص أن يحدد الأفعال والأقوال والمواقف... ومثل هذا الموقف يكشف عن العلاقة الاجتماعية للشخص وأسلوبه في الاتصال مع الآخرين.

ويحتوي الاختبار على خمسة مواقف متابعة، وتتوقف التجربة عندما لم يعد الشخص يستطيع متابعة الموقف.

- الموقف الأول : يصنف الشخص غرفته وتنظيفها (في الخيال) آخذاً في عين الاعتبار موقع المفروشات التي أشار إليها.
- الموقف الثاني : يصرخ المدير أن النار قد اندلعت من الغرفة المجاورة حيث ينام الأطفال الصغار، في هذه الحالة ماذا يفعل الشخص؟.
- الموقف الثالث : وصلت زوجة الشخص من خلف المنزل وكادت أن تحترق لو لم تنبّه في حينه: كيف تتصرف؟.
- الموقف الرابع : تدخل المرأة (وهي تمثل الشخصية المساعدة) ويُغمى عليها، وأخذ الأولاد بالبكاء: كيف يتصرف الشخص؟.
- الموقف الخامس : يوجدُ عند الشخص، في الطابق الأول، مجوهرات ووثائق يريد إنقاذها، لكن ليس لديه الوقت لينقذ هذه الأغراض الثمينة وعائلته في نفس الوقت، وأكثر من ذلك، فالدرج يحترق، ولذلك، فعليه أن يقفز من النافذة عن علو ثلاثة أمتار: فماذا يختار؟[1].

---

(1) ANZIEU- OP. cit. P. 215-

يعتقد «مورينو» أن الشخص، في السيكودراما، يكون قادراً على التعبير عن وجداناته وعواطفه الشخصية في مواقف قريبة من الحياة العادية. ولذلك، فهو يعتقد أن التلقائية لها دور هام في الكشف عن ديناميات الصراع، وأين يكمن هذا الصراع، وما مداه...

لا شك أن الأساليب الإسقاطية هي واحدة من الأدوات الهامة التي تساعد السيكولوجي في الكشف عن الجوانب المختلفة للشخصية، وفي إصدار الأحكام، وفي وضع خطة علاجية مناسبة.

تخطيط الاختبارات الإسقاطيـة

اسم الاختبار والمؤلف	المـواد ـ الاختبار ـ	التعليمات	التأويـــل
تداعي الكلمات «يونغ» (١٩٠٦) وسعه كل من: «كينت ورزوانوف» (١٩١٠) ورابابورت» (١٩٤٦) وجيل وشافر»	قائمة من مائة كلمة (المثير) ساعة لقياس زمن الاستجابات لكل كلمة.	تقرأ الكلمات للشخص، كلمة كلمة، ويستجيب الشخص بأول كلمة ترد إلى ذهنه. وبعد فترة قصيرة، تعاد الكلمات (المثيرة)، ويطلب من الشخص أن يتذكر إجاباته السابقة	تصنف الإجابات وفق طريقة «كاشفات العقد» أو دلالات إضطراب التداعي. مثل: طول زمن الرجع، إنعدام الإجابة، تكرار الكلمة المنبهة، تعريف للكلمة المنبهة،
تكملة الجمل «باين» وتندلر» (١٩٣٠) استخدمه كل من «كميرون» (١٩٣٨) وروهدا» (١٩٤٦) ثم «ساكس» وروتر» (١٩٥٠)	تعطى الكلمات الأولى من الجملة أي جملة ناقصة.	يطلب من الشخص أن يكمل العبارة بما يرد إلى ذهنه. الوقت، حوالي ستون دقيقة.	تصنف الإجابات إلى سوّية، غير سوّية، ومحايدة. أو تقدر درجة إجمالية عن سوء التكيف.

الاختبـارات الإسقـاطيـة

اسم الاختبار والمؤلف	المواد - الاختبار -	التعليمات	التأويـل
تفهم الموضوع T.A.T. «مورجان وموراي» (١٩٣٦) وسعه كل من: «بيللاك» (٩٥٤) و«تومكنز» (١٩٤٨) «بيتروفسكي»، و «ليون»، و «شيترن» (١٩٥٠).	عشرون بطاقة يحتوي كل منها على صورة معينة. هناك بطاقات خاصة: بالصبيان والبنات، والرجال والنساء. (البطاقة رقم ١٦ بيضاء)	تقدم الصورة إلى الشخص ونطلب منه: أن يروي لنا حكاية عن هذه الصورة. وأن يذكر ما الذي أدّى إلى هذا الموقف، وما هي مشاعر الأشخاص واتجاهاتهم، وماهي خاتمة الحكاية. وهناك حوالي خمس دقائق لكل بطاقة.	هناك طرق عديدة منها: تحديد البطل (التماهي بين الشخص والبطل. ثم يقدر بعد ذلك التعبير عن الحاجات الأساسية ومدى قوتها، وما هي أنواع الصراعات ومداها، وأين تكمن. وهناك طرق تقوم على: إنتقاء الموقف بالنسبة للشخص، والمجال الذي يتجه نحوه.
بقع الحبر «روشاخ» (١٩٢١) ووسعه كل من: «بيك، وكلوبفر، ورابابورت، وكيلي، ولوسلي اوستري وبيتروفسكي	عشر بطاقات، خمسة منها بالألوان والأخرى بالأبيض والأسود.	تقدم البطاقة إلى الشخص ويطلب منه: ماذا يمكن أن يكون هذا؟ تحدث عما تراه فيها أو ما يتصور ذلك؟	تصنف إجابات الفرد تبعاً: للتحديد المكاني (المنطقة)، والمحددات التي استخدمت: الشكل، الحركة، اللون، التظليل وكذلك المضمون: إنساني، حيواني، تشريحي، .. ويوضع التأويل تبعاً: لخصائص التفكير، والانفعال، والميل إلى الانطواء أو الانبساط.

اسم الاختبار والمؤلف	المواد - الاختبار -	التعليمات	التأويل
اختبار القصة - لويزا ديس - (١٩٤٠)	عشر قصص صغيرة ناقصة.	يقدم للطفل بداية قصة قصيرة، ويطلب إليه تكملتها. على أن يقول كل ما يفكر فيه وما يخطر بباله.	شبيه بطريق اختبار تفهم الموضوع للأطفال. ومن دلالات الاضطراب النفسي: الاستجابة العاجلة، تكرار الاستجابة في أكثر من قصة، الرفض، التوقف..
اختبار صور الإحباط روزنفج (١٩٤٨)	أربع وعشرون رسماً تمثل مواقف إحباطية.	يكتب الشخص في المربعات الفارغة أول إجابة تخطر له، عندما يحادثه الطرف الآخر.	تصنف الاستجابات تبعاً لكونها: خارجية، أو داخلية، أو غير عقابية. وتبعاً لسيطرة: العائق، الدفاع عن الأنا، وإلحاح الحاجة.
اختبار الاتجاهات العائلية - ليديا جاكسون - (١٩٥٢)	سبع بطاقات مصورة، تمثل كل منها موقفاً عائلياً مختلفاً. وخلف كل صورة توجد عدة أسئلة	تعرض الصور على الطفل بالتتابع، ويطلب منه أن يكوّن قصة من الموقف الذي تمثله الصورة.	يشبه تأويل اختبار تفهم الموضوع للأطفال. ويأخذ التفسير أيضاً تفسيرات مختلفة تبعاً لصراعات الشخص وما يعانيه من مشكلات ومواقف.

الاختبـارات الإسقاطيـة

اسم الاختبار والمؤلف	المـواد ـ الاختبار ـ	التعليمات	التأويـل
اختبار القصة المصورة ـ شنايدمان ـ (١٩٤٨)	إثنتان وعشرون صورة للأرضية الخلفية. تعرض مشاهد مثل غرفة الاستقبال، حمام، غرفة أطفال. . . وهناك ٦٨ شكلاً تشتمل على أفراد بالغين.	تقدم إلى الشخص صورة أرضية خلفية، ويطلب إليه أن يختار أشكالاً ويضعها على الأرضية، ثم يعمل حكاية عن هذا المشهد. وتستخدم مع كل شخص ١١ صورة.	على أساس الأشكال المستخدمة وعددها، وتكرارها، ومواضعها والصلات بينها، ونشاطها، واستخدام الأرضية الخلفية، والوقت الذي تستغرقه الاستجابة. وهناك ٦٤ علامة مصنفة للتمييز بين الأسوياء والذهانيين.
الأساليب التعبيرية اختبار رسم الرجل (جودانف). اختبار رسم الشخص (ماكوفر) (١٩٤٩)، اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص (باك).	الرسم بالقلم الرصاص على ورقة ذات أبعاد مقننة المنزل، ثم الشجرة، ثم الشخص.	يطلب من الشخص أن يرسم رسماً جيداً لمنزل ولشجرة، ولشخص. ثم توجه إليه بعد ذلك عدد من الأسئلة تتصل بهذه الوحدات الثلاث.	يقوم التأويل على التحليل الكمي والكيفي. أي التفاصيل من حيث كميتها، وملاءمتها ودلالاتها. ثم النسب، الوحدة الكلية، الإتساق. . المنظور، أي درس العلاقات الزمن المستغرق في الرسم، نوع الخط من حيث الضبط الحركي، والإتساق. .

الاختبارات الإسقاطية

اسم الاختبار والمؤلف	المواد - الاختبار -	التعليمات	التأويل
اختبار العالم لونفيلد (١٩٣٩) (بوهلر، وأريكسون..	مجموعة من لعب لأشياء مصغرة، بشرية وحيوانية ونباتية..	يطلب من الطفل أن يضع من هذا المواد عالماً خاصاً كيفما يشاء أو خيالياً، أو يشتمل على	تستند التصنيفات إلى كون العالم واقعياً أو مزيجاً من الواقع والخيال، الصراع. ولكن أهم التأويلات تتم تبعاً للرمزية الخاصة بالفرد.
اختبار السيكودراما (التخيل الإبداعي الدرامي) - موريتو - ثم توربو وكورينتز (١٩٤٤).	مسرح خشبي، أو مكان فسيح أو حجرة كبيرة..	يطلب من الشخص أن يتخيل أنه في موقف معين، وعليه أن يقيّم هذا الموقف ويحدد العلاقة. ويترك للشخص الحرية لتحديد ما يلي ذلك من أفعال وأقوال.	يستند التأويل على اتجاهات الشخص ومحاوره مع المواقف، وطريقة أسلوبه في الاتصال بالأشخاص الآخرين، وبالبيئة.

- A -

Agression	عدوان -
Agressif	عدواني -
Aliénation	إستلاب -
Aliéné	مستلب -
Ambivalence	إزدواجية وجدانية -
Analyse	تحليل -
Analyste	محلّل -
Analytique	تحليلي -
Angoisse	حصر -
Animisme	إحيائية -
Anthropologie Culturelle	انتروبولوجيا الثقافية -
Appareil Psychique	جهاز نفسي -
Approche	مقاربة -
Association libre	تداعي حرّ -
Association des mots	تداعي الكلمات -
Auto- Erotisme	غلمة ذاتية -

- B -

Besoin	حاجة -

- C -

Ic, ça	الهو -
Conibale	إفتراس -
Canibalisme	إفتراسية -
Caractère	خلق، طبع -
Castration	خصاء -
Charge	شحنة -
Classification	تصنيف -
Clinique	عيادة -
Complexe	عقدة -
Complexe d'Œdipe	عقدة أوديب -
Comlese de Castration	عقدة الخصاء -
Confusion	خلط -
Conscience	وعي -
Conscient	واعٍ -
Contenu	مضمون، محتوى -
Coc	صدمة -
Choc- Couleur	صدمة لون -

- D -

Déformation	تحوير، تشويه -
Déplacement	إزاحة -
Déplaisir	تنغيص، ألم -
Déterminant	إكتئاب -

Déterminisme	حتمية -
Diagnostic	تشخيص -
Dynamisme	دينامية -

- E -

Energie	طاقة -
Erogène	شهوي -
Erotisme	غُلمة -
Excitation	إستثارة -
Exploration de la Personnalité	إستكشاف الشخصية -

- F -

Fantasme	تخييل، هوام -
fixation	تثبيت -
Formen	تكوين، تشكيل -
Frustration	إحباط -

- G -

Général	شائع، عام -
Génital	تناسلي -
Génétique	تكويني -
Gruphologie	كتابة اليد -

- H -

Homosexualité	جنسية مثلية -
Hystérie	هستيريا -

- I -

Identification	تماهي -

s'Indentifier	تماهى -
Identification à l'agrasseur	تماهى بالمعتدي -
Idéal du Moi	مثال الأنا -
Inceste	زنى المحارم -
Inconscient	لا واعٍ -
Inconscience	لا وعي -
Infantilisme	طفلية -
Inhibition	كفّ -
instance	هيئة، ركن -
Interjection	تأويل -
Investissement	توظيف -

- L -

Latence	كمون -
Libido	لبيدو -

- M -

Mécanisme	آوالية -
Mécanisme de défense	آوالية دفاعية -
Menace de castration	سويداء -
Méthode	طريقة -
- le - Moi	الأنا -
Motif	دافع -

- N -

Narcissisme	نرجسية -
Névrose	عُصاب -

Normal	سوّي -

- O -

Obsession	وسواس -
Œdipien	أوديبي -

- P -

Paranoïa	بارانويا، عُظام -
Perception	إدراك -
Perversion	إنحراف -
Phallique	قضيبي -
Phase- orale	مرحلة فمية -
Phase anale	مرحلة إستية -
Phase phallique	مرحلة قضيبية -
Phase Œdipienne	مرحلة أوديبية -
Phobie	رهاب -
Plaisir	لذة -
Prégénital	ما قبل تناسلي -
Préœdipien	سيرورة، عملية -
Pression	ضغط -
Projection	إسقاط -
Psychique	نفسي -
Psychisme	نفسية -
Psychose	ذهان -
Pulsion	نزوة -
Personnalité	شخصية -

- Q -

Questionnaire	إستخبار، إستبيان -

Réaction	رد فعل، إنعكاس -
Refoulement	كبت -
Refoulé	مكبوت -
Regression	نكوص -
Repression	قمع -

- S -

Satisfaction	إشباع -
Schizophrénie	فصام -
Séduction	غواية -
Sexualité	جنسية -
Structure	بنية -
Sublimation	إعلاء، تسامي -
Sur- Moi	الأنا الأعلى -
Symptome	عرض -
Synthèse	تركيب، توليف -

- T -

Technique	(أسلوب)، تقنية -
Temps de Réaction	زمن الرجع -
Test	إختبار، رائز -
Test Aperception des thèmes	إختبار تفهم الموضوع -
Test Comlètement de Phrases	إختبار تكملة الجمل -
Test Projectif	إختبار إسقاطي -

المراجع

١ - باستيدروجيه - السوسيولوجيا والتحليل النفسي. ترجمة وجيه البعيني البعين - دار الحداثة بيروت ١٩٨٨.

٢ - بونبوار آنا - طريقة الروائز في التربية. ترجمة ميشال أبي فاضل - منشورات عويدات بيروت ١٩٨١.

٣ - تايلر ليونا - الاختبارات والمقاييس النفسية. ترجمة سعد جلال - دار المعارف القاهرة ١٩٦٨.

٤ - دوبرنيكوف - الفرويديون الجدد، محاولة لإكتشاف الحقيقة. ترجمة محمد يونس - الفارابي بيروت ١٩٨٨.

٥ - دوتر جوليان - علم النفس الإكلينيك. ترجمة عطية محمود هنا - دار الشروق بيروت ١٩٨٤.

٦ - سلامة أحمد عبد العزيز - استمارة بيللاك لرصد وتحليل استجابات المفحوص لاختبار تفهم الموضوع (كراسة التعليمات). مطبعة التقدم القاهرة - بدون تاريخ.

٧ - سلامة أحمد عبد العزيز - اختبار ساكس لتكملة الجمل. دار الثقافة، القاهرة ١٩٦٥.

٨ - عكاشة أحمد - الطب النفسي المعاصر الأنجلو القاهرة ١٩٨٠.

٩ - غنيم سيد محمد وبرادة هدى عبد الحميد - الاختبارات الإسقاطية. دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠.

١٠ ـ غنيم سيد محمد وبرادة هدى عبد الحميد ـ التشخيص النفسي. دراسات في اختبار الروشاخ ـ الجزء الأول ـ ١٩٦٥.
١١ ـ غنيم سيد محمد ـ سيكولوجية الشخصية. دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣.
١٢ ـ فالادون ـ نظريات الشخصية. ترجمة علي المصري ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٠.
١٣ ـ فراج عثمان لبيب وعبد الغفار عبد السلام ـ الشخصية والصحة النفسية. مكتبة العرفان، بيروت ١٩٦٦.
١٤ ـ فرويد آنا ـ الأنا وميكانيزمات الدفاع. ترجمة صلاح مخيمر وعبدة مخائيل رزق ـ الأنجلو، القاهرة ١٩٧٢.
١٥ ـ فروم أريك ـ الخوف من الحرية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢.
١٦ ـ فرويد سيغموند ـ خمس حالات من التحليل النفسي. جزءان ـ ترجمة صلاح مخيمر وعبدة مخائيل رزق، الانجلو، القاهرة ١٩٧٩.
١٧ ـ فرويد سيغموند ـ حياتي والتحليل النفسي. ترجمة مصطفى زيور ـ المعارف، القاهرة ١٩٨١.
١٨ ـ فرويد سيغموند ـ معالم التحليل النفسي. دار الشروق، بيروت ١٩٨٣.
١٩ ـ فرويد سيغموند ـ النظرية العامة للأمراض العصابية. ترجمة جورج طرابشي ـ دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠.
٢٠ ـ فرويد سيغموند ـ خمسة دروس في التحليل النفسي. ترجمة جورج طرابشي ـ دار الطليعة بيروت ١٩٧٩.
٢١ ـ كلوبفر ودافيدسون ـ تكنيك الروشاخ. ترجمة سعد جلال ـ القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦٥.
٢٢ ـ الأعسر صفاء يوسف ـ اختبار تكملة الجملة ـ لروتر ـ دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣.
٢٣ ـ لازاروس ـ الشخصية. ترجمةمحمد سيد غنيم ـ دار الشروق، بيروت ١٩٨١.

٢٤ ـ مليكه لويس ـ علم النفس الإكلينيكي . الجزء الأول ـ التشخيص والتنبوء في الطريقة الإكلينيكية ـ الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧٧ .
٢٥ ـ فهمي مصطفى ـ علم النفس الإكلينيكي . دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٧ .
٢٦ ـ نوتكات برنارد ـ سيكولوجية الشخصية . ترجمة صلاح مخيمر وعبدة مخائيل رزق ـ الأنجلو، القاهرة ١٩٥٩ .
٢٧ ـ هنا عطية محمود ـ علم النفس الإكلينيكي . الجزء الأول ـ التشخيص ـ دار النظهة العربية، القاهرة ١٩٧٦ .
٢٨ ـ هول وليندزي ـ نظريات الشخصية . ترجمة فرج أحمد فرج ولطفي فطيم ـ دار الشايع للنشر ـ الكويت ١٩٧٨ .
٢٩ ـ المليجي عبد المنعم ـ اختبار تداعي الأفكار للتشخيص . السيكولوجي ـ المعارف، القاهرة ١٩٦١ .
٣٠ ـ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة «الاستجابات الشائعة لاختبار تفهم الموضوع» ١٩٧٥ .

31 — ANZIEU . Les Méthodes Projectives Ed. P.U.F. Paris 1980-
32 — DELAY J. et Pichot P. Abrégé de Psychologie Ed. Masson, Paris, 1984-
33 — BOHM E. Traité de Psychodiagnostic de Rorschach- Trad. Bertherivier, Ed. P.U.F. Paris 1955-
34 — BLUM G.S. Les Théories Psychana lytiques de la Personnalité- Ed. P.U.F. Paris 1955-
35 — BECK S.J. Le Test de Rorschach- 2 Vol. Ed. P.U.F. Paris 197, et 1968-
36 — FROMME. La Crise de la Psychanalyse- Trad. Ladmiral, Ed. Anthropos, Paris 1971-
37 — FREUS S. Psychologie des foules et analyse du Moi, in Essais de Psychanalyse- Trad. Jankélévitch, Ed. Payot, Paris 1981-
38 — FREUD S. Le Moi et le ça, in Essais de Psy.-
39 — FREUD S. Au- de là du Principe de Plaisir, in Essais de Psy.-
40 — FREUD S. - NNouvelles Conférences sur la Psychanalyse, Trad. Berman, Ed. Gallimard, Paris, 1978-

41 — FREUD S. - Métapsychologie, Trad. daplandre et Pontalis, Ed. Gla. Paris 1978-
42 — FREUD S. - Abrégé de Psychanalyse- Trad. Berman, Ed. P.U.F. Paris 1978-
43 — FREUD S. - Trois Essais sur la théorie de la Sexualité, Trad. Reverchon J. Ed. Gal. 1980-
44 — FREUD S. - Introducton à la Psychanalyse Trad. Jankélévitch, Ed. Payot, Paris 1981-
45 — FREUD S. - Ma Vie et la Psychanalyse- Trad. Bonaparte, Ed. Gal. Paris 1968-
46 — FREUD S. - Totem et Tabou- Trad. Jankélévitch, Ed. Payot, Paris 1968-
47 — FREUD S. La Vie Sexuelle- Trad. Berger et la planche, Ed. P.U.F. Paris 1977-
48 — HORNEY K. -La Personnalité Névrotique dans notre temps-
49 — La planche et Pontalis- Vocabulaire de la Psychanalyse- Ed. P.U.F. Paris 1978-
50 — Loosli- Usteri- Manuel Pratique du Test de Rorchach- Ed. Hermann, Paris 1976-
51 — Malinowiski- La Sexualité et sa repression dans la société primitive- Trad. Jankélévitch, Ed. Payot, Paris 1980-
52 — Schraml W.J.- Précis de Psychologie clinique- Ed. P.U.F. Paris 1973-
53 — Manuel du «Thematic Apperception Test»- Par H.A. Murray- M. D. Trad- Meunier G. Centre de Psychologie Appliquée Paris 1950-

المحتويات



هذا الكتاب يعالج بعض الأساليب والإختبارات التي يمكن الإفادة منها في مجال العيادات النفسية ، ودراسته الشخصية . فمنذ بداية القرن ، عرف سير الشخصية تطوراً حقيقياً وذلك باستخدام أدوات وطرق خاصة بعلم النفس . وقدم علم المقاييس النفسية ، وقدمت الروائز الموضوعية أيضاً والإختبارات الإسقاطية المواد الضرورية للتفكير العلمي .

ولقد أصبحت الأساليب الإسقاطية من الأدوات الهامة التي تُستخدم في الوقت الحاضر ، في الوقوف على الجوانب المختلفة للشخصية ، وتشخيص حالات الفرد ، ومعرفة ما يعانيه من مشكلات .

هذا بالإضافة إلى عرض الإطار النظري لسيكولوجية الشخصية ومفهوم الإسقاط .

الناشر

دار الفكر اللبناني